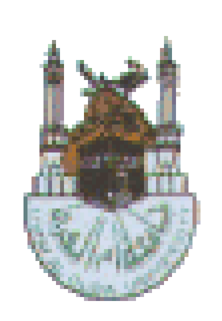


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق
«المضمون والفن»

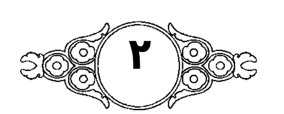
رسالة مقدمة ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في
تخصص الأدب والبلاغة والنقد

إعداد الطالب
عبد الله بن خميس بن سوقان آل حيادي العُمري
الرقم ا امعي (٤٢٦٨٨١٣١)

إشراف سعادة الأستاذ الدكتور
مصطفى حسين عناية

١٤٢٨ ـ ١٤٢٩هـ





مقدمة

الحمد لله الجليل ثناؤه، الكريم عطاؤه، الوافرة نعماؤه، والصلاة والسلام على خاتم خلقه، وأشرف أنبيائه، محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين...

أما بعد:

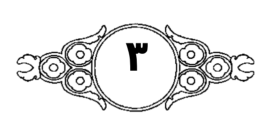
فإن من عوامل سيادة الأمم، واستمرارها، ورفعة شأنها، ما يتمتع به أفرادها من أخلاق كريمة، ترفعهم إلى القيادة، وتصل بهم شأواً بعيداً من المجد والسمو؛ ذلك أن الأخلاق الفردية تمثل مجتمع الترابط والتكافل، وهذا المجتمع يمثل الأمة التي هي الجسد الواحد، وإذا وصل استشعار الأمة لآمال وتطلعات هذا الجسد، ارتقت وعلت، وكتب لها الخلود، والاستقرار، والاستمرار، لذا لا نجد غرابة في تخليد التاريخ للمتحلي بمكارم الأخلاق أفراداً ومجتمعات.

وما سجل التاريخ أنبل وأشرف خلقاً من محمد ^ حتى خاطبه ربه تعالى: (ﮗ ﮘ ﮙ)[1]، وقد حملت لنا المصادر عدل عمر، وصبر عمار، وشجاعة خالد، وكرم حاتم، وشجاعة وفروسية عنترة، إلى ذلك من نماذج العظماء المتحلين بمكارم الأخلاق التي كانت موضع آراء الفلاسفة، والنقاد على مر العصور التاريخية والبشرية، ولما وجد لدى العرب من شمائل كريمة، وخلال حميدة، فرضتها ثقافة الانتماء للقبيلة والعرف في العصر الجاهلي، أقرها الإسلام حتى أصبحت نهجاً إسلامياً ببعثة محمد ^ إلى يوم الدين، الأمر الذي أغفلته بعض الدراسات والآراء النقدية التي انتقصت العرب وأبرزت جوانب سلبية مما عرف في كل مجتمع من المجتمعات ولم تختص بمجتمع دون آخر، وا تخذت من شعر النقائض مثلاً لإظهار السباب والشتائم دليلاً على ما ذهبت إليه، برغم الجوانب المضيئة التي وردت في ذلك الفن الشعري من مكارم الأخلاق.

ولما كانت الأخلاق بهذه المنزلة الرفيعة في بناء المجتمعات وتهذيب أفرادها خاصة تلك النماذج المجتمعية المضيئة بكريم الشمائل، أردت أن تكون ورقات هذا البحث إضاءة حول (مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق)؛ ذلك أن من يقرأ تلك النقائض قراءة منصفة تستجلي كريم الصفات عند الشاعرين وقومهما، وتعكس ما كان عليه القوم من حرص على التحلي بها، وهي بحق وثائق تاريخية تحكي حال المجتمع الأموي الذي هو الأقرب إلى عصر صدر

---

(١) القلم: ٤.



الإسلام، الذي أقر مكارم أخلاق الجاهليين وهذبها وزاد عليها، وبرغم الاضطرابات السياسية والاجتماعية ودخول العنصر غير العربي ـ بما لديه من ثقافة وعادات ـ في المجتمع الأموي إلا أنه ظل متمسكاً بمكارم الأخلاق، ولا أدل على ذلك مما ورد في نقائض جرير والفرزدق التي كانت تلقى على مسامع القوم وتذهب بها الركبان كل مذهب.

وقد استعنت بالله تعالى للكتابة في هذا الموضوع تحت عنوان: **(مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق المضمون والفن).**

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني لاختيار هذه الدراسة أمور منها:

١. إنصاف جرير والفرزدق، اللذين ذهبت الكثير من الدراسات إلى التركيز على الجانب السلبي في نقائضهما وإبراز عبارات السِّباب والشتائم، دون ذكر لما ورد فيها من أخلاق كريمة.
٢. إيضاح دور الأدب بصفة عامة، والشعر بخاصة في الرقي بالمجتمع وحضه على التحلي بمكارم الأخلاق، وخصوصاً في إبراز جوانب فن النقائض الذي غلب على طبيعته عنصر الجدل والمناظرة، وما في ذلك من سبيل إلى الإقناع.
٣. التركيز على مكارم الأخلاق وإبرازها، وخاصة في هذا العصر الذي تبدلت فيه الكثير من القيم في ظل الانفتاح الفضائي، وتقدم التقنية والثورة المعلوماتية، وما ظهر في بعض المجتمعات العربية والإسلامية من ظواهر غير مرغوبة نتيجة تلقي ثقافة الآخر دون قراءتها قراءة فاحصة.
٤. الرد على بعض الآراء والدراسات التي ترى في النقائض مثلاً لانتقاص العرب، من خلال إظهار السباب والشتائم في شعر النقائض.

الهدف من الدراسة:

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تلك المكارم الأخلاقية التي حفلت بها نقائض جرير والفرزدق، ولا أعلم دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع في بحث مختص، بل ركزت جميع الدراسات السابقة على استعراض أسباب نشوب النقائض بين الشاعرين وبقية الشعراء المناصرين لكل منهما، ومن هذه المؤلفات والدراسات:

- ما ورد في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الذي ركز على ذكر نسب كل من الشاعرين واختلاف الناس حول شاعرية كل منهما، وتفضيل أحدهما على الآخر.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، وتناوله نسب الشاعرين وسيرورة نقائضهما بين الناس.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلّام، وتصنيفه للشاعرين في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، واستعراض أبيات من نقائضهما، والمميزات الفنية لكل منهما.
- العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، وقد تناول فيه أسباب نشوب النقائض بين الشعراء، وأسباب احتدام الهجاء بين جرير والفرزدق لأكثر من أربعين عاماً.

– إضافة لما جاء في النقائض لنعمان عاشور.
– وتاريخ النقائض لأحمد الشايب.
– وما ورد في كتب تاريخ الأدب، ككتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري للدكتور محمد مصطفى هدارة، وتاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري لنجيب محمد البهبيتي.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث تقسيمه إلى فصلين، تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

مقدمة: وتتضمن بياناً بموضوع الرسالة، وأهدافه، وأسباب اختياره، وعرضاً لبعض الدراسات السابقة في موضوع النقائض.

التمهيد: وقد اشتمل على عرض لأهمية الأخلاق، وآراء فلاسفة اليونان حولها، ثم ما تمتع به مجتمع الجاهلية من أخلاق كريمة، ثم الأخلاق في العصر الإسلامي، وإقرار الإسلام لعدد من مكارم الجاهلية وتهذيبها والحث على الزيادة عليها، وأعقبت ذلك بتوضيح مفهوم مكارم الأخلاق في اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: وقد بدأته بمدخل حول فن النقائض، وأسباب اقتصار الدراسة على نقائض جرير والفرزدق، ثم الدراسة الموضوعية لأنماط مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق كـ(رجاحة العقل، والفروسية، والكرم، والشجاعة، والعدل، والوفاء بالعهد، والمروءة، والصبر، وصلة الرحم)، وعرضت السياقات الشعرية التي وردت بها تلك المكارم، كـ(الفخر، والمدح، والهجاء، والوصف، والرثاء).

الفصل الثاني: وفيه مبحثان:

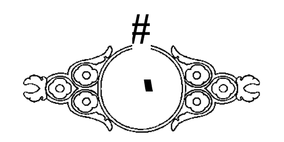
الأول: لغة الشعر، وألفاظه، وأساليبه، وتراكيبه، والموسيقى الشعرية.

والثاني: المعنى الشعري بين الإبداع والاتباع، وبناء القصيدة.

الخاتمة: وتتضمن تلخيصاً لما ورد في البحث بشقيه: الدراسة الموضوعية والفنية، واشتملت أيضاً على نتائج الدراسة.

وأخيراً وضعت قائمة بمصادر ومراجع البحث اعتمدت فيها على ترتيب ما أفدت منه من المصادر والمراجع ترتيباً هجائياً.

وقد آثرت أن اتبع المنهج التكاملي في دراستي هذه؛ ذلك أن طبيعة فن النقائض، وما كان يصاحبها من عوامل سياسية واجتماعية، وما حوته من ذكر لأيام ووقائع القوم التاريخية، والعوامل النفسية لكل من الشاعرين أثرت جميعها في تشكيل هذا الفن، وخروج نقائض الشاعرين بتلك الصورة الفنية التي كتبت لها



الاستمرار والخلود، وقد اعتمدت على ديوان النقائض (نقائض جرير والفرزدق) لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، بالإضافة إلى ديواني الشاعرين، وعدد من المصادر والمراجع الأدبية والنقدية، وأفدت منها ما وسعني الجهد إلى ذلك.

ولم تخل مسيرة البحث من وجود بعض العقبات التي اعترضته وأهمها أنه برغم كثرة الدراسات حول فن النقائض وحول الأدب الأموي إلا أنها لم تشر من قريب أو بعيد لمكارم الأخلاق فيه، مما صعّب المهمة لتجلية هذا الأمر وإظهاره بهذه الصورة التي أرجو أن تكون إضافة نوعية في موضوعها.

ولا أدّعي هنا أنني استطعت أن أوفي الدراسة حقها لتصل إلى الكمال، فالكمال لله وحده، وحسبي أني اجتهدت وبذلت ما استطعت، بإخلاص نية، واحتساب عمل، وما توفيقي إلا بالله.

ومن العرفان بالجميل أقدم الشكر أجزله لمن أرشد، ووجه، وأعطى عطاء العالم برحابة صدر، وغزير علم، **لمشرفي سعادة الأستاذ الدكتور/ مصطفى حسين عناية،** على ما قدمه من توجيهات سديدة، واستدراكات دقيقة، وتوجيه مقدّر، ومتابعة حريصة، سائلاً الله تعالى أن يجزل له المثوبة والأجر.

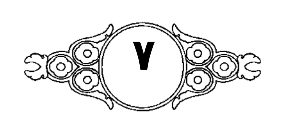
ودعاء صادق للأستاذين الفاضلين، مناقشي الرسالة سعادة الأستاذ الدكتور/ حسن بن محمد باجودة، وسعادة الدكتور/ صالح بن جمال بدوي، على ما بذلاه من جهد في قراءتها، وإبداء ملحوظاتهما حولها، فلهما كل الشكر وعظيم التقدير.

والشكر موصول لجامعتي جامعة أم القرى ممثلة في معالي مديرها الحالي الأستاذ الدكتور/ عدنان بن محمد وزان، والسابق معالي الأستاذ الدكتور/ ناصر الصالح، ولأساتذتي في كلية اللغة العربية وعلى رأسهم سعادة عميد الكلية الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن ناصر القرني، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الزهراني، وكافة أساتذتي في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

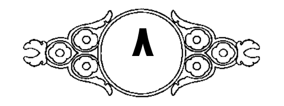
ودعاء دائم بقلب مخلص إلى روح والدي رحمه الله الذي علّم ووجّه بحرص الأب وحنوّ الوالد، ولوالدتي التي كان لدعائها - بعد توفيق الله - أبلغ الأثر في نفسي لمواصلة البحث وإنجاز هذا العمل، ولزوجتي وأبنائي الذين شاركوني همّ البحث وعناءه وشدوا من أزري وتحملوا انشغالي وبادلوني ابتسامة الرضى.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في خروج هذا العمل وتذليل الصعوبات التي اعترضته حتى رأى النور - والحمد لله - وحسبي ربي عليه توكلت وإليه أنيب.

ٱٱٱ



التمهيد



التمهيد

تعد الأخلاق دعامة قوية وأساسًا من دعائم بقاء الأمم واستمرارها، وما من أمة سادت إلا وكان للأخلاق فيها شأن عظيم ؛ لذا لا غرابة أن تأتي خاتمة الرسالات السماوية المتمثلة في بعثة محمد ^ لإتمام مكارم الأخلاق، (والنبي ^ أخبر أن مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»)[1].

وإذا كانت الشريعة الإسلامية أتت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فإن من النور الذي أتت به الحث على مكارم الأخلاق والتحذير والتنفير من مساوئها.

فأقر الإسلام ما وُجد لدى العرب في الجاهلية من أخلاق كريمة، كالوفاء بالعهد، والأمانة، والصدق، والكرم، والشجاعة...؛ لما لها من أثر في بناء مجتمع مترابط تؤطره تعاليم الكتاب والسنة، وتدله إلى خيري الدنيا والآخرة (ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيّرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وتنتشر أيضاً الثقة المتبادلة، والألفة، والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء...)[2].

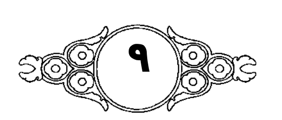
وإذا ما علمنا (أن سقوط الأمم والحضارات كثيراً ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، كما قررها بعض المؤرخين مثل جيبون وابن خلدون)[3]، فإن من أسباب بقائها واستمرارها وتطورها هو ما تتمتع به من أخلاق.

ولئن كانت الشريعة الإسلامية خالدة كما أراد الله لها فإن (الأخلاق الفاضلة من أهم الأسس التي اعتمدها الإسلام في بناء الفرد وإصلاح المجتمع؛ إذ بها يتم دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً)[4].

وقد بين القرآن الكريم ما كان عليه الرسول ^ من خلق فاضل كريم فقال تعالى: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ)[5].

---

(١) مكارم الأخلاق للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وترتيب خالد أبو صالح، والحديث في البخاري في الأدب المفرد، رقم [٢٧٣].
(٢) علم الأخلاق الإسلامية، د. مقداد يالجن، دار عالم الكتب (ص٨).
(٣) علم الأخلاق الإسلامية (ص٩).
(٤) الأخلاق في الإسلام ـ النظرية والتطبيق، د. إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد (ص١٣).
(٥) القلم: ٤.



ولما للشعر من دور في تهذيب النفوس وصقلها والإشادة بالجوانب المشرقة فيها، فقد اهتم الأدباء والنقاد بإبراز هذه القضية والحث على مكارم الأخلاق على امتداد العصور الأدبية.

فعند اليونان:

(تمثل الأخلاق حيزاً كبيراً في الفكر اليوناني، وتمثل جانباً مهماً من جوانب التفكير العقلي عندهم)[1]، (ويعد سقراط من أوائل الذين تحدثوا عن الأخلاق ويرى بعضهم: «أنه نقطة البدء الرئيسة التي صدرت عنها كل اتجاهات التفكير الخلقي اليونانية»)[2].

فكان أن توصل إلى نظرية المعرفة التي من خلالها بنى فلسفته الأخلاقية ونفذ (إلى بناء معاملات الناس على أساس علمي، وكان يذهب إلى أن الأخلاق والمعاملات لا تكون صحيحة إلا إذا كانت مبنية على العلم، وكان يرى أن الفضيلة هي العلم، وأن الرذيلة هي الجهل)[3].

وسعى من خلال نظريته إلى أن يبرر أن الخير لا يأتي إلا عن معرفة، وإعمال العقل، وبذا جعل العقل مصدراً للأخلاق الكريمة كونه لا يقدم عليها إلا عن معرفة، (فجعل غاية الشعر تقويم السلوك وتوجيهه إلى الخير والحق والجمال، فربط وظيفة الشعر بمشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية)[4].

ثم جاء أفلاطون الذي جعل العدالة هي الفضيلة العليا فقرر أن (أصول الفضائل أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، وهي قوام الأمم كما أنها قوام الأفراد، ففي الأمم نرى الحكمة فضيلة الحكام، والشجاعة فضيلة الجنود، والعفة فضيلة الرعية، والعدل فضيلة الجميع، تحدد لكل إنسان عمله وتطلب منه أن يعمل على أحسن وجه، وكذلك الشأن في الفرد)[5].

وبهذا نلحظ أن أفلاطون ينظر للنفس البشرية باعتبار ما يتنازعها من عوامل

---

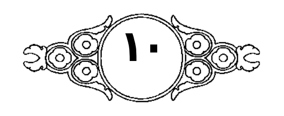
(١) القيم الخلقية في النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير لمطلق بن محمد عسيري - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (ص١١).

(٢) المجمل في تاريخ علم الأخلاق، هـ. سد جويك، ترجمة: د. توفيق الطويل، عبد الحميد حمدي (ج١/ص٤٩)، دار نشر الثقافة - الإسكندرية، (ط١) ١٩٤٩م، نقلاً عن القيم الخلقية في النقد العربي (ص١١).

(٣) الأخلاق في الإسلام (ص٥٥).

(٤) الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، د. محمد بن مريسي الحارثي - مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، الكتاب (٦٤) - دار المدني - جدة (ص١٢).

(٥) كتاب الأخلاق لأحمد أمين (ط٩) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مكتبة النهضة المصرية (ص١٢٠).



تؤثر عليها فتدفعها لعمل الخير، وذهب يفسر تلك النوازع على أساس ما يلحظه في طبقات المجتمع المختلفة.

فقد (اعتبر العقل مكانه الدماغ، وفضيلته الحكمة، وتقابل هذه طبقة المفكرين والفلاسفة، واعتبر أن قوة الغضب مكانها القلب وميزتها الشجاعة التي تمثل طبقة الجند، واعتبر الشهوة التي مركزها البطن وميزتها العفة، تقابل طبقة العمال المنتجين)[1].

فـ(الحكمة هي الفضيلة الحاكمة للشخص المدبرة له، والشجاعة فضيلة بها يدفع الشرور، والعفة بها يقاوم الميل إلى التغالي في اللذائذ، والعدل الفضيلة الدافعة للعمل بما يتفق مع مصلحة الناس)[2].

وهو ما تضمنته نظريته في الفلسفة الأخلاقية «نظرية المثل».

ثم جاء أرسطو الذي يرى أن (الخير للإنسان ليس في لذة حواسه فقط؛ لأن الإحساس وحده وظيفة الحيوان لا الإنسان، أما وظيفة الإنسان التي امتاز بها فالعقل، فعمل العقل هو الخير بالنسبة للإنسان، والأخلاقية إنما هي في الحياة العقلية)[3].

وقد بنى أرسطو فلسفته على ما عُرف بالسعادة (فلم يبتعد بمعنى السعادة عن حدود أفعال الإنسان الخيّرة، ولكنه جعلها قمة هذه الأفعال الخيّرة)[4].

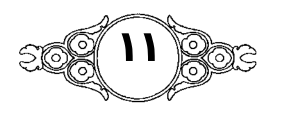
فهو يذهب إلى أن (الفضيلة وسط بين رذيلتين، فالكرم مثلاً فضيلة وسط بين الإسراف والتقتير وكلاهما رذيلة، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور وكلاهما رذيلة، وهكذا)[5].

ومع ما نأخذه على تلك الآراء الفلسفية عند فلاسفة اليونان إلا أنها كانت تمهيداً لظهور الاتجاه الأخلاقي كمنهج نقدي في الأدب.

فنجد سقراط قد ركز على العلم المفضي إلى الخير، وأهمل ما سواه في التعاملات الإنسانية، (ولم يعرف سقراط رأيه في الغاية الأخلاقية، وبعبارة أخرى

----

(١) انظر في ذلك: التربية في الإسلام ـ النظرية والمنهج، د. عدنان علي رضا النحوي، (ط١) ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ـ دار النحوي للنشر والتوزيع (ص٧٥).
(٢) كتاب الأخلاق (ص١٢٠).
(٣) القيم الخلقية في النقد العربي (ص٢١).
(٤) السابق (ص٢٢).
(٥) الأخلاق في الإسلام (ص٥٧).



في المقياس الذي تقاس به الأعمال فيحكم عليها بأنها خير أو شر)[١].

بينما جعل أفلاطون العدل هو الفضيلة المقدمة على ما سواها من الفضائل وعدها الدافعة للعمل وفق المصلحة، فجعل الفضيلة وسيلة للوصول إلى مصالح الناس.

بينما جعل أرسطو للفضيلة حدوداً بين رذيلتين، في حين أن هذا المقياس غير متوازن في جميع الفضائل (وهل هناك وسط بين الصدق والكذب!)[٢]، فهو لا يجد الفضيلة إلا فيما أعمل فيه العقل.

واختلفت النظرة الفلسفية للأخلاق من كاتب لآخر، ولسنا هنا في صدد التفصيل في تلك الآراء بقدر ما هي إشارة لبدء هذه الفلسفة عند اليونانيين القدماء (وإذا قلنا إنَّ اليونان هم أول من أسس علم الأخلاق فليس معنى ذلك أن الأمم الأخرى قبل اليونان لم تكن لها فلسفة وأخلاق، فالعقل والأخلاقيات من لوازم البشر في كل العصور)[٣].

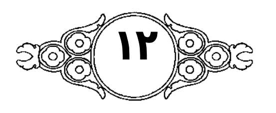
الأخلاق في العصر الجاهلي:

العرب أمة تجد فخرها في بلاغة القول وروعة البيان؛ لذا حملت إلينا كتب الأدب ما جرى على ألسنة الشعراء من المفاخرة بمكارم الأخلاق (وكانت الفضيلة العليا لديهم تتمثل في «المروءة» التي تقوم على الشجاعة والكرم، ومن المروءة الحلم والصبر والعفو عند المقدرة، وقرى الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف... إلخ)[٤].

وربما يعود اهتمام العرب في ذلك العصر بمكارم الأخلاق لما تمليه عليهم ثقافة الانتماء للقبيلة، ويرى ـ ابن رشيق ـ أن غاية الشعر في المجتمع الجاهلي هي إعلاء القيم وجعل الأخلاق هدفاً أسمى لدى الإنسان العربي، إذ يقول: «وكان الكلام كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمائحها الأجواد، لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم»[٥].

---

(١) كتاب الأخلاق (ص١١٩).
(٢) الأخلاق في الإسلام (ص٥٧).
(٣)، (٢) الأخلاق في الإسلام (ص٥٥ ـ ٥٨).
(٥) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ج١/ص٢٠).



وتعد (إشادة الشعراء بمفاخرهم ومفاخر قبائلهم وما امتازوا به من فضائل إحدى ملامح الرؤية الشعرية عند هؤلاء الجاهليين، فالتغني بهذه الفضائل يمثل دعوة ضمنية إلى اكتسابها، والتغني بالقيم يمثل دعوة لترسيخها وتعميقها والتنبيه إليها)(١).

وبالرغم من اهتمام الجاهليين بالفضائل إلا أن هذا لا يعني أن المجتمع كان مجتمعاً مثالياً لم يعرف سوى المكارم، بل إن (أهل الجاهلية كانت فيهم دنايا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم، ويأباها الوجدان، ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان، ويفضي به إلى الدهشة والعجب... نرى أن هذه الأخلاق الثمينة ـ مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم ـ كانت سبباً في اختيارهم لحمل عبء الرسالة العامة، وقيادة الأمة الإنسانية والمجتمع البشري؛ لأن هذه الأخلاق وإن كان بعضها يفضي إلى الشر، ويجلب الحوادث المؤلمة، إلا أنها كانت في نفسها أخلاقاً ثمينة، تدر المنافع العامة للمجتمع البشري بعد شيء من الإصلاح، وهذا الذي فعله الإسلام)(٢).

الأخلاق في الإسلام:

جاء الدين الإسلامي ليهدي الناس إلى طريق الخير ويحررهم من الارتهان للقبيلة والولاء لها إلى عبادة الله تعالى، فتحول الولاء من حدود القبيلة الضيقة إلى الولاء لله تعالى باتباع هذا النهج القويم وفق ما جاء في كتاب الله الكريم وسنة رسوله ^، وسمت بذلك النفوس، وارتفعت الهمم، وأصبحت الأخلاق في ظل الإسلام جزءاً من الدين، يتخلق بها الإنسان لا لإرضاء القبيلة والعرف، وإنما لامتثال أوامر الله تعالى واتباع هدي رسوله عليه الصلاة والسلام.

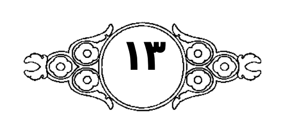
فأقر الإسلام الأخلاق الفاضلة الكريمة التي انتشر معها الترابط بين أفراد المجتمع وسادته المحبة وانصهرت الخلافات التي نشأت عن العصبية القبلية، واختفت إلى حد كبير الرذائل، لكونها تتنافى مع تعاليم الإسلام، وأصبح التفاخر بالإيمان والسعي لكماله بالأخلاق وقد قال النبي ^: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٣).

---

(١) الشعر والمجتمع في العصر الجاهلي، د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، بدون تاريخ (ص٢٢).

(٢) الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ١٤٢٤هـ (ص٣٧ ـ ٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود، رقم [٤٦٨٢] كتاب السنة.



(وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها،... وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر،... وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، وكان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة وفرّ عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه...)[١].

(قال الحسين بن عليّ: سألت أبي عن سيرة رسول الله ^ في جلسائه فقال: كان رسول الله ^ دائم البشر، سهل الخُلُق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مشّاج...)[٢].

ذلك أن الله تعالى اصطفاه لتبليغ رسالته وحمل أمانته فأثر في الناس بفعله قبل قوله، فـ(عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ^ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «**إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقاً**» متفق عليه)[٣].

(وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ^ قال: «**إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً...**») الحديث[٤].

(وعلى الجملة فقد كان النبي ^ محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، أدبه ربه فأحسن تأديبه...)[٥].

فنشأ المجتمع الإسلامي متحلياً بمكارم الأخلاق حاثاً عليها، ومنفراً من كل ما ينقصها لعلو همة المجتمع وتأثره بالنهج الرباني، فتحلى بالأخلاق الفاضلة (كالصبر والشجاعة، والعدل والمروءة، والعفة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار. وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع والقناعة، والصدق، والأخلاق، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك، فكلها

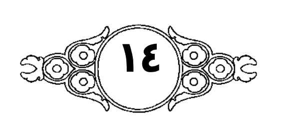
----

(١) الرحيق المختوم (ص٤٤٤ - ٤٤٥).

(٢) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي - دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) (ص١٦٠).

(٣)، (٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ^، تأليف الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م (ص ١٠).

(٥) الرحيق المختوم (ص٤٤٨).



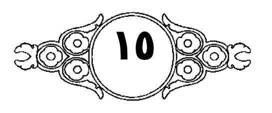
ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة، والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق)[١].

وتتعدد الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي حث عليها الإسلام، وليس المقام هنا للتفصيل فيها، ولعل ما ستتناوله الدراسة في صفحاتها القادمة عن مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق يشير إلى بعض تلك الأخلاق التي حث عليها الإسلام.

ﭑﭑﭑ

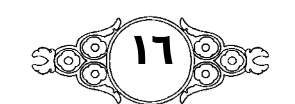
---

(١) الفوائد لابن قيّم الجوزيّة - تحقيق وإعداد مكتب البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز - نشر المكتبة، (ط٢) ١٤١٤هـ - ١٩٩٨م (ص٢٠٣).



مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق

الفصل الأول
مكارم الأخلاق
«الأنماط والسياقات»



مدخل

ا تخذ فن النقائض غرض الهجاء أساساً له؛ وذلك لتأثير العصبيات القبلية التي اشتعلت نيرانها في كل مكان (ومعروف أن الإسلام دعا إلى نبذ العصبيات وحاربها حرباً عنيفة، غير أن هذا ـ فيما يظهر ـ كان مثلاً أعلى لم يستطع العرب تحقيقه إلا إلى فترة محدودة، فلم تكد نيرانها تتحول إلى رماد، حتى عادت إلى الظهور)(١)، إلا أن (هذه العصبيات اختلطت في العصر الأموي بالسياسة، وهيأ ذلك النقيضة لأن تخوض في مديح الخلفاء والولاة، بحيث أصبحت لا تحتوي فخراً وهجاءً فحسب، بل تحتوي كذلك مديحاً، كما تحتوي نسيباً وغزلاً)(٢).

أما سبب اشتعال النقائض بين الشاعرين موضوع هذه الدراسة(٣).

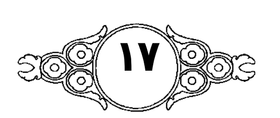
فقد تعددت الآراء حوله، ووجدت هنالك رأيين:

الأول: أعاد اشتعال النقائض لأسباب سياسية، تتمثل في موالاة بني يربوع رهط جرير لابن الزبير فاتفق هوى عشيرته مع هوى قيس التي دافع عنها جرير ووقف في صفها محامياً عنها ضد خصومها، (وتصادف أن كان قد قتل مجاشعيٌّ الزبيرَ بن العوام حين لجأ بعد موقعة الجمل إلى مجاشع، وأيضاً تصادف أن لجأت النّوار زوج الفرزدق حين غاضبته إلى ابن الزبير فأعانها عليه، مما جعل الفرزدق يهجوه)(٤).

وهناك رأي آخر أعاد نشوب النقائض بين الشعراء إلى العصبية القبلية؛ إذ (يقول الرواة إن سبب التحامهما أن شاعراً من عشيرة سليط اليربوعية يسمى غسّاناً هجا جريراً فسقط عليه بهجاء مرير، فاستغاث منه بالبعيث المجاشعي،

---

(١) تاريخ الأدب العربي ـ العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف ـ دار المعارف، ط(٢١) (ص٢٢٩).
(٢) السابق (ص٢٤٥).
(٣) جرير بن عطيّة بن حذيفة، ولقب حذيفة الخطفي؛ لقوله:
وعَنَقاً باقي الرّسيم خطيفاً
وهو من بني كليب بن يربوع.
والفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم. لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبّه بالفتيتة التي تشربها النساء وهي الفرزدقة. وكنيته: أبو فراس.
انظر: الشعر والشعراء، للعلامة أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور: عمر الطبّاع (ط١) ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الأرقم ـ بيروت (ص٣٣٩ ـ ٣٤٥ ـ ٣٤٦)، وانظر: طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلّام الجمحي، قراءة وشرح: أبو فهر محمود محمد شاكر ـ دار المدني بجدة بدون طبعة ولا تاريخ (ج٢/ص٢٩٧ـ ٢٩٨).
(٤) العصر الإسلامي (ص٢٤٢).



فأغاثه بمثل قوله في جرير وعشيرته:

أَتْرجُو كُلَيْبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيْثُهَا بخَيْرٍ وَقَدْ أعْيَا كُلَيْبَاً قَدِيْمُهَا

فانصب جرير عليه وعلى مجاشع شواظ نار، وأفحش بنسائهم إفحاشاً شديداً جعلهن يستغثن منه بالفرزدق، وكان معروفاً بإقذاعه في الهجاء... ووجدنه عاكفاً على حفظ القرآن الكريم، يريد أن يبدأ سيرة جديدة، فما زلن به يستثرنه قائلات: إن جريراً هتك عورات نسائك، وظللن يوردن عليه ذلك حتى أحفظنه، فهجا جريراً، واستطار الهجاء بينهما وامتدا به لا إلى عشيرتيهما فحسب، بل أيضاً إلى قيس وتغلب وتميم)[1].

وأعتقد أن الرأي الثاني الذي أعاد نشوب النقائض إلى العصبية القبلية هو الأقرب؛ لأن الإختلافات والاضطرابات السياسية قامت أصلاً على ذلك الأساس، فبين مؤيد ومعارض لحزب دون آخر أو جماعة دون أخرى، نشبت الحروب وقام المؤيدون والمعارضون كل يتعصب لموقفه ورهطه.

وقد ارتبط فن النقائض في أذهان القراء ودارسي الأدب بالسباب وتوجيه أقذع عبارات الانتقاص وتبادل الشتائم بين شعراء هذا الفن، وخاصة ما دار بين جرير والفرزدق اللذين اقتصرت هذه الدراسة على نقائضهما لبيان ما تضمنته من أخلاق كريمة وردت في سياقات مختلفة من نقائضهما مثل: الكرم، والوفاء بالعهد، ورجاحة العقل، والفروسية، والصبر، والإنصاف وعدم الظلم، وعلى ما يبدو كان الشاعران في كل هذا يستلهمان الإسلام في معانيهما، يقول الدكتور شوقي ضيف: (الشاعر في كل هذه الموضوعات يستلهم الإسلام في معانيه)[2].

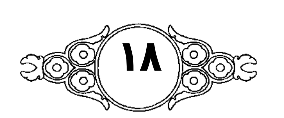
وقد خصصت هذا الفصل لدراسة أنماط مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق والسياقات التي وردت فيها، مبتدئاً بالأنماط حسب ورودها في نقائض الشاعرين منذ دخول الفرزدق طرفاً في هذا الفن، ولن أتطرق لدراسة قصائد الشعراء الذين دخلوا مناصرين لأي منهما، بل اقتصرت على نقائض الشاعرين لسببين:

الأول: أن أول من بدأ هذا الفن هو جرير، فقد ارتجز أول أبياته في هجاء بني جحيش بن سيف بن جارية بن سليط وهي قوله يرد على غسّان بن ذهيل الذي

---

(١) انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ـ تحقيق: د. قصي الحسين، مراجعة عادل عبد الجبار وأثير هادي ـ منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت (ج٣/ص٢٣٠) وما بعدها، وكذلك ديوان النقائض (نقائض جرير والفرزدق) لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ـ دار صادر ـ بيروت ط (١) ١٩٩٨ (ج١/ص٥) وما بعدها إلى أول ابتداء الفرزدق (ص١٦٦)، وانظر: العصر الإسلامي (ص٢٤٣).

(٢) العصر الإسلامي (ص٢٤٥).



استعانت به سليط ليذب عنها (شعراً)[1]:

لا تَحْسِبَنّي عن سَليطٍ غافِلاً ... إنْ تَعْشُ لَيْلاً بسَليطٍ نازِلاً
لا تَلْقَ أقراناً ولا صَواهِلاً ... ولا قِرىً للنّازِلينَ عاجِلاً

وبهذه القصيدة التي منها هذان البيتان انطلقت أشهر نقائض العصر الأموي حتى واجه جرير ثلاثة وأربعين شاعراً لم يثبت له منهم سوى الفرزدق والأخطل[2].

(ويقال إنه أسقط في الهجاء ثلاثة وأربعين شاعراً، ويقال: بل ثمانين ونيّفاً)[3]، (واستمر الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من أربعين سنة، لم يغلب واحد منهما على صاحبه)[4].

ولم يخل من ذكر حسن لمكارم الأخلاق متجاوزاً بذلك السباب والشتائم، فقد حفلت النقائض بالعديد من المكارم الأخلاقية التي حرص الشاعران على التغني بها في قصائدهما التي (اعتمدت على استيحاء روح الإسلام وما شاع في العصر من قدرة على الجدال والحوار)[5].

(وبمجرد أن نعرف أن جريراً التميمي كان يقف في نقائضه أو في أهاجيه مع الفرزدق التميمي، مدافعاً لا عن قبيلته تميم، وإنما عن قبيلة مخاصمة لها هي قيس يتضح لنا تَوّاً أننا لسنا بإزاء فن الهجاء العام وإنما نحن بإزاء فن جديد أقرب إلى أن يكون مناظرة بين الشاعرين التميميين، فالفرزدق يدافع أو يناظر عن تميم، وجرير يدافع أو يناظر عن قيس، دفاعاً حاراً لمدة أربعين سنة أو تزيد)[6].

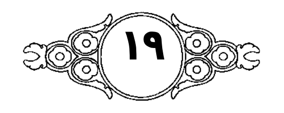
وقد أبرز الشاعران حرصهما على المكارم، وهو ما ظهر في الاعتداد بها والمفاداة من أجلها، يقول الفرزدق:

فإنّا أناسٌ نَشْتَري بدِمائِنَا ... دِيارَ المَنايا رَغْبَةً في المكارمِ[7]

والحق أن ما ورد في نقائض جرير والفرزدق من مكارم الأخلاق أثبتها كل منهما لقبيلته في سياقات مختلفة من نقائضهما لهو وثيقة تاريخية لما كان عليه

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٧١٦)، ولم يرد البيتان في ديوان الشاعر.
(٢) انظر: الأغاني (ج٣/ص٢٢٦).
(٣) العصر الإسلامي (ص٢٤٤).
(٤) طبقات فحول الشعراء (ج٢/ص٣٨٩).
(٥) العصر الإسلامي (ص٢٥٢).
(٦) الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، د. شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر (ص٤٠ ـ ٤١).
(٧) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢٦)، وانظر: ديوان الفرزدق شرح الدكتور: عمر فاروق الطبّاع (ط١)، نشر دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت (ص٦٧).



قومهما ـ اللذان هما جزء من ذلك العصر ـ من التسابق على امتثال تلك المكارم، وجدير بأن تبعث من جديد في المجتمعات المتأخرة.

الثاني: ثبات الشاعرين ـ جرير والفرزدق ـ في مواجهة بعضهما واستمرارهما في الهجاء أكثر من أربعين عاماً، برغم أن الأخطل[1]، وراعي الإبل[2] جاءا معهما في الطبقة الأولى من طبقات شعراء الإسلام كما صنفها ابن سلاّم إلا أنهما لم يثبتا كما ثبت جرير والفرزدق لمقارعة بعضهما وإظهار قدرة كل منهما (على الحوار والجدل والمناظرة في النِّحل السياسية والعقدية وفي الفقه وشئون التشريع)[3].

وما دمنا بصدد الحديث عن مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق فإنه يحسن بنا أن نقف عند مفهوم هاتين اللفظتين ـ مكارم الأخلاق ـ اللتين تحملان في مضامينهما أموراً متعددة ستأتي عليها هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

فالمكارم: جمع مكرمة، (والمَكْرُمةُ والمَكْرُمُ: فِعلُ الكَرَم، وفي الصحاح: واحدة المكارم ولا نظير له إلا مَعُونٌ من العَوْن)[4].

وجاء في لسان العرب: (رجل كَرِيم وكُرَامٌ وكُرَّام بمعنى واحد، قال: وكُرَام بالتخفيف أبلغ في الوصف وأكثر من كريم، وكُرّام بالتشديد أبلغ من كُرَام)[5].

والأخلاق: جمع خُلُق، والخُلُق هو السجية والطبع.

(وفي الحديث: «**ليس شيء في الميزان أثقل من حُسن الخُلُق**»، الخُلُق، بضم اللام وسكونها: هو الدِّين والطبْع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة)[6].

ﭑﭑﭑ

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) هو غيّاث بن غوث لقب بالأخطل؛ لقول كعب بن جعيل له: إنك لأخطل يا غلام، والخطل هو السفه وفحش القول، انظر: طبقات فحول الشعراء (ج٢/ص٢٩٨).

(٢) هو عبيدة بن حصين بن جندل، سمي راعي الإبل؛ لكثرة صِفَته للإبل وحسن نعته لها فقالوا: ما هذا إلا راعي إبل فلزمته، انظر: الطبقات (ج٢/ص٢٩٨ ـ ٢٩٩)، وقيل: هو حصين بن معاوية، انظر: الشعر والشعراء (ص٢٩٨).

(٣) العصر الإسلامي (ص٢٤٢).

(٤)، (٥) لسان العرب مادة (كَرُمَ).

(٦) نفسه، مادة (خَلَقَ).

أنماط مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق

أولاً: رجاحة العقل:

(الرّجاحة: الحِلم، على المثل أيضاً، وهم ممن يصفون الحلم بالثِّقل كما يصفون ضده بالخفة والعجل...

ورجح في مجلسه يَرْجُح: ثقل فلم يَخِفّ، وهو مَثَل...

وقومٌ رُجّحٌ ومَراجِيحُ ومَراجِحُ: حُلَماء...

والحِلْمُ الراجحُ: الذي يَزِنُ بصاحبه فلا يُخِفُّه شيء)[1]...

(والعَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقولٌ...

ورَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عَقَلْتُ البَعِيرَ إذا جَمَعْتَ قوائمه...

والعَقْلُ: التثبت في الأمور. والعَقْل: القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ، وسُمِّي العَقْلُ عقلاً؛ لأنه يَعْقِل صاحبَه عن التورُّط في المهالك أي يَحْبِسه)[2].

ولا شك أن العقل قمة الإدراك، وبه يميز الإنسان بين الخير والشر، وفرق كبير بين من حكَّم عقله، ومن اتَّبع هواه، فالأول سيرده إدراكه للأمور لاختيار أفضلها عاقبة، والثاني سيجره هواه إلى المهاوي والهلاك، والله عز وجل يقول: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ)[3].

ويقول تعالى: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ)[4].

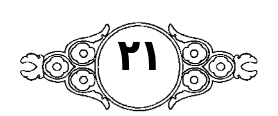
ويقول جل شأنه: (ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ)[5].

ويقول عز وجل: (□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)[6].

وواضح أن نعمة العقل من نعم الله الكبيرة على عباده فبها يميز الحق من

---

(١) لسان العرب، مادة (رجح).
(٢) نفسه، مادة (عقل).
(٣) الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٤) الجاثية: ٢٣
(٥) الزخرف: ٣.
(٦) الملك: ١٠.



الباطل عندما يكون هذا العقل مستنيراً بهدي الله باحثاً عن الخير والفضيلة التي أرادها الله للإنسان (قال بعض العلماء: ركَّب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركَّب البهائم من شهوة بلا عقل، وركَّب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم)[١].

وفي هذا يقول الفرزدق[٢]:

أحْلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

يفخر الفرزدق في البيت السابق برجاحة عقله وعقل قومه، فقد غدت أراؤهم معروفة مشهورة ذائعة؛ لأنها تصدر عن عقول رزينة ثابتة كثبات الجبال التي هي أعلام الأرض، إلا أن هذا العقل الغريزي[٣] قد يخرج عن طوعه إلى أن يفضي بصاحبه إلى المكر وخاصة في ساحات القتال.

وحول هذا المعنى يقول جرير[٤]:

أحْلامُنَا تَزِن الجِبالَ رزَانَةً ... ويَفُوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

فجرير في البيت السابق يفخر برجحان عقله وعقول قومه؛ إذ إنهم يصدرون في أفعالهم عن عقول رزينة تزن الجبال، ليس من اليسير جرَّ أصحابها إلى ما لا يفيد، وتلك العقول قد تخرج في ساحات القتال عن طبعها الغريزي إلى أن تصل إلى المكر والدهاء وهو مطلوب في مثل هذه الحال (لأن زيادة العقل تفضي بصاحبها إلى الدهاء والمكر)[٥].

ونجد الفرزدق يفخر برجاحة عقل جده ناجية الذي كان مستشاراً لقومه يوم (النِّسار)[٦]، فيقول[٧]:

----

(١) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ـ شرح وتعليق محمد كريم راجح. الطبعة السادسة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، دار إقرأ (ص٢٨).

(٢) ديوان النقائض (ج١/ص١٦٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠).

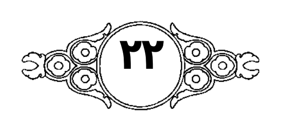
(٣) أدب الدنيا والدين (ص٨).

(٤) ديوان النقائض (ج١/ص١٩٦)، وانظر: ديوان جرير شرح الدكتور عمر فاروق الطبّاع ط (١) دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت (ص٣٦٨).

(٥) أدب الدنيا والدين (ص١٧).

(٦) يوم لضبة وتميم على بني عامر، والنِّسار: جبال صغار، وقال بعضهم هو ماء لبني عامر، انظر في ذلك: أيام العرب في الجاهلية ـ تأليف محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر (ص٣٧٨).

(٧) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٥).



وناجِيَــــةَ الَّـــذي كانَـــتْ تَمـــيمٌ   تَعـــيشُ بِحَزْمِـــهِ أَنَّـــى أشـــارا
بـــهِ رَكَـــزَ الرِّمـــاحَ بَنـــو تَمـــيمٍ   عَشِـــيَّةَ حَلَّـــتِ الظُّعُـــنُ النِّســـارا

ولو لم يكن راجح العقل لما اتجه إليه القوم لاستشارته والأخذ برأيه، وفي هذا فضيلة أن يصار إلى من عُرف برجاحة عقله وخاصة وقت المُلمّات والشدائد.

وفي ذات المعنى يقول(1):

إنَّـــا لَتـــوزَنُ بالجِبـــالِ حُلومُنـــا   ويَزيـــدُ جاهِلُنـــا عَلَـــى الجُهّـــالِ

فقد جعل عقول القوم كالجبال في ثباتها على الرأي السديد، وشدة تمسكها به؛ لأنه رأي صائب، ولو لم يكن كذلك لما ثبت هذا الثبات ما يدل على اشتهار هذا الرأي، وظهوره كما تظهر قمم الجبال لرائيها، إلا أن هذا العقل عقل مكتسب(2)، يندفع إذا استثير ليتفوق بذلك على العقل الغريزي(3)، الذي أشار له في الشطر الأول من البيت.

ومثله قوله(4):

إذا مـــا وُزِنَّـــا بالجِبـــالِ رَأَيْتَنـــا   نَميـــلُ بِأَنْضـــادِ الجِبـــالِ الأضـــاخِمِ

وهو هنا يشير إلى شهرة قومه، هذه الشهرة التي فاقت شهرة الأعلام من الأمكنة كالجبال ـ لم تكن لتأتي لولا رجاحة عقولهم التي خبرها الناس من خلال مواقفهم وأيامهم، حتى غدت آراؤهم شواهد يعود إليها الآخرون كما يستشهد السائر بأعلام الأرض كالجبال.

وقوله(5):

تَرَى النّاسَ ما سِرْنا يَسيرونَ خَلْفَنا   وإنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إلى النّاسِ وَقَفوا

يأخذ الناس برأيهم فيسيرون معهم إذا ساروا ويقفون إذا وقفوا، وذلك دليل على رجاحة عقولهم وثقة الناس برأيهم.

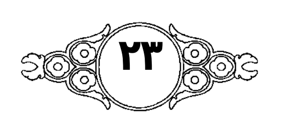
وفي ذات المعنى يقول جرير(6):

وإنّ سَـــوادَ اللَّيْـــلِ لا يَسْـــتَفِزُّني   ولا الجاعِلاتُ العاجَ فَوْقَ المَعاصِمِ

فهو هنا يبيّن رجاحة عقله بعدم التفاتته لما ينقص من قدره كانجراره وراء النساء ولو ظهرن في أكمل زينتهن، فعقله يمنعه من الانزلاق وراءهن مهما كانت

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٤٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٩).
(٢)، (٣) أدب الدنيا والدين (ص٨).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٧٠).
(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٨).
(٦) السابق (ص١٦٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤٨).



تلك الزينة، ويقصد بالنساء هنا غير المحارم.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقات:

١ ـ **الفخر**: فالفرزدق عندما افتخر برجاحة عقله وعقل قومه ووصفها برزانة الجبال افتخر أيضاً بالعز والشرف، وذكر عدداً من سادات قومه كزرارة بن عُدُس ومجاشع بن دارم ونهشل بن دارم إذ يقول[(١)]:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا بَيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ
بَيْتاً بَناهُ لَنَا المَليكُ وما بَنَى حَكَمُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَلُ
بَيْتاً زُرارَةُ مُحْتَبٍ بفِنائِهِ ومُجاشِعٌ وأبو الفَوارسِ نَهْشَلُ

إلى أن يقول:

أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رزَانَةً وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

وهو من الأبيات المقلّدة (و«المقلّد»: البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل)[(٢)].

ونجده أيضاً يذكر رجاحة عقله وعقل قومه مفتخراً، إلا أن هذا الفخر جاء في سياق مختلف، فقد جاء في سياق الرد على نقيضة لجرير تعرض فيها لأبيه غالب بن صعصعة وأمه ليلى، فجاء رد الفرزدق مفتخراً بجده ناجية الذي كان مستشاراً لقومه يوم (النِّسار)؛ إذ يقول[(٣)]:

أتَهْجو بالأقارعِ وابْنِ لَيْلَى وصَعْصَعَةَ الَّذي غَمَرَ البِحارا
وناجِيَةَ الَّذي كَانَتْ تَميمٌ تَعيشُ بحَزْمِهِ أنَّى أشارا
بهِ رَكَزَ الرِّماحَ بَنو تَميمٍ عَشِيَّةَ حَلَّتِ الظُّعُنُ النِّسارا

وقوله[(٤)]:

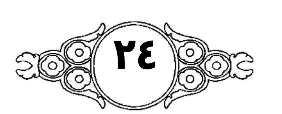
تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسيرونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أوْمَأْنا إلى النّاسِ وَقَفُوا

ففيه افتخار بقيادتهم للقوم الذين وثقوا برأيهم لرجاحة عقولهم.

وفي هذا السياق يأتي رد جرير على نقيضة للفرزدق تعرض فيها له ولقومه

---

(١) نفسه (ج١/ص١٦٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٤٨).
(٢) الطبقات (ج٢/ص٣٦١ ـ ٣٦٣).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٥).
(٤) السابق (ج٢/ص٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٢٩).



فرد بنقيضته التي مطلعها[1]:

لا خَيْـرَ فــي مُسْـتَعْجِلاتِ المَـلاوِمِ　　ولا فــي خَليـلٍ وَصْـلُهُ غَيْـرُ دائِـمِ

إلـى أن يقـول مفتخـراً برجاحـة عقله:

وإنَّ سَـــوادَ اللَّيْـــلِ لا يَسْـــتَفِزُّني　　ولا الجاعِلاتُ العاجَ فَوْقَ المعَاصِمِ

فقد ذكر رجاحة عقله وأثبت معها عدداً من المكارم والخصال الحميدة له ولقومه.

٢ ـ **الهجاء**: فالشاعر بعد أن يهجو خصمه وقومه ويذكر عدداً من مثالبهم يقابلها بعدد من المكارم والخصال الحميدة يذكرها له ولقومه، فالفرزدق في نقيضته التي مطلعها[2]:

لا قـوْمَ أكْـرَمُ مِـنْ تَمـيمٍ إذْ عَـدَتْ　　عُـوذُ النِّسَـــاءِ يُسَـــقْنَ كالآجـــالِ

هجا جريراً وذكر عدداً من مثالبه ومثالب قومه وعاد ليقابل تلك المثالب بمكارم وخصال حميدة أثبتها له ولقومه ومنها رجاحة العقل التي أشار لها في قوله:

إنَّـــا لَتـــوزَنُ بالجِبـــالِ حُلومُنـــا　　ويَزيـــدُ جاهِلُنـــا عَلَـــى الجُهّـــالِ

ومن هذه المقابلة أيضاً نجد مكرمة رجاحة العقل عند الفرزدق يثبتها له ولقومه وينفيها عن جرير وقومه:

إذا مـــا وُزِنّـــا بالجِبـــالِ رَأَيْتَنـــا　　نَميـلُ بأَنْضـادِ الجِبـالِ الأضـاخِمِ
تَرانـا إذا صَـعّدْتَ عَيْنَـكَ مُشْـرِفاً　　عَلَيْـكَ بِـأَطْوادٍ طِـوالِ المَخـارِمِ
ولَـوْ سُـئِلَتْ مَـنْ كُفْؤُنـا الشَّـمْسُ أوْمَـأَتْ　　إلَى ابْنَيْ مَنافٍ عَبْد شَمْسٍ وهاشِمِ

وفي ذات السياق نجد هذه المكرمة ترد في نقيضة جرير التي رد بها على الفرزدق ومطلعها[3]:

لِـمَنِ الـدِّيارُ كَأَنَّهـا لَـمْ تُحْلَـلِ　　بَـيْنَ الكِنـاسِ وبَـيْنَ طَلْـحِ الأَعْـزَلِ

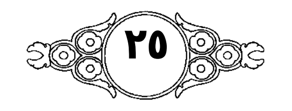
إلى أن يقول:

أحْلامُنـا تَـزِنُ الجِبـالَ رزَانَـةً　　ويَفُـوقُ جاهِلُنـا فَعـالَ الجُهَّـلِ

فبعد أن عدد مثالب الفرزدق وقومه قابلها بعدد من مكارم قومه ومنها رجاحة

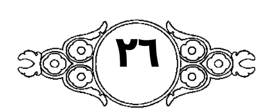
---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١٥٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤٧).
(٢) السابق (ج١/ص٢٣٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص١٨٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٦).



العقل.

ﭑﭑﭑ



ثانياً: الفروسية:

(الفَرَس: واحد الخيل، والجمع أفراس، الذكر والأنثى في ذلك سواء...
والفارس: صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فُرْسان وفَوارس...
وقد فرُس فلان، بالضم يَفْرُس فُرُوسة وفَراسة إذا حذق أمر الخيل)(١).

وهي مكرمة أقرها الإسلام وحث عليها، فقد ورد عن عمر رضي الله عنه قوله: (علموا أولادكم العَوْم والفراسة، الفَراسة، بالفتح: العِلم بركوب الخيل وركضها من الفروسية).

وفي هذه المكرمة يقول الفرزدق(٢):

وفَضَّلَ آلَ ضَبَّةَ كُلَّ يَوْمٍ وَقَائِعُ بالمُجَرَّدَةِ العَوارِي
وتَقْدِيمٌ إذا اعْتَرَكَ المَنايا بجُرْدِ الخَيْلِ فِي اللُّجَج الغِمارِ
وتَقْتِيلُ المُلُوكِ وإنَّ مِنْهُمْ فَوارِسَ يَومَ طِخْفَةَ والنِّسارِ
وإنَّهُمُ هُمُ الحامونَ لَمَّا تَواكَلَ مَنْ يَذودُ عَن الذِّمارِ

فالفرزدق هنا يفخر بفروسية قومه واقتحامهم الصفوف بخيولهم الأصيلة ذات الشعر القصير، بل إن فروسيتهم فاقت فروسية الآخرين، ويذكر يوم طخفة والنِّسار(٣) وما شهدا من فروسية عدوهم التي استطاع فرسانهم أن يتغلبوا عليها، في إشارة إلى أن فروسيتهم فاقت فروسية الآخرين.

ويقول جرير(٤):

لِيَرْبوعٍ فَوارِسُ كُلِّ يَومٍ يُواري شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبارِ

فجرير هنا يذكر فروسية قومه (بني يربوع) فما من يوم تشرق شمسه إلا وكان لفرسانهم نزال فيه حتى يحجب غبار حوافر الخيل أشعة الشمس، وهذا دليل على فروسيتهم وشدة خيلهم.

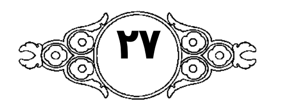
ويقول الفرزدق(٥):

حَتَّى تَدارَكَها فَوارِسُ مالِكٍ رَكْضاً بكُلِّ طُوالَةٍ وطُوالِ

يفخر الفرزدق هنا برد السبايا وفك أسرهن ـ وهي مكرمة ستأتي في الأوراق

---

(١) لسان العرب، مادة (فرس).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٢٠٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).
(٣) أراد بيوم طخفة والنِّسار يوم (ضرية) فجعله طخفة والنِّسار لقربهما من ضرية، انظر: المرجعين السابقين.
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٢١٥)، وانظر: ديوان الشاعر (ص١٧٦).
(٥) السابق (ص٢٤٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).



القادمة ـ ويذكر فروسية قومه الذين انطلقوا على ظهور الخيل لرد أولئك السبايا، وهذا دليل على شدة خيلهم التي لحقت بالقوم وأصالتها، وفطنة فرسانهم الذين اقتفوا أثر المغيرين عليهم حتى لحقوا بهم وخلّصوا السبايا منهم.

وحول أصالة الخيل واقتناء قومه لها يقول جرير[1]:

إنَّ الجِيادَ يَبِتْنَ حَولَ قِبابِنا ... مِنْ آلِ أعْوَجَ أوْ لِذي العُقّالِ

مَنْ كُلِّ مُشْتَرِفٍ وإنْ بَعُدَ المَدَى ... ضَرِمَ الرَّقاقِ مُناقِلِ الأجْرالِ

مُتَقاذِفٍ تَلِعَ كَأنَّ عِنانَهُ ... عَلِقٌ بِأجْرَدَ مِنْ جُذوعِ أوالِ

يشير جرير إلى استعداده وقومه للنزال ليلاً أو نهاراً على ظهور خيولهم المكرمة لديهم، ويفخر باقتناء قومه للخيول الأصيلة من السلالات المعروفة عند العرب (آل أعوج) أو (لذي العُقّال)، وهما (فحلان نجيبان معروفان بالنجابة والفراهة)[2].

ويشير إلى صفات خيلهم التي تحسن نقل أطرافها في أي موضع من الأرض لحذقها وفراهتها وهي فوق ذلك جريئة وذكية ترمي بنفسها رمياً دون تردد، مما يدل على نشاطها، وهو بهذا يشير إلى فروسية فرسانها الذين ينتقون خيلهم انتقاءً ولا يرضون بغير هذه الصفات التي تناسب فروسيتهم.

ويقول الفرزدق ذاكراً استعداد فرسانهم لخوض المعارك اليومية في دلالة على أن الفروسية مكرمة متأصلة فيهم في السلم والحرب[3]:

تَلْقى فَوارِسَنا إذا رَبَّقْتُمُ ... مُتَلَبِّبِينَ لِكُلِّ يَوْمِ غِوارِ

ويقول جرير مادحاً فرسان قيس التي فضلته على الفرزدق[4]:

وما زالَ في قَيْسٍ فَوارِسُ مَصْدَقٍ ... حُماةٌ وحَمّالونَ ثِقْلَ المَغارِمِ

فهم حمّالون للغُرم، ووصفهم بالفروسية في أولى ما نعتهم به من المكارم، دليل على مكانة هذه المكرمة عند العرب.

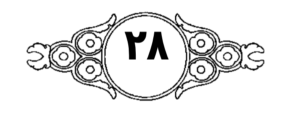
ويقول الفرزدق[5]:

صَبَحْناهُمُ الجُرْدَ الجِيادَ كَأنَّها ... قَطاً أفْزَعَتْهُ يَوْمَ طَلٍّ أجادِلُهْ

يشبه الشاعر جياد قومه في سرعتها وخفتها بالقطا عندما ترى الصقر، وإذا كانت

---

(١) نفسه (ص٢٥٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٨٤).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٢٥٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٨١).
(٣) السابق (ص٢٨١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٧).
(٤) نفسه (ص٣٣٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).
(٥) نفسه (ج٢/ص٤٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٦٣).



خيلهم بهذه الخفة والسرعة فمن البديهي أن يكون فرسانها على قدر كبير من الفروسية.

ويذكر جرير شدة فرسان قومه وسرعة عدو خيلهم في ساحات القتال(1):

أَلَـمْ تَعْرِفـوا يـا آلَ زيـقٍ فوارسـي ... إذا اغْبَرَّ مِنْ كَرِّ الطِّرادِ الحواجِبُ
حَـوَتْ هَانِئـاً يَـوْمَ الغُبيطَـيْنِ خَيْلُنـا ... وأدْرَكْـنَ بِسْـطاماً وهُـنَّ شَـوازِبُ
صَـبَحْناهُمُ جُـرْداً كَـأَنَّ غُبارَهـا ... شَـآبيبُ صَـيْفٍ يَـزْدَهيهِنَّ حاصِـبُ

فقد تغيرت ملامح القوم إذ علا حواجبهم الغبار الذي أثارته الخيل في عدوها حتى انتصرت في يوم (الغبيطين)(2) وأدركت (بسطاماً)(3) بعدوها السريع الذي يثير الغبار كما تثيره الرياح الشديدة وتحمل معه الحصباء، وهو يركز على ما ذكره من صفات خيل قومه وفروسية أصحابها.

ويقول الفرزدق(4):

ومِنّـا الَّـذي قـادَ الجِيـادَ عَلَـى الوَجـا ... لِنَجْـرانَ حَتَّـى صَـبَّحَتْها النَّزائِـعُ

فهو يذكر أن جيادهم جياد مختارة ليست كبقية الجياد، وإذا كانت جيادهم كذلك فإن فرسانهم يفوقون بقية الفرسان.

ويقول جرير(5):

لَـوْ حَـلَّ جـارُكُمُ إِلَـيَّ مَنَعْتُـهُ ... بالخَيْـلِ تَـنْحِطُ والقَنـا يَتَزَعْـزَعُ
لَـحَمَى فَوارِسُ يَـحْسِرونَ دُروعَهُمْ ... خَلْـفَ المَرافِـقِ حـينَ تَـدْمَى الأذْرُعُ

إلى أن يقول:

مِنّـا الفَـوارِسُ قَـدْ عَلِمْـتَ ورائِـسٌ ... تَهْـدِي قَنَابِلَـهُ عُقـابٌ تَلْمَـعُ

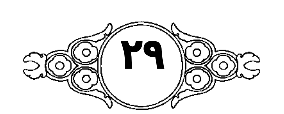
إلى أن يقول:

هَـلاّ عَـدَدْتَ فَوارِسـاً كَفَوارِسـي ... يَـوْمَ ابْـنُ كَبْشَـةَ فـي الحَديـدِ مُقَنَّـعُ

يذكر جرير قوة تحمل الخيل، فهي تزفر زفيراً، وتنحط نحيطاً، من الجهد لكنها تواصل تقدمها، في إشارة إلى أن الفارس لا يعود القهقرى، يدل على ذلك البيت الثاني، فبعد أن تدمى يد الفارس فإنه يواصل القتال حتى ولو قُطعت ذراعه

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٠١)، وانظر: ديوان جرير (ص٥٨ ـ ٥٩).
(٢) لشيبان من (ربيعة) على بني يربوع (من تميم)، والغبيط، ويسمى غبيط المدرة: أرض لبني يربوع، ويسمى هذا اليوم أيضاً بيوم الثعالب، ويوم أعشاش، ويوم صحراء فلج، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص١٩٧).
(٣) هو بسطام بن قيس الشيباني أحد فرسان بني شيبان الذين أغاروا على بني يربوع من تميم، انظر السابق بنفس الصفحة.
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٧).
(٥) السابق (ص٣١٧ ـ ٣١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩٢).



ولم يبق منها سوى المرفق ليمسك بدرعه الذي يتقي به الطعنات، فهم فرسان يحملون عدة القتال كاملة، ويعود ليقرر أنهم قوم عرفوا بالفروسية والرئاسة، وقد عمد إلى إقران الفروسية بالرئاسة والزعامة ما يدل على أن مكرمة الفروسية تكسب صاحبها مكارم أخرى، فكما تكون له رئاسة الحرب تكون له أيضاً الرئاسة والسيادة في قومه.

ويقول الفرزدق(١):

لَوْلا فَوارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكانِ

يشيد الفرزدق بفروسية تغلب، وقد مدحهم انتصاراً للأخطل على جرير، ويعدهم من فرسان العرب الذين يقفون لرد العدو، وهنا تظهر منزلة هذه المكرمة عند العرب، فالفرزدق يمدح أنصاره الذين فضلوه على جرير واختار لمدحهم مكرمة الفروسية.

ويقول جرير(٢):

فمَنْ لَكَ إنْ عَدَّدْتَ مِثْلَ فوارسي حَوَوْا حَكَماً والحَضْرَمِيَّ بنَ خالِدِ

يذكر جرير في البيت السابق اثنين من الفرسان اللذين أسرهما قومه وهما (الحضرمي بن عامر، والحكم بن مروان بن زنباع)(٣)، فهو يفخر بقومه الذين أسروا هذين الفارسين، ولو لم تكن لهذه المكرمة منزلة عند العرب لما افتخر بأسر هذين الفارسين، ما يدل على أن فروسية قومه فاقت فروسيتهما وإلا لما استطاعوا أسرهما.

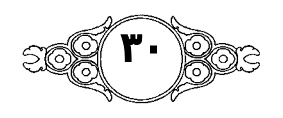
ويقول جرير أيضاً(٤):

وقَدْ جَعَلَتْ يَوْماً بطِخْفَةَ خَيْلُنا لآلِ أبي قابوسَ يَوْماً مُذَكَّراً
فنوردُ يَوْمَ الرَّوْعِ خَيْلاً مُغيرَةً وتوردُ ناباً تَحْمِلُ الكِيرَ صَوْءَرا

يفخر الشاعر في البيتين السابقين بانتصار قومه يوم (طخفة)(٥)، وما ذلك النصر إلا لفروسيتهم، وشدة خيلهم، التي تغير على العدو دون تردد كما أغارت

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٦١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٣).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٣٢)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٧).
(٣) السابق (ص٣٣٢).
(٤) نفسه (ص٣٣٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢١٩).
(٥) لبني يربوع على المنذر بن ماء السماء. وطخفة: موضع في طريق البصرة إلى مكة، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٩٤).



في حرب (صوءر)[1].

ويقول في نقيضة أخرى[2]:

إذا آباؤُنـا وأبـوكَ عُـدُّوا ... أبَـانَ المُقْرِفَـاتُ مِـنْ العِـرابِ
فَأوْرَثَـكَ العَـلاةَ وأوْرَثُونـا ... ربـاطَ الخَيْـلِ أفْنِيَـةَ القِبَـابِ

فجرير في هذين البيتين يفخر بفروسية قومه التي ورثوها عن آبائهم، فهذه المكرمة ملازمة لهم يتوارثها الأبناء عن الآباء، مما يدل على مكانتها عندهم.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقات:

١ ـ الفخر: فالفرزدق عندما افتخر بقومه وعلى الأخص جده صعصعة مستشار القوم يوم (النّسار) وذكر أفعال ضبة الذين استعانوا بتميم في ذلك اليوم واستعانت تميم ببني عامر بن صعصعة، افتخر الفرزدق بما فعله القوم في ميدان القتال وعلى الأخص الفروسية التي أظهروها؛ إذ يقول[3]:

وفَضَّـلَ آلَ ضَبَّةَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... وَقَـائِعُ بـالمُجَرَّدَةِ العَـوارِي
وتَقْـديمٌ إذا اعْتَـرَكَ المَنَايـا ... بجُـرْدِ الخَيْـلِ فِـي اللُّجَـجِ الغِمـارِ

وكذلك قوله[4]:

تَلْقَـى فوارِسَـنا إذا رَبَّقْـتُمُ ... مُتَلَبِّـبينَ لِكُـلِّ يَـوْمِ غِـوارِ

فهو يفخر بفروسية قومه التي ورثوها عن أجدادهم كابراً عن كابر.

وفي ذات السياق نجد جريراً يفخر بفروسية قومه الذين هم مستعدون لأية منازلة، فهم معروفون بفروسيتهم التي تظهر في أحلك الظروف، ولفروسيتهم وسرعة عَدْوهم يرتفع الغبار من حوافر الخيل فيحجب ضوء الشمس، وهنا يقابل بين فروسية قومه وفروسية خصمه وقومه التي لا تصل إلى فروسية جرير وقومه؛ إذ يقول[5]:

---

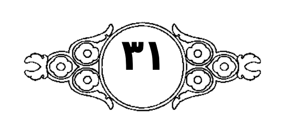
(١) لبني حنظلة على بني رياح (كلاهما من تميم). صوءر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام، وهو الموضع الذي عاقر فيه غالب بن صعصعة سحيم بن وثيل، انظر في ذلك: أيام العرب في الجاهلية (ص٤٠١)، وكذلك ديوان جرير (ص٢١٩).

(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤).

(٣) السابق (ج١/ص٢٠٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).

(٤) نفسه (ص٢٨١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٧).

(٥) ديوان النقائض (ج١/ص٢١٥)، وانظر: ديوان جرير (ص١٧٦).



بيَرْبُــوعٍ فَخَــرْتُ وآلِ سَــعْدٍ فَـلا مَجْـدي بَلَغْـتَ ولا افْتِخَـاري

وكذلك قوله:

إذا آباؤُنــا وأبــوكَ عُــدُّوا أبَـانَ المُقْرِفَـاتُ مِـنْ العِـرابِ
فأَوْرَثَــكَ العَــلاةَ وأَوْرَثونــا رِبــاطَ الخَيْــلِ أَفْنِيَــةَ القِبــابِ

فهو يقابل بين صفات قومه وقوم خصمه، فقد ورثوا رباط الخيل في دلالة إلى اقتناء الخيل الأصيلة المرابطة، وفروسية أصحابها، بينما لم يرث خصمه سوى السندان في إشارة إلى أن أباه كان حداداً، وقيل العلاة: أداة يحلب بها، وفي كلا الحالين يقابل الشاعر بين صفاته وصفات خصمه.

وكذلك افتخاره باقتناء الخيل الأصيلة؛ إذ يقول:

إنَّ الجِيـادَ يَبِـتْنَ حَـوْلَ قِبابنـا مِـنْ آلِ أعْـوَجَ أوْ لِـذي العُقّـالِ
مَـنْ كُـلِّ مُشْـتَرَفٍ وإنْ بَعُدَ المَدَى ضَـرِمَ الرَّقـاقِ مُناقِـلِ الأجْـرالِ
مُتَقـاذِفٍ تَلِـعَ كَـأَنَّ عِنانَـهُ عَلِـقٌ بـأَجْرَدَ مِـنْ جُـذوعِ أوالِ

وجاء في هذا السياق أيضًا:

أ ـ رد السبايا وذكر شجاعة القوم: فقد ارتبطت مكرمة الفروسية في مواضع كثيرة من نقائض الشاعرين بمكرمة الشجاعة، وكذلك رد السبايا، فالفرزدق يذكر فروسية قومه وردهم السبايا من بني يربوع عندما أغار عليهم الحوفزان بن شريك يوم (ذي بيض)[1]؛ إذ يقول:

حَتَّـى تَـدارَكَها فَـوارسُ مالِـكٍ رَكْضـاً بِكُـلِّ طُوالَـةٍ وطُـوالِ

ب ـ ذكر أيام القبائل: وانتصار قبيلة الشاعر أو خسران قبيلة خصمه، فالفرزدق يذكر غزوة قومه لنجران، ويذكر فروسيتهم؛ إذ يقول:

صَـبَحْناهُمُ الجُـرْدَ الجِيـادَ كَأَنَّهـا قَطـاً أفْزَعَتْـهُ يَـوْمَ طَـلٍّ أجادِلُـهْ

فهو يذكر فروسية قومه الذين أغاروا على بني الحارث بن كعب بنجران، ويشبه خيولهم بطائر القطا الذي يفزعه الصقر دليلاً على سرعة عدو خيلهم ومهارة فرسانها.

ومنه قوله:

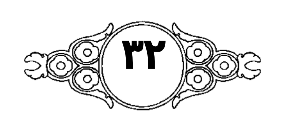
ومِنّا الّذي قادَ الجِيادَ عَلَى الوَجا لِنَجْـرانَ حَتَّـى صَـبَّحتْها النَّزائِـعُ

وفي ذات السياق قول جرير:

أَلَـمْ تَعْرِفـوا يـا آلَ زيـقٍ فوارسـي إذا اغْبَرَّ مِنْ كَرِّ الطِّرادِ الحواجِبُ

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٤٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).



حَـوَتْ هَانِئـاً يَـوْمَ الغُبيطَـيْنِ خَيْلُنـا وأدْرَكْـنَ بِسْـطاماً وهُـنَّ شَـوازِبُ

فهو يذكر فروسية قومه وشدة خيلهم التي ظهرت يوم (الغبيطين) حتى انتصروا فيه على خصومهم.

ومنه أيضاً قول الفرزدق[1]:

لَـوْلا فَـوارِسُ تَغْلِـبَ ابْنَـةِ وائِـلٍ نَـزَلَ العَـدُوُّ عَلَيْـكَ كُـلَّ مَكـانِ
حَبَسوا ابْنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا برِماحِهِمْ يَـوْمَ الكُـلابِ كَـأكْرَمِ البُنْيـانِ

فهو يذكر فروسية تغلب وحماها لجرير وقومه وانتصارهم يوم (الكُلاب)[2].

ومنه قول جرير:

وقَـدْ جَعَلَـتْ يَوْمـاً بِطِخْفَـةَ خَيْلُنـا لآلِ أبـي قـابوسَ يَوْمـاً مُـذَكَّرا

فهو يذكر انتصارهم في موقعة (طخفة) وهم على خيولهم الأصيلة التي استطاعوا أن يردوا بها عدوهم.

وقوله:

هَـلاَّ عَـدَدْتَ فَوارِسـاً كَفَوارِسـي يَـوْمَ ابْـنُ كَبْشَـةَ فـي الحَديـدِ مُقَنَّـعُ

فهو يذكر فروسية قومه وانتصارهم يوم (ذي نجب)[3].

ج ـ إكرام الجار ومنعته: فجرير يذكر فروسية قومه التي يفتقدها الفرزدق وقومه وهم بتلك الفروسية يستطيعون منع جارهم وإكرامه، ولو أن عبد الله بن الزبير استجارهم لأجاروه ومنعوه[4]؛ إذ يقول[5]:

لَـما أتَـى خَبَـرُ الزُّبَيْـرِ تَواضَـعَتْ سُـورُ المَـدينَةِ والجِبـالُ الخُشَّـعُ

إلى أن يقول:

لَـوْ حَـلَّ جـارُكُمُ إلَـيَّ مَنَعْتُـهُ بالخَيْـلِ تَـنْحِطُ والقَنـا يَتَزَعْـزَعُ
لَحَمَى فَوارِسُ يَحْسِرونَ دُروعَهُمْ خَلْفَ المَرافِقِ حينَ تَـدْمَى الأذْرُعُ

---

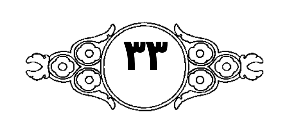
(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٦١ ـ ٢٦٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٣).

(٢) (يوم الكُلاب الأول) وكان لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور آل المرار على أخيه شرحبيل، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٤٦)، و(يوم الكُلاب الثاني) وكان لتميم على مذحج، والكُلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة، انظر: (ص١٢٤)، وانظر كذلك: ديوان النقائض (ج١/ص٣٧٤ ـ ٣٨٢).

(٣) لبني تميم على بني عامر (من قيس). وذو نجب ذكره ياقوت فقال: موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٣٦٥).

(٤) لجأ الزبير بن العوام لقبيلة مجاشع بعد موقعة الجمل لكنه لم يسلم منهم إذ قتله أحدهم، انظر: العصر الإسلامي (ص٢٤٢)، وانظر: ديوان النقائض (ج٢/ص٢١٩).

(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص٣١٦ ـ٣١٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩١).



إلى أن يقول:

مِنّـا الفَـوارسُ قَـدْ عَلِمْـتَ ورائِـسٌ   تَهْــدِي قَنَابِلَـــهُ عُقَـــابٌ تَلْمَـــعُ

فهو يعتد بفرسان قومه الذين يحمون الجار ويمنعونه.

د ـ إطلاق الأسرى: كقول جرير[1]:

فمَـنْ لَـكَ إنْ عَـدَّدْتَ مِثْـلَ فوارسـي   حَـوَوْا حَكَمـاً والحَضْـرَمِيَّ بـنَ خالِـدِ

فهو يذكر أسر قومه لمن عرف بفروسيته وهما (الحضرمي بن عامر، والحكم بن مروان بن زنباع)، ويذكر إطلاق الفرزدق الذي حبسه خالد البجلي وأطلقه عندما سمع قصيدة جرير ومدحته فيه.

٢ ـ المدح: كقول جرير[2]:

وما زالَ في قَيْسٍ فَوارسُ مَصْدَقٍ   حُمـــاةٌ وحَمّـــالونَ ثِقْـــلَ المَغـــارِمِ

---

(١) السابق (ص٣٣٢)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٧).

(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٣٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).

ثالثاً: الكرم:

خلق رفيع، يسمو بصاحبه إلى مصاف إيثار الآخر، ويورثه السيادة والذكر الحسن، وفي اللسان[1]:

(«الكريم: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المُعطِي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل»).

يقول تبارك وتعالى: (ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ)[2]، (فعند هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لسادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء»)[3].

ويقول عز وجل: (ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ)[4].

و(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ^ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: **«من يضيّف هذا الليلة رحمه الله تعالى»**، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال: فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي ^ فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»)[5]، (وكان كرمه ^ كرماً في محله، ينفق المال لله وبالله، إما لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفاً على الإسلام، أو تشريعاً للأمة)[6].

والكرم متأصل في العرب منذ الجاهلية يقول حاتم الطائي[7]:

---

(١) لسان العرب، مادة (كرم).
(٢) الليل: ٥ ـ ٧.
(٣) أدب الدنيا والدين (ص١٩٨).
(٤) البلد: ١١ ـ ١٦.
(٥) مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض، والحديث في كتاب الأطعمة ـ باب في إيثار الضيف رقم [١٣٠٩] (ص٣٤٦ ـ ٣٤٧).
(٦) مكارم الأخلاق (ص٥٧).
(٧) ديوانه، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ـ مطبعة المدني ـ القاهرة بدون طبعة ولا تاريخ (ص٢٠٩ ـ ٢١٤)، وانظر: العقد الفريد للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق وتعليق =

أماويّ قد طال التّجنُّبُ والهَجْرُ ... وَقَدْ عَذَرَتْنَا عَن طِلابِكُمُ العُذْرُ
أماويّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويَبقى من المالِ الأحاديثُ والذكْرُ
أماويَّ إمّا مانعٌ فمُبيِّنٌ ... وَإمّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ
أماويَّ إنِّي لاَ أقولُ لسائلٍ ... إذا جاءَ يَوْماً حَلَّ في مالِيَ النَّذْرُ
أماويَّ ما يُغني الثراءُ عَنِ الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ

إلى أن يقول:

وقدْ يَعلمُ الأقوامُ لَو أنَّ حاتماً ... أرادَ ثراءَ المالِ كانَ لَه وَفْرُ

فحاتم الذي هو مضرب المثل في الكرم عند العرب يخاطب زوجه التي عذلته على إنفاقه، يجادلها هذا الجدال العقلي المقنع بأن المال لا يبقى، والذي يبقى منه فقط الذكر الحسن، ولكرمه فإنه لا يستطيع أن يرد ضيفاً أو سائلاً.

وقال زهير في مدح هرم بن سنان(١):

وَأبيضَ فيَّاضٍ يَداهُ غمامةٌ ... على مُعتَفِيهِ مَا تُغِبّ نوائلُهْ
تَراه إذا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلّلاً ... كَأنَّك تُعطيهِ الذي أنتَ سَائِلُهْ
أخو ثِقةٍ لا تُتلِفُ الخمرُ مَالَهُ ... ولَكِنَّهُ قد يُتلِفُ المالَ نَائِلُهْ

يمتدح زهير كرمَ هرم بن سنان، فهو ينفق ولا يجد اللذة إلا في الإنفاق وكأنه بذلك يحقق مطلباً من مطالبه وليس مطالب الآخرين، فماله لا يذهب فيما لا فائدة منه، بل يصرفه في قضاء حوائج الناس.

ويعد إكرام الضيف مما ترتفع به مكانة المرء؛ (إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى، ومن أعظم مراتب ذوي الحجى، ومن خصال أولي النهى، ومن عُرف بإطعام الطعام يشرف عند الشاهد والغائب وقصده الراضي والعاتب، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رق نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر)(٢).

ومن أمثال العرب في الحض على الكرم قولهم: (اصطناع المعروف يقي مصارع السوء)، وقولهم: (الجود محبة والبخل مبغضة)(٣).

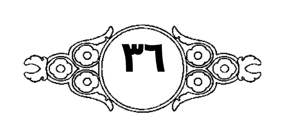
=

بركات يوسف هبّود (ج١/ص٣٥٦).

(١) ديوانه (ص٦٨)، وانظر: العقد الفريد (ص٣٥٧).

(٢) التربية الإسلامية من هدي خير البرية ـ كتاب حكم وتوجيهات وآداب ـ للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الله الخليفي ـ مطابع الندوة ١٤٢٣هـ (ص١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) العقد الفريد (ج٣/ص١٠٠).



وفي نقائض جرير والفرزدق تعدد ذكر هذه المكرمة ويمكن تقسيمها على النحو التالي:

١ ـ العطايا وإكرام الضيف:

يقول جرير(١):

أَلَسْنا نَحْنُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ   غَدَاةَ الرَّوْعِ أَجْدَرَ أَنْ نَغارا

إلى أن يقول:

وأَحْمَدَ في القِرَى وأَعَزَّ نَصْراً   وأَمْنَعَ جانِباً وأَعَزَّ جارا

فجرير هنا يذكر عدداً من مناقب قومه، ومنها قرى الضيف الذي هو من كرم نفوسهم وحسن استقبالهم لضيوفهم.

فيما جعل الفرزدق هذه المكرمة من المكارم التي يتحلى بها هو وقومه والتي ورثوها عن أجدادهم كابراً عن كابر؛ إذ يقول(٢):

وإنَّ مُجاشِعاً قَدْ حَمَّلَتْني   أُموراً لَنْ أُضَيِّعَها كِبارا
قِرَى الأَضْيافِ لَيْلَةَ كُلِّ ريحٍ   وقِدْماً كُنْتُ لِلأَضْيافِ جارا

فقد جعل كرم قومه يفوق كرم غيرهم، كونهم يستقبلون ضيوفهم ويكرمونهم في الليالي الماطرة التي يشتد فيها الريح، في إشارة إلى أن كرمهم لا يحده مكان أو زمان، (ولعل التفسير المنطقي لذلك: أن العرب يعيشون في بيئة صحراوية قاحلة، ضنينة على أهلها فنصيبهم من متع الحياة قليل بسبب تلك البيئة القاسية، وفي الشتاء ييبس الكلأ فتجف ضروع الإبل؛ إذ تصبح النوق كالعراجين من شدة الإنضاء والهزال، ومع ذلك لا يتخلى العربي عن مبدئه في الكرم)(٣).

ويقول جرير(٤):

مَنْ مثْلُ فارسِ ذي الخِمارِ وَقَعْنَبٍ   والحَنْتَفَيْنِ لِلَيْلَةِ البَلْبالِ
والرِّدْفِ إذْ مَلَكَ المُلوكَ ومَنْ لَهُ   عِظَمُ الدَّسائِعِ كُلَّ يَوْمِ فِضالِ

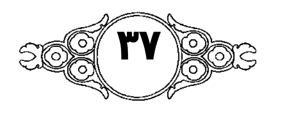
فهو يذكر كرم قومه وكثرة عطاياهم التي جعلتهم يفضلون غيرهم.

وفي ذات المعنى يقول الفرزدق(٥):

كَمْ مِنْ أبٍ لي يا جَريرُ كَأَنَّهُ   قَمَرُ المَجَرَّةِ أَوْ سِراجُ نَهارِ

----

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٠ ـ ٢٢١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٣).
(٢) السابق (ص٢٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).
(٣) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي من صدر الإسلام إلى نهاية القرن الثالث الهجري ـ رسالة دكتوراه لقاسم بن أحمد آل قاسم ـ جامعة الملك خالد ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م (ج٢/ص٤٤٢).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٢٥٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٨٣).
(٥) السابق (ص٢٨٠ ـ ٢٨١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٨).



وَرِثَ المَكارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ يَوْمَ كُلِّ فَخارِ

وقوله[1]:

إذا عَجَزَ الأحْياءُ أنْ يَحْمِلوا دَماً ... أناخَ إلى أجْداثِنا كُلُّ غارِمِ

ويقول جرير[2]:

وَيَوْمٍ مِنَ الجَوْزاءِ مُسْتَوقِدِ الحَصَى ... تَكادُ صَيَاصِي العِينِ مِنْهُ تَصَيَّحُ

إلى أن يقول:

ألَمْ تَعْلَمي أنَّ النَّدَى مِنْ خَليقتي ... وكُلُّ أريبٍ تاجِرٍ يَتَرَبَّحُ

فلا تَصْرميني أنْ تَرَي رَبَّ هَجْمَةٍ ... يُريحُ بِذَمٍّ ما أراحَ ويَسْرَحُ

يَراها قَليلاً لا تَسُدُّ فُقُورَهُ ... عَلَى كُلِّ بَثٍّ حاضِرٍ يَتَتَرَّحُ

إلى قوله:

سَيَكْفيكِ والأضْيافَ إنْ نَزَلوا بِنا ... إذا لَمْ يَكُنْ رِسْلٌ شِواءٌ مُلَوَّحُ

وجامِعَةٌ لا يُجْعَلُ السِّتْرُ دونَها ... لأضْيافِنا والفائِزُ المُتَمَنَّحُ

رَكُودٌ تَسامَى بالمَحالِ كَأَنَّها ... شَموسٌ تَذُبُّ القائِدينَ وتَضْرَحُ

إذا ما تَرامَى الغَلْيُ في حَجَراتِها ... تَرَى الزَّوْرَ في أرْجائِها يَتَطَوَّحُ

فالشاعر هنا يذكر كرمه الذي صرفه عن التجارة، فكما يزداد التاجر ربحاً يزداد الشاعر كرماً وسيادة، وهو طبع جُبل عليه، لا يستطيع أن ينتقل عنه إلى غيره، فكما يستقل صاحب الإبل قطيعه ـ وإن زاد ـ لبخله، يسعد الكريم بذكره الحسن مستكفياً أنه ينحر لأضيافه ليطعمهم شواءً لوّحته النار حتى أنضجته، فضيوفه يجتمعون على القدر التي يبرزها ليراها الناس ويشاركوه طعامه، في تجسيد لصورة الكرم الذي استعاضه عن التجارة وزيادة قطيعه من الإبل.

ويقول أيضاً[3]:

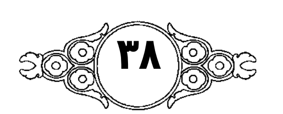
دِياراً مِنَ الحَيِّ الَّذينَ نُحِبُّهُمْ ... زَمانَ القِرَى والصّارِخُ المُتَلَهِّفُ

هُمُ الحَيُّ يَرْبوعٌ تَعادَى جِيادُهُمْ ... عَلَى الثَّغْرِ والكافون ما يُتَخَوَّفُ

فالشاعر يذكر كرم قومه عند الملمات وهو أكرم الكرم؛ إذ يقدِّمون القرى لمن يحتمي بهم ويأوي إليهم، وهو هنا يشير إلى أن قومه يبتدئون الكرم من غير سؤال، وهو أطبع سخاءً وأشرف عطاءً، (سئل علي كرّم الله وجهه عن السخاء

---

(١) نفسه (ص٣٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٢) نفسه (ص٤١٤ ـ ٤١٦)، وانظر: ديوان جرير (ص١١٠ ـ ١١٢).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١٤).



فقال: «ما كان منه ابتداءً، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم»)[1].

وكذا قوله[2]:

وأَمْنَـعُ جيرانـاً وأَحْمَـدُ فـي القِـرَى ... إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النَّجومُ الطَّوالِعُ

فكرم الشاعر وقومه لا يقف عند حد؛ إذ إنّ استقبالهم للضيوف وإكرامهم ظاهر بيِّن (ومن إكرام الضيوف: القيام على خدمتهم، ورعاية شؤونهم، وقد تغنى الشعراء بذلك، ولعل السر فيه يعود إلى كثرة أسفار العرب، فالضيف اليوم سيكون مُضيفاً غداً، والمضيف سيكون ضيفاً، ينتظر من صاحب الدار القيام بواجب الضيافة، فهذا العمل عمل جمعي إنساني، تمكن من مخيلات الشعراء، وتجذر في أعماقهم)[3].

ويقول الفرزدق[4]:

تَعـالَوْا فعُـدّوا يَعْلَـم النّـاسُ أَيُّنـا ... لِصـاحِبِهِ فـي أوَّلِ الـدَّهْرِ تـابعُ
وأيُّ القبيلَـيْنِ الَّـذي فـي بُيوتِـهِمْ(*) ... عِظامُ المَساعِي واللُّهَى والدَّسائعُ

يفاخر الفرزدق بكرم قومه، فهم عظام العطايا، يعطون عن سخاء وكرم نفس.

وكذا قوله[5]:

بَناهـا الأَقْـرَعُ البـانِي المَعـالِي ... وهَـوْذَةُ فـي شـوامِخَ باذِخـاتِ
لَقيـطٌ مِـنْ دَعائِمِهـا ومِـنْهُمْ ... زُرارَةُ ذو النَّـدَى والمَكْرُمـاتِ

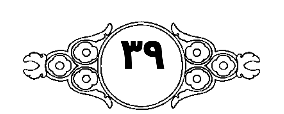
فهو يذكر كرم زرارة بن عُدُس، وقد خصه لما عرف به من الكرم.

ويقول في كرم أبيه أيضاً[6]:

أنـا ابْـنُ الَّـذي رَدَّ المَنِيَّـةَ فَضْـلُهُ ... ومـا حَسَـبٌ دافَعْـتُ عَنْـهُ بِمُعْـوِرِ
أبـي أَحَـدُ الغَيْثَـيْنِ صَعْصَـعَةُ الَّـذي ... مَتَى تُخْلِفِ الجَوْزاءُ والنَّجْمُ يُمْطِرِ
أجـارَ بَنـاتِ الوائِـدينَ ومَـنْ يُجِـرْ ... عَلَى الفَقْرِ يَعْلَمْ أنَّـهُ غَيْـرُ مُخْفَرِ
وفـارقَ لَيْـلٍ مِـن نِسـاءٍ أَتَـتْ أبـي ... تُعـالِجُ ريحـاً لَيْلُهـا غَيْـرُ مُقْمِـرِ

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص٢٠١).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١١).
(٣) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي (ج٢/ص٤٤١).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٧ ـ ١١٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٨).
(*) في ديوان النقائض: (ببوتهم)، وفي ديوان الشاعر: (بيوتهم).
(٥) السابق (ص١٧١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٢٩).
(٦) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٠٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٧٥ ـ ٣٧٦).



فقالَـتْ أجِـرْ لـي مـا وَلَـدْتُ فـإنَّني أتَيْتُـكَ مِـنْ هَزْلَـى الحَمولَـةِ مُقْتِـرِ
هِجَفٌّ مِنْ العُثْوِ الرُّؤُوسِ إذا ضَغَتْ لَـهُ ابْنَـةُ عـامٍ يَحْطِـمُ العَظْـمَ مُنْكَـرِ
رَأى الأرْضَ مِنْها راحَةً فرَمَى بها إلَـى خُـدَدٍ مِنْهـا وفـي شَـرٍّ مَحْفِـرِ
فقــالَ لَهــا نــامِي فــإنِّي بــذِمَّتي لِبِنْتِـكِ جـارٌ مِـنْ أبيهـا القَنَـوَّرِ

فهو يذكر إكرام أبيه لقومه وكثرة عطاياه لهم ولغيرهم ممن يقصده، ومن كرم نفسه كان يفادي الموءودات اللاتي كانت أمهاتهن يقصدنه لفدائهن من الوأد، وهو يفخر بهذا الفعل الذي هو امتداد لما كان يقوم به جده صعصعة صاحب القدر والمنزلة في الجاهلية، وقد(اشترى ثلاثين موؤودة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقريّ. ثم أتى النبي ^ وأسلم)(١).

وقال الفرزدق وهو في حبسه مادحاً خالد بن عبد الله القسري(٢):

ألَـمْ تَـرَ كَفَّـيْ خالِـدٍ قَـدْ أفادَتـا عَلَى النّاسِ رِزْقاً مِنْ كَثيرِ الرَّوافِدِ

فهو يذكر كرم خالد القسري وعطفه على الناس وكثرة هباته وعطاياه، ما يدل على مكانة هذه المكرمة، الأمر الذي جعل الفرزدق يصف بها الممدوح حتى وهو في سجنه.

وقول جرير(٣):

وأحْمَـدُ حـينَ يُحْمَـدُ بالمَقـاري وحـالَ المُرْبِعـات مِـنَ السَّـحابِ
وأوْفَـى لِلْمُجـاوِرِ إنْ أحَرْنَـا وأعْطَـى لِلنَّفيسـاتِ الرِّغـابِ

فقد ذكر كثرة عطاياهم للأشياء النفيسة التي لا يبخلون بها على من يقدمونها له.

وقال جرير في رثاء الفرزدق(٤):

ومَـنْ لِـيَتيمٍ بَعْدَ مَـوْتِ ابْـنِ غالِـبٍ وأمِّ عِيـالٍ سـاغِبِينَ ودَرْدَق

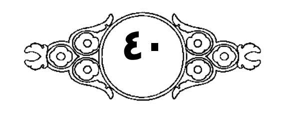
وقوله:

وكَـمْ مِـنْ دَمٍ غـالٍ تَحَمّـلَ ثِقْلَـهُ وكـانَ حَمـولاً فـي وَفـاءٍ وَمصْـدَق

فهو يرثي الفرزدق ويذكر عدداً من مكرماته، ومنها الكرم والعطاء بسخاء

---

(١) الشعر والشعراء (ص٣٤٥).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٢٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٥٣).
(٣) السابق (ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥).
(٤) نفسه (ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).



على الفقراء والأيتام وتحمل الديات.

٢ ـ إكرام الجار:

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ^: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»)[١].

وفي هذه المكرمة يقول الفرزدق[٢]:

لا قَومَ أكْرَمُ مِنْ تَمِيمٍ إذْ عَدَتْ ... عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ
الضّاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحْجَمَتْ ... والنّازلونَ غَداةَ كُلِّ نِزالِ
والضّامِنونَ عَلَى المَنِيَّةِ جارَهُمْ ... والمُطْعِمونَ غَداةَ كُلِّ شَمالِ

فهو يعتد بكرم قومه، وخاصة مع مجاوريهم الذين يغدقون عليهم بسخاء.

ويقول جرير[٣]:

وأمْنَعُ جيراناً وأحْمَدُ في القِرَى ... إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالِعُ

فالشاعر يذكر منعتهم لجارهم وما ذاك إلا لكرم نفوسهم التي تأبى أن يضام جارهم دون دفاع عنه.

وكذا قوله[٤]:

أعِفُّ عَنِ الجارِ القريبِ مَزارُهُ ... وأطْلُبُ أشْطانَ الهُمومِ الأباعِدِ

فقد جعل من إكرام الجار تعظيم حرمته وحرمة داره وعرضه.

وقوله في رثاء الفرزدق[٥]:

فمَنْ لِذَوي الأرْحامِ بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ ... لِجارٍ وعانٍ في السّلاسِلِ مُوثَقِ

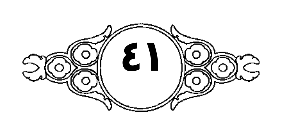
فقد رثى الفرزدق وذكر عدداً من مكارمه ومنها إكرام الجار.

٣ ـ إكرام المستجير:

(جاوره مجاورة، وجواراً وجُواراً بالضم والكسر أفصح صار جاره... وأجار فلاناً أعاذه وأغاثه... واستجار به استغاث واستعان... الجار المجاور والجار أيضاً المجاور والمستجير والشريك في التجارة)[٦].

----

(١) مختصر صحيح البخاري، تأليف الإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، راجعه وخرّج أحاديثه عبد الله عطا عمر ـ دار الفكر، والحديث في كتاب الأدب رقم [١٩٩٤] (ص٥٣٠).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٢٣٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٣) السابق (ج٢/ص١١٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١١).
(٤) نفسه (ص٣٢٩)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٤).
(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).
(٦) لسان العرب، مادة (جار).



والمستجير غير الجار، فالجار من تربطك به علاقة المجاورة على اختلاف رابط هذه العلاقة، يقول تعالى: (ﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘ)[1].

والمستجير من استجار بك لإعانته على أمرٍ دهاه، وهو (الدخيل)، يقول تعالى: (ﯦ□□□□□□□□□□□□□□□□□)[2].

وفي إكرام المستجير يقول جرير[3]:

بَنـي مالِـكٍ مَـنْ كـانَ لِلْحَـيِّ مَعْقِـلاً إذا نَظَـرَ المَكْـروبُ أَيْـنَ مَعاقِلُـهْ

فهو يشير إلى إكرام الدخيل، وهي صفة حميدة، ولو كان الدخيل من أعدائهم فإن كرم نفوسهم يمنعهم من المساس به، بل يبادرون إلى إكرامه.

وكذا قوله[4]:

هُـمُ القَـوْمُ لَـوْ بـاتَ الزُّبَيْـرُ إلَـيْهِمُ لَمـا بـاتَ مَقْلـولاً ولا مُتَطَلِّعـا

فهو يشير إلى إكرام المستجير، ومنعته ونصرته للزبير بن العوام الذي لجأ إلى مجاشع بعد موقعة الجمل[5].

ويقول الفرزدق[6]:

إنّـي ضَـمِنْتُ لِمَـنْ أَتـاني مـا جَنَـى وأَبـي وكـانَ وكُنْـتُ غَيْـرَ غَـدورِ
يَقْـري المِئِـينَ رَمـيمُ أَعْظُـمِ غالِـبٍ فَيَفِـي بهـا ويَفُـكُّ كُـلَّ أَسـيرِ
والمُسْـتَجارُ بِـهِ فمـا كَحِبالِـهِ لِلْمُسْـتَغيثِ بِـهِ حِبـالُ مُجيـرِ

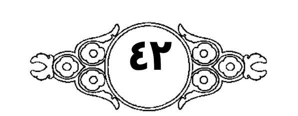
يذكر الشاعر كرمه وكرم أبيه غالب، ومن كرمهما إجارة المستجير والمستغيث بهما.

وفي ذات المكرمة يقول جرير[7]:

لَـوْ حَـلَّ جـارُكُمُ إلَـيَّ مَنَعْتُـهُ بالخَيْـلِ تَـنْحِطُ والقَنـا يَتَزَعْـزَعُ
لَـحَمَى فَوارِسُ يَحْسِرونَ دُروعَهُمْ خَلْفَ المَرافِقِ حينَ تَـدْمَى الأَذْرُعُ

----

(١) النساء: ٣٦.
(٢) التوبة: ٦.
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٦٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٤).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٢١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٦).
(٥) لجأ الزبير بن العوام إلى مجاشع بعد موقعة الجمل فلم ينصروه بل قتله رجل منهم، انظر: ديوان النقائض (ج٢/ص٢١٩)، والعصر الإسلامي (ص٢٤٢).
(٦) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٧٧)، ولم ترد الأبيات في ديوان الشاعر.
(٧) السابق (ص٣١٧)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩٢).



فجرير يذكر كرم قومه وحمايتهم للمستجير بهم وإكرامه، ويهجو الفرزدق وقومه الذين لم يحموا الزبير، ولو لم تكن هذه المكرمة بهذه المكانة عند العرب لما أثبتها جرير لقومه وهجا بها الفرزدق وقومه، فهم يكرمون من يستجير بهم بالدفاع عنه على ظهور الخيل التي تزفر زفيراً في ساحة القتال، في إشارة لمكرمة الفروسية عندهم.

ويقول أيضاً[1]:

ولَوْ حَلَّ(*) الزُّبَيْرُ بنا لَجَلَّى ... وُجوهُ(**) فوارسي رَهَجَ القتامِ

وكذا قوله[2]:

ولَوْ سارَ الزُّبَيْرُ فحلَّ فينا ... لَما يَئِسَ الزُّبَيْرُ مِنَ الإيابِ
لأصْبَحَ دونَهُ رَقماتُ فَلْجٍ ... وغُبْرُ اللّامِعاتِ مِنَ الحِدابِ
وما باتَ النَّوائِحُ مِنْ قُرَيْشٍ ... يُراوِحْنَ التَّفَجُّعَ بانْتِحابِ

فالشاعر يركز على كرمه وكرم قومه، ومن كرمهم إكرام المستجير وإنزاله مكانته واتقاء اللوم ما يدل على أن من لا يفعل ذلك فهو موضع لوم، وكل ذلك يدل على مكانة هذه المكرمة فقد لامت قريش مجاشعاً (قوم الفرزدق) في عدم منعتهم للزبير.

٤ ـ إكرام الأسرى:

يقول تعالى: (ﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅ)[3].

وفي النقائض يقول الفرزدق في إكرام الأسرى[4]:

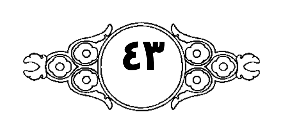
فلا نَقْتُلُ الأسْرَى ولكِنْ نَفُكُّهُمْ ... إذا أثقلَ الأعْناقَ حَمْلُ المغارِمِ

فلا إكرام للأسير أكثر من إطلاق سراحِه.

وكذا قوله[5]:

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٥٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٠٩).
(*) في ديوان النقائض: (حلّ). وفي ديوان الشاعر: (نزل).
(**) في ديوان النقائض: (وجوه). وفي ديوان الشاعر: (ذياد).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٥)، ولم ترد الأبيات في النقيضة في ديوان الشاعر.
(٣) الإنسان: ٨، ٩.
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٥) السابق (ج٢/ص١٧١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٢٨).



وصَعْصَعَةَ المُجيرِ عَلَى المَنايا بذِمَّتِهِ وَفَكّاكِ العُنَاتِ

فالفرزدق يفخر بكرم جده صعصعة بن ناجية الذي عُرف بإكرام الأسرى وتخليصهم وفك القيود عنهم.

وكذا قوله[1]:

كَمْ كانَ مِنْ مَلِكٍ وَطِئْنَ وسوقةٍ أطْلَقْنَهُ وبساعِدَيْهِ إسارُ
كانَ الفِداءُ لَهُ صُدورَ رِماحِنا والخَيْلَ إذْ رَهَجُ الغُبارِ مُثارُ

يظهر علو كعب الفرزدق في الفخر بهذه المكرمة، فلا كرم يفوق الكرم بالنفس؛ إذ يشير إلى إكرام الأسرى بإطلاقهم و تخليصهم من الأعداء الذين أسروهم ولو اقتضى الأمر أن يواجهوا الموت بخوض المعارك وتسديد الرماح.

وكذا قوله[2]:

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتاني ما جَنَى وأبي وكانَ وكُنْتُ غيْرَ غدورِ
يَقْري المِئِينَ رَميمُ أعْظُمِ غالِبٍ فيَفِي بها ويَفُكُّ كُلَّ أسيرِ

ويقول جرير في رثاء الفرزدق[3]:

ومَنْ يُطْلِقُ الأسْرَى ومَنْ يَحْقِنُ الدِّما يَداهُ وَيشْفِي صَدْرَ حَرّانَ مُحْنَقِ

فهو يرثي الفرزدق ويعدد له مكرماته، ومنها إطلاق الأسرى.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقات:

١ ـ الفخر:

ففي نقيضة جرير التي مطلعها[4]:

ألا حَيِّ الدِّيارَ بسُعْدَ أنّي أحِبُّ لِحُبِّ فاطِمَةَ الدِّيارَا

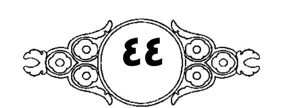
قوله:

وأحْمَدَ في القِرَى وأعَزَّ نَصْراً وأمْنَعَ جانِباً وأعَزَّ جارا

فالشاعر يفخر بمناقبه ومناقب قومه، ومنها (القرى)، وقد جاء باسم التفضيل (أحمد) أي أنهم أكرم من غيرهم، وضيفهم يفوق منزلته عند غيرهم.

----

(١) نفسه (ص٢٥١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٧١).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٧٧). ولم يرد البيتان في ديوان الشاعر في ذات النقيضة.
(٣) السابق (ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).
(٤) نفسه (ج١/ص٢١٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٢).



وفي ذات السياق افتخر الفرزدق بوراثة المكارم كابراً عن كابر؛ إذ يقول[1]:

وإنَّ مُجاشِعاً قَدْ حَمَّلَتْني أُموراً لَنْ أُضَيِّعَها كِبارا
قِرَى الأَضْيافِ لَيْلَةَ كُلِّ ريحٍ وقِدْماً كُنْتُ لِلأَضْيافِ جارا

فمن مكارمهم (قرى الضيف)، وجعله في ليالي الشتاء الباردة الممطرة، والتي تشتد فيها الريح، ما يجعل حاجة الإنسان إلى من يكرم وفادته أكثر منها في أي وقت آخر.

وفي سياق الفخر أيضاً يأتي قول الفرزدق:

لا قَوْمَ أَكْرَمُ مِنْ تَميمٍ إِذْ عَدَتْ عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ
الضّاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحْجَمَتْ والنّازلونَ غَداةَ كُلِّ نِزالِ
والضّامِنونَ عَلَى المَنِيَّةِ جارَهُمْ والمُطْعِمونَ غَداةَ كُلِّ شَمالِ

وقوله:

تَعالَوْا فعُدّوا يَعْلَمِ النّاسُ أيُّنا لِصاحِبِهِ في أوَّلِ الدَّهْرِ تابِعُ
وأيُّ القَبيلَيْنِ الَّذي في بُيوتِهِمْ عِظامُ المَساعِي واللُّهَى والدَّسائِعُ

فهو يفخر بكرم أجداده وكثرة عطاياهم.

وكذلك افتخاره بكرم جده صعصعة في إطلاق الأسرى وكرم زرارة بن عُدُس في قوله:

وصَعْصَعَةَ المُجيرِ عَلَى المَنايا بذِمَّتِهِ وَفَكّاكِ العُناتِ

وقوله:

لَقيطٌ مِنْ دَعائِمِها ومِنْهُم زُرارَةُ ذو النَّدَى والمَكْرُماتِ

وفخره بإطلاق سراح الأسرى في قوله:

كَمْ كانَ مِنْ مَلِكٍ وَطِئْنَ وسوقَةٍ أَطْلَقْنَهُ وبِساعِدَيْهِ إسارُ
كانَ الفِداءُ لَهُ صُدورَ رِماحِنا والخَيْلَ إذْ رَهَجُ الغُبارِ مُثارُ

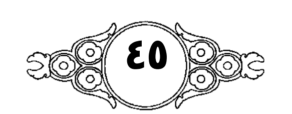
وكذا قوله:

فلا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكِنْ نَفُكُّهُمْ إذا أَثْقَلَ الأَعْناقَ حَمْلُ المَغارِمِ

ومن الفخر بالكرم وتحمل الدِّيات وإحياء الموءودات قول الفرزدق مفاخراً بأبيه وجده صعصعة:

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).



أنـا ابْـنُ الَّـذي رَدَّ المَنِيَّـة فَضْـلُهُ ... ومـا حَسَـبٌ دافَعْـتُ عَنْـهُ بِمُعْـورِ
أبـي أحَـدُ الغَيْثَـيْنِ صَعْصَـعَةُ الَّـذي ... مَتَى تُخْلِفِ الجَوْزاءُ والنَّجْمُ يُمطِرِ
أجـارَ بَنـاتِ الوائِـدينَ ومَـنْ يُجِـرْ ... عَلَـى الفَقْرِ يَعْلَـمْ أنَّـهُ غَيْـرُ مُـخْفَرِ

ومن فخر جرير بالكرم وإعطاء الهبات النفيسة قوله:

وأحْمَـدُ حـينَ يُحْمَـدُ بالمَقـاري ... وحـالَ المُرْبِعـات مِـنَ السَّـحابِ
وأوْفَـى لِلْمُجـاوِرِ إنْ أجَرْنَـا ... وأعطَـى لِلنَّفِيسَـاتِ الرِّغَـابِ

٢ ـ الهجاء:

والمقصود هنا بدء شاعر النقيضة (جرير أو الفرزدق) بهجاء خصمه وتعداد مثالبه ومثالب قومه، ثم يعود لإثبات مكارمه ومكارم قومه بعد أن ينفيها أو غيرها من المكارم عن خصمه وعشيرته، وقد يبتدئ بالمكارم ثم يعقبها بالهجاء، وذلك كقول الفرزدق(1):

مَنْ مثْلُ فارسِ ذي الخِمارِ وَقَعْنَبٍ ... والحَنْتَفَـيْنِ لِلَيْلَـةِ البَلْبـالِ
والـرِّدْفِ إذْ مَلَكَ المُلوكَ ومَنْ لَهُ ... عِظَـمُ الدَّسـائِعِ كُـلَّ يَـوْمِ فِضـالِ

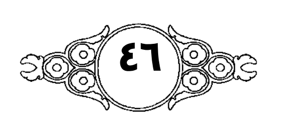
فقد جاءت هذه المكارم في سياق هجائه للفرزدق وقومه إذ يقول:

هـذا تَقَـدُّمُنا وزَجْـري مالِكـاً ... لا يُرْدِيَنَّـكَ حَـيْنُ قَيْنِـكَ مـالِ
لَـمّا رَأَوْا جَـمَّ العَـذابِ يُصـيبُهُمْ ... صـارَ القُيـونُ كَسَـاقَةِ الأفْيـالِ
يـا قُـرْطُ إنَّكُـمُ قرينَـةُ خَزْيَـةٍ ... واللُّـؤْمُ مُعْتَقِـلٌ قُيـونَ عِقـالِ
أمْسَـى الفَـرَزْدَقُ لِلْبَعيـثِ جَنيَـةً ... كَـابْنِ اللَّبـونِ قرينَـةَ المُشْـتالِ
أرْداكَ حَيْنُـكَ يـا فَـرَزْدَقُ مُـحْلِباً ... مـا زادَ قَوْمَـكَ ذاكَ غَيْـرَ خَبـالِ
ولَقَـدْ وَسَـمْتُ مُجاشِـعاً بِأُنوفِهَـا ... ولَقَـدْ كَفَيْتُـكَ مِدْحَـةَ ابْـنِ جِعـالِ
فـانْفُخْ بِكِيـرِكَ يـا فَـرَزْدَقُ إنَّنـي ... فـي بـاذِخٍ لمَحَـلِّ بَيْتِـكَ عـالِ
لَـمّا وَليـتُ لِثَغْـرِ قَـوْمي مَشْـهَداً ... آثَـرْتُ ذاكَ عَلَـى بَنِـيَّ ومـالي
إنّـي نَـدَبْتُ فَوارِسـي وفَعالَـهُمُ ... ونَـدَبْتَ شَـرَّ فَـوارِسٍ وفَعـالِ
نَحْـنُ الـوُلاةُ لِكُـلِّ حَـرْبٍ تُتَّقـى ... إذْ أنْـتَ مُحْتَضِـرٌ لِكيـرِكَ صـالِ
مَنْ مثْلُ فـارسِ ذي الخِمارِ وقَعْنَبٍ ... والحَنْتَفَـيْنِ لِلَيْلَـةِ البَلْبـالِ

فبعد أن هجا الفرزدق وعدّد مثالبه ومثالب (مجاشع) عاد ليفتخر بعطايا

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٥٤ ـ ٢٥٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٨٢ ـ ٣٨٣).



ملوك قومه (بني يربوع) وكرمهم الذي لا يحده زمان أو مكان، فهو يستمر حتى ساعة الفزع والحروب.

وفي ذات السياق قول الفرزدق[1]:

كَمْ مِنْ أبٍ لي يا جَريرُ كَأنَّهُ ... قمَرُ المَجَرَّةِ أوْ سِراجُ نَهارِ
وَرِثَ المَكارِمَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ... ضَخْمِ الدَّسيعَةِ يَوْمَ كُلِّ فَخارِ

فقد جاء ذكر الكرم والعطايا بعد أن هجا جريراً وقومه بقوله:

قَبَحَ الإلهُ بَني كُلَيبٍ إنَّهُمْ ... لا يَغْدِرونَ ولا يَفُونَ لِجَارِ

ومنه قول جرير:

وأمْنَعُ جيراناً وأحْمَدُ في القِرَى ... إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالِعُ

فقد جاء ذكر الكرم بعد أن هجا قوم الفرزدق ووصمهم بالكذب في قوله[2]:

لَقَدْ عَلِمَتْ غَيْرَ الفِياشِ(*) مُجاشِعٌ ... إلَى مَنْ تَصيرُ الخافِقاتُ اللَّوامِعُ
لنا بانِيا مَجْدٍ فبانٍ لَنا العُلَى ... وحامٍ إذا احْمَرَّ القنا والأشاجِعُ
أتَعْدِلُ أحساباً كِراماً حُماتُها ... بأحْسابِكُمْ إنِّي إلَى اللهِ راجِعُ
لَقَوْمِيَ أحْمَى في الحَقيقَةِ مِنْكُم ... وأضْرَبُ لِلْجَبّارِ والنَّقْعُ ساطِعُ
وأوثَقُ عِنْدَ المُرْدَفاتِ عَشِيَّةً ... لَحاقاً إذا ما جَرَّدَ السَّيْفَ لامِعُ
وأمْنَعُ جيراناً وأحْمَدُ في القِرَى ... إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالِعُ

وكذا قوله:

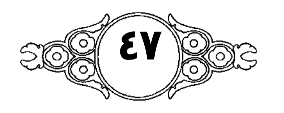
لَوْ حَلّ جارُكُمُ إلَيَّ مَنَعْتُهُ ... بالخَيْلِ تَنْحِطُ والقنا يَتَزَعْزَعُ
لَحَمَى فَوارِسُ يَحْسِرونَ دُروعَهُمْ ... خَلْفَ المَرافِقِ حينَ تَدْمَى الأذْرُعُ

فقد جاء إكرام الجار بعد أن هجا الفرزدق و(مجاشعاً) بعدم حماية الزبير وإكرامه؛ إذ يقول[3]:

تَرَكَ الزُّبَيْرُ عَلَى مِنىً لِمُجاشِعٍ ... سُوءَ الثَّناءِ إذا تَقضَّى المَجْمَعُ
قتَلَ الأجارِبُ يا فَرَزْدَقُ جارَكُمْ ... فكُلُوا مَزاوِدَ جارِكُمْ فتَمَتَّعوا
أحُبارَياتِ شَقائِقٍ مَوْلِيَّةٍ ... بالصَّيْفِ صَعْصَعَهُنَّ بازٍ أسْفَعُ

- - - - - - - - - - - - - - - -

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٨٠)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٨).
(٢) السابق (ج٢/ص١١٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١١).
(*) الفياش: الجخف وهو النفخ وهو أن يفخر الرجل بما ليس عنده وهو طرف من البذخ بالكذب، انظر: ديوان النقائض (ج٢/ص١١٢).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٣١٧)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩١ - ٢٩٢).



لَــوْ حَــلَّ جــارُكُمُ إلَــيَّ مَنَعْتُــهُ ... بالخَيْــلِ تَــنْحِطُ والقنــا يَتَزَعْــزَعُ

وفي هذا المعنى قوله:

ولَــوْ حَــلَّ الزُّبَيْــرُ بنــا لَــجَلَّى ... وُجــوهُ فَوارِســي رَهَــجَ القَتــامِ

فقد هجا الفرزدق ووصمه بالذل والغدر فقد غدر قومه بالزبير؛ إذ يقول(1):

أضِــيئُوا لِلْفَــرَزْدَق نــارَ ذُلٍّ ... لِيَنْظُــرَ فــي مَشَــاعِرِها الــدَّوامِي

وحَجْــزَةُ لَــوْ تَبَــيَّنَ مــا رَأَيْــتُمْ ... بِعَضْــرَطِها لَمــاتَ مِــنْ الفُحــامِ

وإنَّ صَــدَى المِقَــرِّ بِــهِ مُقــيم ... يُنــادِي الــذُّلَّ بَعْــدَ كَــرَى النِّيــامِ

لأَعْظَــمِ غَــدْرَةٍ نَفَشُــوا لِــحاهُمْ ... غَــداةَ العِــرْقِ أسْــفَلَ مِــنْ سَــنامِ

يَلُــومُكُمُ العُصــاةُ وآلُ حَــرْبٍ ... ورَهْــطُ مُحَمَّــدٍ وبَنُــو هِشَــامِ

ولَــوْ حَــلَّ الزُّبَيْــرُ بنــا لَــجَلَّى ... وُجــوهُ فَوارِســي رَهَــجَ القَتــامِ

وكذا قوله:

ولَــوْ ســارَ الزُّبَيْــرُ فَحــلَّ فينــا ... لَمــا يَــئِسَ الزُّبَيْــرُ مِــنَ الإيــابِ

لأَصْــبَحَ دونَــهُ رَقَمــاتُ فَلْــجٍ ... وغُبْــرُ اللّامِعــاتِ مِــنَ الحِــدابِ

ومــا بــاتَ النّــوَائِحُ مِــنْ قُــرَيْشٍ ... يُــراوِحْنَ التَّفَجُّــعَ بانْتِحــابِ

فقد جاءت مكرمة (إكرام المستجير) بعد هجائه للفرزدق وعشيرته التي لم تؤوِ الزبير؛ إذ يقول(2):

أجيــرَانَ الزُّبَيْــرِ غَرَرْتُمُــوهُ ... كَمــا اغْتَــرَّ المُشَــبِّه بالسَّــرابِ

ولَــوْ ســارَ الزُّبَيْــرُ فَحــلَّ فينــا ... لَمــا يَــئِسَ الزُّبَيْــرُ مِــنَ الإيــابِ

٣ ـ الوصف:

ورد ذكر الكرم في سياق الوصف، كوصف استقبال الضيوف، والأسرى، والقتال، ومن ذلك قول جرير:

أَلَـمْ تَعْلَمـي أنَّ النَّـدَى مِنْ خَليقَتـي ... وكُــلُّ أريــبٍ تــاجِرٍ يَتَــرَبَّحُ

وقوله:

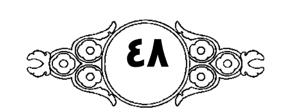
سَيَكْفيكِ والأَضْـيافَ إنْ نَزَلـوا بنـا ... إذا لَـمْ يَكُـنْ رِسْـلٌ شِـواءٌ مُلَـوَّحُ

فهو يصف إنفاقه للمال وعدم المتاجرة به، كما يصف استقباله للضيوف وتقديم الشواء لهم، ونصب القدر وإشعال النيران تحتها ليراها السائرون

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٥٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٢) السابق (ص٣٦٥). ولم يرد البيتان في النقيضة في ديوان الشاعر.



ويشاركوه طعامه، في يوم قائظٍ شديد الحرارة، وقد اختار هذا التصوير؛ لأن الضيف يكون في شدة حاجته لمن يضيّفه ويقيه حرارة ذلك اليوم.

وقوله:

دِيـاراً مِـنَ الحَـيِّ الَّـذينَ نُحِـبُّهُمْ زَمـانَ القِـرَى والصّـارِخُ المُتَلَهِّـفُ
هُمُ الحَـيُّ يَرْبـوعٌ تَعـادَى جِيـادُهُمْ عَلَـى الثَّغْرِ والكـافون مـا يُتَخَـوَّفُ

فقد جاء ذكر (القرى) في سياق وصف الرحلة للوصول إلى المحبوبة؛ إذ يقول في نقيضته التي مطلعها[1]:

ألا أيُّهـا القَلْـبُ الطَّـروبُ المُكَلَّـفُ أفِـقْ رُبَّمـا يَنـأى هَـواكَ ويُسْـعِفُ

إلى أن يقول:

نَظَرْتُ ورائـي نَظْرَةً قادَهـا الهَوَى وألحَى المَهارَى يَوْمَ عُسْفانَ تَرْجُفُ
تَرَى العِرْمِسَ الوَجْناءَ يَدْمَي أظَلُّها وتُحْـذَى نِعـالاً والمَناسِـمُ رُعَّـفُ

إلى أن يقول:

دِيـاراً مِـنَ الحَـيِّ الَّـذينَ نُحِـبُّهُمْ زَمـانَ القِـرَى والصّـارِخُ المُتَلَهِّـفُ

فقد ذكر المحبوبة ووصف رحلته للوصول إليها ثم ذكر الديار التي سار إليها وهي ديار معروفة بالكرم.

وكذا قوله:

بَنـي مالِـكٍ مَـنْ كـانَ لِلْحَـيِّ مَعْقِـلاً إذا نَظَـرَ المَكْـروبُ أيْـنَ مَعاقِلُـهْ

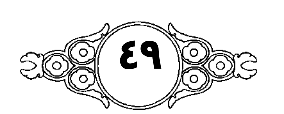
فقد وصف استقبالهم لمن يستجير بهم؛ إذ يقول[2]:

لَنـا إبِـلٌ لَـمْ تَسْـتَجِرْ عَيْـرَ قَوْمِهـا وغَيْـرَ القَنـا صُـمّاً تُهَـزُّ عَوامِلُـهْ
رَعَتْ مَنْبِتَ الضَّمْرانِ مِنْ سَبَلِ المِعَى إلَـى صُـلبِ أعْيـارٍ تُـرِنُّ مَسـاحِلُهْ
سَقَتْها الثُّرَيّـا دِيمَـةً واسْتَقَتْ بِهـا غُـروبَ سِـماكِيٍّ تَهَلَّـلَ وابِلُـهْ
تَـرَى لِـحَبِيِّيْهِ رَبابـاً كَأنَّـهُ غَـوادِي نَعـامٍ يَـنْفُضُ الزِّفَّ جافِلُـهْ
تُراعِـي مَطافِيـلَ المَهـاوِ يَروعُهـا ذُبـابُ النَّـدَى تَغْرِيـدُهُ وصَـواهِلُهْ
إذا حاوَلَ النّـاسُ الشُّؤُونَ وحـاذَروا زَلازِلَ أمْـرٍ لَـمْ تَرعُهـا زَلازِلُـهْ
يُبِـيحُ لَهـا عَمْـرٌ وحَنْظَلَـةُ الحِمَـى ويَـدْفَعُ رُكْـنُ الفِـرْزِ عَنْهـا وكاهِلُـهْ
بَنـي مالِـكٍ مَـنْ كـانَ لِلْحَـيِّ مَعْقِـلاً إذا نَظَـرَ المَكْـروبُ أيْـنَ مَعاقِلُـهْ

فبعد وصف إبلهم ورعيها في الحمى لأنها إبل السادات من القوم عاد ليصف

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٥ - ٢٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١٣ - ٣١٤).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٦٨ - ٦٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٣ - ٣٩٤).



استقبالهم للمستجير بهم الذي اختارهم ووجه وجهه إليهم.

وفي ذات السياق قول الفرزدق:

أنــا ابْــنُ الَّــذي رَدَّ المَنِيَّــةَ فَضْـلُهُ ... ومــا حَسَـبٌ دافَعْـتُ عَنْـهُ بِمُعْـوِرِ

إلى أن يقول:

وفــارِقِ لَيْـلٍ مِـنْ نِسـاءٍ أَتَـتْ أَبِـي ... تُعــالِجُ ريحــاً لَيْلُهــا غَيْــرُ مُقْمِــرِ

فقالَـتْ أجِـرْ لـي مـا وَلَـدْتُ فـإنَّني ... أَتَيْتُـكَ مِـنْ هَزْلَـى الحَمولَـةِ مُقْتِـرِ

هِجَفٍّ مِنْ العُثْوِ الرُّؤُوسِ إذا ضَغَتْ ... لَـهُ ابْنَـةُ عـامٍ يَحْطِـمُ العَظْـمَ مُنْكَـرِ

رَأى الأرْضَ مِنْها راحَةً فَرَمَى بِها ... إلَـى خُـدَدٍ مِنْهـا وفـي شَـرِّ مَحْفِـرِ

فقــالَ لَهــا نــامِي فــإنِّي بِــذِمَّتي ... لِبِنْتِـكِ جـارٌ مِــنْ أبيهــا القَنَــوَّرِ

فبعد أن افتخر بكرم أبيه غالب عاد ليصف تلك المكرمة بفداء الموءودات اللاتي تتجه أمهاتهن إلى والده في الليالي المظلمة يشتكين فقر أزواجهن وعزمهم على وأد بناتهن، ليصل كرم غالب بن صعصعة إليهن ويفتديهن من آبائهن.

٤ ـ المدح:

ورد الكرم في سياق المدح عند جرير والفرزدق في مدحهما لقومهما؛ إذ يقول جرير(١):

وجَـدْتَ لِيَرْبُـوعٍ إذا مــا عَجَمْـتَهُمْ ... مَنابِـتَ نَبْـعٍ لَــمْ يُخــالِطْنَ خِرْوَعــا

هُــمُ القَــوْمُ لَوْبــاتَ الزُّبَيْــرُ إلَــيْهِمُ ... لَمــا بــاتَ مَقْلُــولاً ولا مُتَطَلِّعــا

وقَــدْ عَلِــمَ الأقْــوامُ أنَّ سُــيوفَنا ... عَجَمْنَ حَديدَ البَيْضِ حَتَّى تَصَدَّعا

ألا رُبَّ جَبّــارٍ عَلَيْــهِ مَهابَــةٌ ... سَقَيْناهُ كَأْسَ المَـوْتِ حَتَّى تَضَلَّعا

فهو يمدح قومه لتحليهم بإكرام المستجير ودفاعهم عنه بسيوفهم الصارمة القاطعة للحديد.

وفي ذات السياق مدح الفرزدق لخالد القسري(٢):

أَلَــمْ تَــرَ كَفَّــيْ خالِـدٍ قَـدْ أفادَتــا ... عَلَى النّاسِ رِزْقاً مِنْ كَثيرِ الرَّوافِدِ

فهو يمدح خالداً القسري علّه يعطف عليه ويطلقه من سجنه.

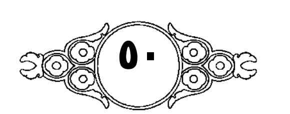
٥ ـ الرثاء:

ومنه رثاء جرير للفرزدق وذكر مكارمه ومنها منقبة الكرم؛ إذ يقول(٣):

فمَنْ لِذَوي الأرْحامِ بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ ... لِجارٍ وعانٍ في السَّلاسِلِ مُوثَقِ

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٦).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٢٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٥٣).
(٣) السابق (ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).



ومَنْ لِيَتيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ غالِبٍ … وأُمِّ عِيالِ ساغِبين ودَرْدَق
ومَنْ يُطْلِقُ الأسْرَى ومَنْ يَحْقِنُ الدِّما … يَداهُ وَيشْفِي صَدْرَ حَرّانَ مُحْنَق
وكَمْ مِنْ دَمٍ غالٍ تَحَمّلَ ثِقْلَهُ … وكانَ حَمولاً في وَفاءٍ وَمصْدَق

ومنه رثاء الفرزدق لأبيه غالب:

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتاني ما جَنَى … وأبي وكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدورِ
يَقْري المِئِينَ رَميمُ أعْظُمِ غالِبٍ … فيَفِي بها ويَفُكُّ كُلَّ أسيرِ

فهو يذكر مناقبه ومناقب أبيه ومنها إكرام الأسرى بإطلاق سراحهم.

٦ ـ الحكمة:

فمن حكمة جرير إكرام الجار وتعظيم قدره واحترام حرمته وحرمة منزله؛ إذ يقول:

أعِفُّ عَنِ الجارِ القريبِ مَزارُهُ … وأطْلُبُ أشْطانَ الهُمومِ الأباعِدِ

فهو يطلب البعيد، ويسلك أسباب الوصول إليه، ويشير بالبعيد هنا السير إلى المحبوبة وهو ما أشار له في مطلع القصيدة؛ إذ يقول[1]:

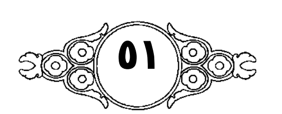
لَعَلَّ فِراقَ الحَيِّ لِلْبَيْنِ عامِدي … عَشِيَّةَ قاراتِ الرُّحَيْلِ الفَوارِدِ
لَعَمْرُ الغَواني ما جَزَيْنَ صَبابَتي … بِهِنَّ ولا تَحْبيرَ حَوْلِ القَصائِدِ
رَأيْتُ الغَواني مُولَعاتٍ بِذي الهَوَى … بِحُسْنِ المُنَى والخُلْفِ عِنْدَ المَواعِدِ
لَقَدْ طالَ ما صِدْنَ القُلوبَ بأعْيُنٍ … إلَى قَصَبٍ زَيْنِ البُرَى والمَعاضِدِ
وكَمْ مِنْ صَديقٍ واصِلٍ قَدْ قَطَعْنَهُ … وأفْتَنَّ مِنْ مُسْتَحْكِمِ الدِّينِ عابِدِ
أتُعْذَرُ أنْ أبْدَيْتَ بَعْدَ تَجَلُّدٍ … شَواكِلَ مِنْ حُبٍّ طَريفٍ وتالِدِ
فإنَّ الّتي يَوْمَ الحَمامَةِ قَدْ صَبا … لَها قَلْبُ تَوّابٍ إلَى اللهِ ساجِدِ
ونَطْلُبُ وُدّاً مِنْكِ لَوْ نَسْتَفيدُهُ … لَكانَ إلَيْنا مِنْ أحَبِّ الفَوائِدِ
فَلا تَجْمَعي ذِكْرَ الذُّنوبِ لِتَبْخَلي … عَلَيْنا وهِجْرانَ المُدِلِّ المُباعِدِ

بدأ الشاعر إجابته للفرزدق بهذا المطلع الغزلي، ولكنه برغم هذه الرقة إلا أن الحكمة ظاهرة في الأبيات فلا تؤثر النساء الجميلات فيه أوفي شاعريته وتحبير قصائده، ولا يأخذه ما يمنين به من الوعود، ومع ذلك فهو لا يخفي حبه القديم والجديد، حفاظاً على ود مجاوريه وإكرامه لهم.

ﱠﱠﱠ

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٢٨)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٣ ـ ١٦٤).



رابعًا: الشجاعة:
(شجُع، بالضم، شَجاعة: اشتد عند البأس...
والشَّجاعة: شدة القلب في البأس)[1].

وهي مكرمة من مكرمات العرب في الجاهلية والإسلام، ترفع من شأن صاحبها حتى يغدو مضرب المثل بها، وكم حملت كتب التاريخ من سير الشجعان حتى اقترنت بأسماء أبطال عرفوا بها كعنترة بن شداد في العصر الجاهلي، يقول ابن قتيبة: «وكان عنترة من أشد أهل زمانه، وأجودهم بما ملكت يده)[2].

ولـقّب رسول الله ^ خالد بن الوليد بسيف الله المسلول؛ لما كان عليه من شجاعة نادرة و(كان ^ أشجع الناس وأمضاهم عزماً وإقداماً، كان الناس يفرون وهو ثابت، فقال العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ: لما التقى المسلمون والكفار ـ يعني في حنين ـ وولّى المسلمون مدبرين، طفق رسول الله ^ يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفّها إرادة ألا تسرع، وكان يقول حينئذٍ: **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»**)[3].

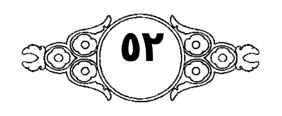
(وقال علي رضي الله عنه: «كنا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ^ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»)[4].

(ومن أكبر مظاهر الشجاعة حضور الذهن عند الشدائد، فشجاع من إذا عراه خطب لم يذهب برشده، بل يقابله برزانة وثبات ويتصرف فيه بذهن حاضر وعقل غير مشتت)[5].

(وللشجاعة حد متى جاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً[*]، وحدّها الإقدام في مواضع الإقدام، والإحجام في مواضع الإحجام، كما قال معاوية لعمرو بن العاص: أعياني أن أعرف أشجاعاً أنت أم جباناً: تَقْدم حتى

----

(١) لسان العرب، مادة (شجع).
(٢) الشعر والشعراء (ص١٦٤).
(٣) مكارم الأخلاق (ص٥٧)، والحديث أخرجه مسلم رقم [٧٦] كتاب الجهاد والسير، وأخرجه البخاري بنحوه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه رقم [٢٨٦٤] كتاب الجهاد، ورقم [٤٣١٥، ٤٣١٧] كتاب المغازي.
(٤) مكارم الأخلاق (ص٥٧)، والحديث أخرجه أحمد في المسند (١٥٦/١) وبنحوه مسلم [٧٩] كتاب الجهاد من حديث البراء رضي الله عنه.
(٥) كتاب الأخلاق لأحمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية (ط٩) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م (ص١٩٣).
(*) وردت في المرجع (حور).



أقول من أشجع الناس، وتجبن حتى أقول من أجبن الناس، فقال:

شجَاعٌ إذا ما أمكَنَتْنِي فُرْصَـــةٌ ... فإن لَـمْ تَكُنْ لي فُرْصَةٌ فَجَبَانُ)[1].

(فالشجاعة إذن هي الجرأة، والإقدام على المواقف الصعبة بقلب ثابت، وبصورة متزنة تنم عن تعقل وإدراك للنتائج)[2].

ويمكن تقسيم هذه المكرمة في نقائض جرير والفرزدق على النحو التالي:

١ ـ الشجاعة في الحرب:

يقول جرير[3]:

أَلَسْـنا نَحْـنُ قَـدْ عَلِمَـت مَعَـدٌ ... غَـداةَ الـرَّوْعِ أجْـدَرَ أنْ نَغـارا
وأَضْـرَبَ بالسُّـيوفِ إذا تَلاقَـتْ ... هَـوادِي الخَيْـلِ صـادِيَةً حِـرارا
وأَطْعَـنَ حـينَ تَخْتَلِـفُ العَـوالِي ... بمَـأْزولٍ إذا مـا النَّقْـعُ ثـارا

الشاعر في هذه الأبيات يفخر بشجاعة قومه الذين يغيرون على عدوهم يوم الحرب، ضاربين بسيوفهم وجه الأعداء، ويذكر من عدتهم في الحرب السيوف الصقيلة والرماح، وهم بهذه العدة يُظهرون بسالتهم وشجاعتهم في أرض المعركة.

وقوله[4]:

قـوْمي الَّـذينَ يَزيـدُ سَمْعي ذِكْـرُهُمْ ... سَـمْعاً وكـانَ بضَـوْئِهِمْ إبْصـاري
والمُـوردونَ عَلَـى الأسِـنَّةِ قُرَّحـاً ... حُمْـراً مَسـاحِلُهُن غَيْـرَ مِهـارِ

فهو يذكر احمرار لجام الفرس من الدماء، في إشارة إلى شجاعتهم في مواجهة الأعداء الذين سالت دماؤهم.

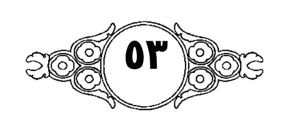
ويقول الفرزدق[5]:

كأنَّـكَ لَـمْ تَسْـمَعْ تَميمـاً إذا دَعَـتْ ... تَميمٌ ولَـمْ تَسْمَعْ بيَـوْمِ ابْنِ خـازِمِ
وقَبْلَـكَ عَجَّلْنـا ابْـنَ عَجْلَـى حِمامَـهُ ... بأسْـيافِنا يَصْـدَعْنَ هـامَ الجَمـاجِمِ

---

(١) الفوائد (ص١٩٩).
(٢) القيم الخلقية في شعر عنترة بن شدّاد العبسي ـ رسالة ماجستير، إعداد فاتن بنت عبد اللطيف العامر ـ جامعة الملك فيصل بالأحساء ١٤٢٧هـ ـ ١٤٢٨هـ (ص٦٩).

(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٣).
(٤) السابق (ص٢٨٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٦٩).
(٥) نفسه (ص ٣١٣ ـ ٣١٦ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٦) وما بعدها إلى (ص٦٧٠).



ومنها قوله:

ضَرَبْنا بسَيْفٍ فـي يَمِينِكَ لَـمْ نَـدَعْ ... بـهِ دونَ بـابِ الصِّينِ عَيْنـاً لِظالِـمِ
بـــهِ ضَـــرَبَ اللهُ الّـــذينَ تَحَزَّبـــوا ... ببَـــدْرٍ علـــى أعنـــاقِهِمْ والمعَاصِـــمِ

وقوله في ذات النقيضة:

ونَحْنُ ضَرَبْنا مِنْ شُتَيْرِ بـنِ خالِـدٍ ... عَلَـى حَيْـثُ تَسْتَسْـقِيهِ أُمُّ الجَمـاجِمِ
ويَوْمَ ابْنِ ذِي سِيدانَ إذْ فَوَّزَتْ بِـهِ ... إِلَى المَوْتِ أعْجازُ الرِّماحِ الغَواشِمِ
ونَحْـنُ ضَـرَبْنا هامَـةَ ابْـنِ خُوَيْلِـدٍ ... يَزِيـدَ عَلَـى أُمِّ الفِـراخِ الجَـواثِمِ
ونَحْـنُ قَتَلْنَـا ابْنَـيْ هُتَـيْمٍ وأدْرَكَـتْ ... بَحيراً بنـا رَكْضُ الـذُّكورِ الصَّلادِمِ
ونَحْـنُ قسَـمْنا مِـنْ قُدامَـةَ رَأْسَـهُ ... بصَـدْعٍ عَلَـى يـا فوخِـهِ مُتَفـاقِمِ
وعَمْـراً أخـا عَـوْفٍ تَرَكْنَـا بمُلْتَقـىً ... مِنَ الخَيْلِ في سامٍ مِنَ النَّقْعِ قاتِمِ
ونَحْـنُ تَرَكْنـا مِـنْ هِلالِ بـنِ عـامِرٍ ... ثَمـانينَ كَهْـلاً لِلنُّسـورِ القَشـاعِمِ
بـدَهْنا تَمـيمٍ حَيْـثُ سُـدَّتْ عَلَـيْهِمُ ... بمُعْتَـرَكٍ مِـنْ رَمْلِهـا المُتَـراكِمِ
ونَحْـنُ مَنَعْنـا مِـنْ مَصـادٍ رِماحَنـا ... وكُـنَّ إذا يَلْقَـيْنَ غَيْـرَ حَـوائِمِ
رُدَيْنِيَّـةَ صُـمَّ الكُعـوبِ كَأنَّهـا ... مَصـابيحُ فـي تَرْكيبِهـا المُـتلاحِمِ
ونَحْـنُ جَـدَعْنا أنْـفَ عَـيْلانَ بالقنـا ... وبالرّاسِـباتِ البـيضِ ذاتِ القـوائِمِ

فالشاعر يفخر بانتصارات قبيلته وقتلها (عبد الله بن خازم)[1]، ويستمر الشاعر في فخره بأيام قبيلته وانتصاراتها (يوم غَوْل) وقتلهم شتير بن خالد بن نفيل، وطريف بن سيدان وهو من بني أبي عوف بن عمرو بن كلاب، ويذكر أسرهم ليزيد بن خويلد المعروف بيزيد الصَّعِق، وقتلهم لابن هتيم من بني عمرو بن كلاب، ويذكر كذلك انتصارهم يوم النِّسار وقتلهم قدامة الذائد بن عبد الله، ويوم (ذي نجَب) وقتلهم عمرو بن الأحوص، ويوم (الوتدِات) وكان لبني نهشل على بني هلال ومن معهم من بني عامر[2].

ويقول جرير[3]:

نُـدافِعُ عَـنْكُمْ كُـلَّ يَـوْمٍ عَظيمَـةٍ ... وأنْـتَ قُراحِـيٌّ بِسِـيفِ الكَـواظِمِ
أجُبْنـاً وفَخْـراً يـا بَنـي زَبَـدِ اسْـتِها ... ونَحْنُ نَشُبُّ الحَرْبَ شيبَ المَقادِمِ

فهو يهجو الفرزدق بأنه ليس من أبناء البادية المتمرسين في الحروب بينما

---

(١) هو أحد أغربة العرب، وأمه عجلى وكانت حبشية، وقيل: هو إسلامي ولا يعد من الأغربة، انظر: ديوان النقائض (ج١/ص٣١٣).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢٤ - ٣٢٦).
(٣) السابق (ص٣٣٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٤)، والبيت الثاني لم يرد في الديوان.

شاب هو وقومه فيها.

وكذا قوله في ذات النقيضة[1]:

تَرانـي إذا مـا النّـاسُ عَدُّوا قديمَهُمْ ... وفَضْلَ المَساعِي مُسْفِراً غَيْرَ وَاجِمِ
بأيّـامِ قَـوْمي مـا لِقَوْمِـكَ مِثْلُهـا ... بهـا سَـهَّلوا عَنّـي خَبـارَ الجَـراثِمِ
إذا ألجَمَـتْ قَـيْسٌ عَنـاجيجَ كالقنـا ... مَجَجْنَ دَماً مِنْ طولِ عَلْكِ الشَّكائِمِ
سَبَوْا نِسْوَةَ النُّعْمانِ وابْنَـيْ مُحَرِّقٍ ... وعِمْـرانَ قـادوا عَنْـوَةً بـالخَزائِمِ
وهُـمْ أنْزَلـوا الجَـوْنَيْنِ فـي حَوْمَـةِ الـوَغى ... ولَـمْ يَمْنَـعِ الجَـوْنَيْنِ عَقْدُ التَّمـائِمِ
كَأنَّـكَ لَـمْ تَشْـهَدْ لَقيطـاً وحاجِبـاً ... وعَمْـرَو بـنَ عَمْـروٍ إذْ دَعَـوْا يـالَ دَارِمِ
ولَـمْ تَشْـهَدِ الجَـوْنَيْنِ والشِّـعْبَ ذا الصَّـفا ... وشَـدّاتِ قَـيْسٍ يَـوْمَ دَيْـرِ الجَمـاجِمِ

وقوله في ذات النقيضة:

ألا رُبَّ قَـوْمٍ قَـدْ وَفَـدْنَا عَلَـيْهِمُ ... بصُـمِّ القنـا والمُقْرَبَـاتِ الصَّـلادِمِ
لَقَـدْ حَظِيَـتْ يَوْمـاً سُـلَيْمٌ وعـامِرٌ ... وَعَبْسٌ بتَجْريدِ السُّيوفِ الصَّوارِمِ
وعَبْسٌ هُمُ يَـوْمَ الفَـروَقَينِ طَرَّفُـوا ... بأسْـيافِهِمْ قُـدْموسَ رَأسِ صُـلادِمِ

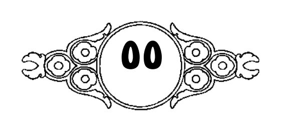
فالشاعر يمدح قومه بالشجاعة وانتصارهم (يوم القويرة) وكان لبني عامر على بني شيبان، ويذكر أنصاره من قيس ويمدحهم بالشجاعة حتى إن خيولهم تمج دماً من كثرة كرِّها وفرِّها في ساحات القتال، ويفخر بانتصار قومه (يوم جبلة)[2] حين سيق إليهم معاوية بن الجون من بني عبس التي قتلت عمرو بن الجون ودفعت بأخيه معاوية إلى بني عامر ليقتلوه كما قتل عمرو بن الجون الذي أسره بنو كلاب، ويذكر كذلك مقتل لقيط بن زرارة (يوم جبلة)، ويذكر يوم (الجونين وهو يوم الرَّغام)[3] وفيه ناصر بنو كلاب مجاوريهم ومعاهديهم من بني رعْل من

---

(١) نفسه (ص٣٣٧ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٩)، وانظر: ديوانه (ص٤٥٥).

(٢) لعامر من قيس وحلفائهم من عبس، على تميم وحلفائهم من ذبيان وأسد وغيرهما. وجبلة: جبل طويل له شعب عظيم واسع لا يرقى الجبل إلا من قبله. ويوم جبلة من أعظم أيام العرب وأشدها، وكان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٣٤٩) وكذلك ديوان النقائض (ج١/ص٣٣٩ ـ ٣٤٢).

(٣) يوم الرَّغام لبني يربوع (من تميم) على كلاب (من قيس). والرَّغام: اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة، انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٣٧٠)، وكذلك ديوان النقائض (ج١/ص٣٣٩ ـ ٣٤٢).



سليم عندما أغار عليهم عتيبة بن الحارث بن شهاب.

وكذا قوله[(١)]:

ومــا وَجَــدَ المُلُــوكَ أعــزَّ مِنّــا ... وأسْــرَعَ مِــنْ فَوارسِــنا اسْــتِلابا
إذا حَــرْبٌ تَلَقَّــحُ عَــنْ حِيــالٍ ... ودَرَّتْ بَعْــدَ مِرْيَتِهــا اعْتِصــابا
ونَحْــنُ الحــاكِمونَ عَلَــى قُــلاخٍ ... كَفَيْنــاذا الجَرِيــرَةِ والمُصــابا
حَمَيْنــا يَــوْمَ ذِي نَجَــبٍ حِمانــا ... وأحْرَزْنــا الصَّــنائعَ والنِّهابــا
لَنَــا تَحْــتَ المحامِــلِ سـابغاتٌ ... كَنَسْــجِ الــرِّيح تَطَّــرِدُ الحَبابــا
وذي تــاجٍ لَــهُ خَــرَزاتُ مُلْــكٍ ... سَــلَبْناهُ السُّــرادِقَ والحِجابــا

فهو يذكر شجاعته وشجاعة قومه، الذين يكسبون الحرب بعد أن يطول أمدها مشبهاً ذلك بالناقة التي تُعصب لعدم درها فتلقح في أول قرعة، ويذكر يوم (ذي نجب)، وقد برزوا فيه ولهم حمائل السيوف التي تكشف عن شجاعتهم كما تكشف الريح حَباب الماء، ولا يحد شجاعتهم حد، بل إنهم ينازلون الملوك في ساحات القتال.

وقوله[(٢)]:

وإنِّــي لَمِــنْ قَــوْمٍ تَكُــونُ خُيولُــهُمْ ... بِثَغْــرٍ وتَلْقــاهُمْ مَقانِــبَ قُــوَّدا
يَحُشّــونَ نيــرانَ الحُــروبِ بِعـارِضٍ ... عَلَتْـهُ نُجـومُ البَـيْضِ حَتَّـى تَوَقَّـدا
وكُنّــا إذا سِــرْنا لِحَــيٍّ بِأَرْضِــهِمْ ... تَركنــاهُمُ قَتْلَــى وفَــلاًّ مُشَــرَّدا
ومُكْتَـبَلاً فـي القِـدِّ لَـيْسَ بِنـازِعٍ ... لَـهُ مِـنْ مِـراسِ القِـدِّ رِجْلاً ولا يَـدا
وإنّــي لَتَبْتَــزُّ الــرَّئِيسَ فَوارسِــي ... إذا كُلُّ عَجْعـاجٍ مِـن الخُـورِ عَـرَّدا
رَدَدْنَــا بِخَبْــراءِ العُنــابِ نِســاءَكُمْ ... وقَـدْ قُلْـنَ عِتْـقُ اليَـوْمَ أوْ رِقُّنـا غَـدا
فأصْـبَحْنَ يَزْجُـرْنَ الأيـامِنَ أسْـعُداً ... وقَـدْ كُـنَّ لا يَزْجُـرْنَ بـالأَمْسِ أسْـعُدا

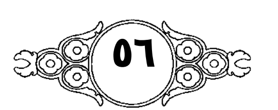
ومنها قوله:

مَنَعْنــاكُمُ حتَّــى ابْتَنَيْــتُمْ بُيــوتَكُمْ ... وأصْــدَرَ راعِــيكُمْ بِفَلْــجٍ وأوْرَدا
بِشُعْثٍ على شُعْثٍ مَغاويرَ بِالضُّحَى ... إذا ثَــوّبَ الــدّاعي لِــرَوْعٍ ونَــدَّدا
كَــراديسَ أوْ راداً بِكُــلِّ مُناجِــدٍ ... تَعَـوَّدَ ضَـرْبَ البَـيْضِ فيمـا تَعَـوَّدا

يفخر جرير بقومه الذين ينزلون كل موقع يخافه العدو، وهم على خيولهم مع قادتهم في حماية عشيرتهم، ويخوضون الحروب ويزيدونها استعاراً، كما تزداد النار اشتعالاً بزيادة حطبها، فهو يشبه قتلهم لعدوهم بإتيان النار على كل شيء،

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٧٩).
(٢) السابق (ص٣٩٧ ـ ٣٩٨ ـ ٤٠٠)، وانظر: ديوان جرير (ص١٧٢ ـ ١٧٣).



ولا يسلم من القتل إلا الفار من أرض المعركة أو المأسور، ويستمر جرير في فخره بشجاعة قومه، فهم لا يعودون القهقرى كما يجبن غيرهم، والدليل رد سبايا (العُناب) بعد سبيهن (يوم المرّوت)[١]، ومن شجاعتهم حمايتهم لجارهم الذي يأمن بجانبهم.

ويقول الفرزدق في مدح عُبيد الراعي وقومه ـ وقد فضله على جرير ـ[٢]:

هُمُ مَنَعوا يَوْمَ الصُّلَيْعاءِ سَرْبَهُمْ ... بطَعْنٍ تَرَى فيهِ النَّوافِذَ عُنَّدا

وهُمْ مَنَعوا مِنْكُمْ إرابَ ظُلامَةً ... فلَمْ تَبْسُطوا فيها لِساناً ولا يَدا

يمدح الفرزدق الراعي وقومه لشجاعتهم، ويذكر (يوم الصليعاء)[٣] بديار بني غطفان وكان به يوم من أيام العرب.

وقوله[٤]:

ومَسْروحَةً مِثْلَ الجَرادِ يَسوقُها ... مُمَرٌّ قُواهُ والسَّراءُ المُعَطَّفُ

فأصْبَحَ في حَيْثُ التَقَيْنا شَريدُهُمْ ... طَليقٌ ومَكْتوفُ اليَدَيْنِ ومُزْعَفُ

وكُنّا إذا ما اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بالقِرَى ... أتَتْهُ العَوالِي وَهْيَ بالسَّمِّ تَرْعَفُ

ولا نَسْتَجِمُّ الخَيْلَ حَتَّى نُعيدَها ... غَوانِمَ مِنْ أعْدائِنا وَهْيَ زُحَّفُ

كذَلِكَ كانَتْ خَيْلُنا مَرةً تُرَى ... سِماناً وأحْياناً تُقادُ فَتجعَفُ

عَلَيْهِنَّ مِنّا النّاقِضونَ ذُحولَهُمْ ... فهُنَّ بأعْباءِ المَنِيَّةِ كُتَّفُ

مَداليقُ حَتَّى تَأتِيَ الصّارِخَ الَّذي ... دَعا وَهْوَ بالثَّغْرِ الّذي هَوَ أخْوَفُ

وقوله:

وقِدْرٍ فَثَأْنا غَلْيَها بَعْدَ ما غَلَتْ ... وأخْرَى حَشَشْنا بالعَوالِي تُؤثَّفُ

يفخر الفرزدق بشجاعة قومه وشدة بأسهم في الحرب، ويشبه كثرة نبلهم بالجراد، ويذكر فعل قومه في ساحات القتال فلا يصمد أمامهم أحد، ومن واجههم لا يخلو من الأسر أو الفرار أو الإصابة، فهم يقابلون عدوهم وقد استعدوا للقاء بالرماح، ولا يخرجون من حرب إلا ويدخلون أخرى حتى هزلت خيلهم في ميادين القتال، لكن هذه الخيل لا تلبث أن تعود فتسمن لعنايتهم بها، واستعدادهم لخوض الحروب، وإعداد العدة لها، فحرب ينتصرون فيها فتسكن، وأخرى يثيرونها ويضرمونها كما تضرم النار تحت القدر.

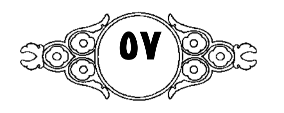
---

(١) (يوم المرّوت) لتميم على عامر (من قيس)، والمرّوت موضع في ديار بن تميم. انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص٣٧٥).

(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٤٠٧ ـ ٤٠٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩٩).

(٣) انظر: ديوان الفرزدق (ص١٩٩).

(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص١٧ ـ ١٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٦).



وقوله[١]:

وأصْيَدَ ذي تاجٍ صَدعْنا جَبينَهُ بأسْيافِنا والنَقْعُ لَمْ يَتَزَيَّلِ
تَرَى خَرَزاتِ المُلْكِ فَوْقَ جَبينِهِ صَؤَولٌ شَبا أنْيابِهِ لَمْ يُضَلَّلِ

فهو يذكر شجاعة قومه وقدرتهم على الانتصار في المعارك، وبراعتهم في قتال الشجعان وقوّاد المعارك، دليلاً على أن شجاعتهم تفوق شجاعة غيرهم.

ويقول جرير[٢]:

وَتَرْفَعُنا عَلَيْكَ إذا افْتَخَرْنا لِيَرْبوعٍ بَواذِخُ شامِخاتِ
هُمُ سَلَبوا الجَبابِرَ تاجَ مُلْكٍ بِطِخْفَةَ عِنْدَ مُعْتَرَكِ الكُماةِ

يفخر جرير بانتصار قومه (يوم طِخفة) ـ وكان لبني يربوع على جيش المنذر بن ماء السماء لمنعه الردافة عنهم[٣] ـ فقد جالدوا عدوهم حتى انتصروا عليه.

وقوله[٤]:

مَنَعْنا بِجَنْبَيْ ذي طُلوحٍ نِساءَكُمْ ولَمْ تَمْنَعوا يا ثُلْطَ زبَّاءَ فارِقِ

فهو يهجو الفرزدق وقومه بعدم استطاعتهم الدفاع عن النساء لولا تدخل بني يربوع (يوم طلوح)[٥].

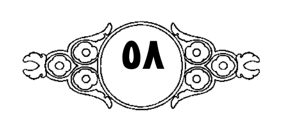
ويقول الفرزدق[٦]:

ألَسْنا بأصْحابِ يَوْمِ النِّسارِ وأصْحابِ ألْوِيَةِ المِرْبَدِ
ألَسْنا الَّذين تَميمٌ بِهِمْ تَسامَى وتَفْخَرُ في المَشْهَدِ
وقَدْ مَدَّ حَوْلي مِنَ المالِكَيْنِ أواذِيُّ ذي حَدَبٍ مُزْبِدِ
إلى هاداتٍ صِعابِ الرُّؤوسِ قَساوِرَ لِلْقَسْوَرِ الأصْيَدِ

يذكر الفرزدق شجاعة قومه يوم النِّسار، كما يذكر مواجهته الأدبية في

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١٢٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٦٨).
(٢) السابق (ص١٧٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٩٢).
(٣) انظر خبر يوم (طِخفة) بأيام العرب في الجاهلية (ص٩٤). والردافة بمنزلة الوزارة، وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس.
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص١٧٩). ولم يرد البيت في ذات النقيضة، في ديوان جرير. انظر: (ص٣٢٦).
(٥) (يوم ذي طُلُوح): لبني يربوع (من تميم) على بكر (من ربيعة)، وذو طلوح: موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد، وهو يوم الصمد، ويوم أود ـ واد. انظر: أيام العرب في الجاهلية (ص١٨٤)، وانظر: ديوان النقائض (ج٢/ص١٧٨) وما بعدها.
(٦) ديوان النقائض (ج٢/ص١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩١).



المربد، وكأنه يقول إن شجاعتهم لم تقتصر على القول دون الفعل فهم يقولون ويفعلون، ويشبههم بالأسد في الشجاعة والبسالة.

ويقول جرير[1]:

ولا نَحْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الجِوارِ ... بغَيْرِ السُّيوفِ ولا نَرْتَدِي

إلى قوله:

ويَوْماً ببَلْقاءَ يا ابْنَ القُيونِ ... شَهِدْنا الطِّعانَ ولَمْ تَشْهَدِ
فصَبَّحْنَ أبْجَرَ والحَوْفَزانَ ... بَوِرْدٍ مُشيحٍ عَلَى الدُّوَّدِ
ويَوْمَ البَحيَرِيْنِ ألْحَقْتَنا ... لَهُنَّ أخاديدُ في القَرْدَدِ
نُعِضُّ السُّيوفَ بهامِ المُلوكِ ... ونَشْفِي الطِّماحَ مِنَ الأصْيَدِ

يذكر جرير عزة قومه وشجاعتهم وحمايتهم للمستجير، ويذكر انتصاراتهم في المعارك التي خاضوها وشهد عدوهم فيها شجاعتهم، التي خضع لها المتكبر وعاد إلى الحق.

وكذا قوله[2]:

وإنِّي أخو الحَرْبِ الَّتي يُصطلَى بها ... إذا حَمَلَتْهُ فَوْقَ حالٍ تَشَنَّعا

وقوله في ذات النقيضة:

وقَدْ عَلِمَ الأقْوامُ أنَّ سُيوفَنا ... عَجَمْنَ حَديدَ البَيْضِ حَتَّى تَصَدَّعا
ألا رُبَّ جَبّارٍ عَلَيْهِ مَهابَةٌ ... سَقَيْناهُ كَأْسَ المَوْتِ حَتَّى تَضَلَّعا

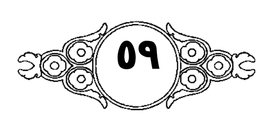
وقوله:

ونَحْنُ خَضَبْنا لِابْنِ كَبْشَةَ تاجَهُ ... ولاقى امْرَءاً في ضَمّةِ الخَيْلِ مِصْقَعا
وقابوسَ أعْضَضْنا الحَديدَ ابْنَ مُنْذِرٍ ... وحَسّانَ إذ لا يَدْفَعُ الذُّلَ مَدْفَعا
وقَدْ جَعَلَتْ يَوْماً بطِخْفَةَ خَيْلُنا ... مَجَرّاً لِذي التّاجِ الهُمامِ ومَصْرَعَا
وقَدْ جَرّبَ الهِرْماسُ أنَّ سُيوفَنا ... عَضِضْنَ بِرَأسِ الكَبْشِ حَتَّى تَصَدَّعا
ونَحْنُ تَدارَكْنا بَحيراً وَقَد حَوَى ... نِهابَ الغُنابَيْنِ الخَميسُ لِيَرْبَعا

يفخر جرير بشجاعة قومه، وصرامة سيوفهم، وقتلهم أشداء الرجال، كما يذكر شجاعة قومه التي أظهروها في المعارك التي خاضوها كيوم (طخِفة) وقتلهم لقادة خصومهم.

---

(١) السابق (ص١٩٤ ـ ١٩٥)، وانظر: ديوان جرير (ص١٣٠).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٢١٥ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٦ ـ ٢٨٧).



ويقول الفرزدق[1]:

قــوْمٌ يُــرَدُّ بهِــمْ إذا مــا اسْــتَلأَموا غَضَــبُ المُلــوكِ وتُمْنَــعُ الأَدْبــارُ

يعتد الفرزدق بنفسه وبعشيرته فهم شجعان تُرد بهم الجيوش بلبس الدروع استعداداً للحرب.

ويقول جرير[2]:

هَــلاَّ طَعَنْــتَ الخَيْــلَ يَــوْمَ لَقيتَهــا طَعْنَ الفَـوارِسِ مِـنْ بَنـي عُقْفـانِ

يفخر جرير بفعل قومه بني عُقفان من يربوع الذين شاركوا في رد الخوارج عن الكوفة، حتى عاد كل رجل منهم برأس رجل من الخوارج الذين خرجوا على الحجاج ابن يوسف.

وكذا قوله[3]:

لَقَــدْ عَلِــمَ الفَــرَزْدَقُ أَنَّ قَــوْمي يُعِــدُّونَ المَكــارِمَ لِلسِّــبابِ
يَحُشّــونَ الحُــروبَ بِمُقْرَبــاتٍ وداوُودِيَّــةٍ كَأَضــا الحَبــابِ

يعتد جرير بترفع قومه عن السباب والشتائم بتحليهم بمكارم الأخلاق وانشغالهم عن كل ما ينقصهم بالإعداد للحروب، وامتلاكهم للدروع الجيدة من صنعة داود عليه السلام والتي شبهها بحباب الأضاء التي هي طرائق الماء كالوشي.

وقوله[4]:

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ الضَّــبَّ يَهْـدِمُ جُحْـرَهُ وتَرْأَسُــهُ باللَّيْــلِ صُــمُّ الأَســاوِدِ
فَإِنَّــا وَجَــدْنا إِذْ وَفَــدْنا إِلَــيْكُمُ صُدورَ القَنا والخَيْلَ مِنْ خَيْرِ وافِدِ

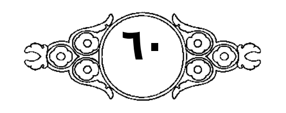
يشبه الشاعر نفسه وقومه بالأساود التي تأخذ برأس الضب ليلاً فتأكله، ويذكر أن وفادتهم على أعدائهم تكون بإبراز القوة في وجوههم وتسديد الرماح إلى صدورهم وتهيئة خيلهم لخوض المعارك، في إشارة إلى شجاعتهم.

٢ ـ الشجاعة في المواقف:

الشجاعة في المواقف والثبات لمواجهتها وتصديق القول بالفعل هي القسم الثاني من ورود الشجاعة في نقائض جرير والفرزدق؛ إذ يقول الأخير[5]:

----

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٥٠)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٧٠).
(٢) السابق (ص٢٦٧)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٦٣).
(٣) نفسه (ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٩)، وانظر: ديوان جرير (ص١٤٥).
(٥) السابق (ج١/ص٢٢٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).



مِـنَ اللاّئـي يَظَـلُّ الأَلْـفُ مِنْـهُ   مُنيخـاً مِـنْ مَخافَتِـه نَهـارا
تَظَـلُّ المُخْـدِراتُ لَـهُ سُـجوداً   حَمَـى الطُّـرُقَ المَقانِـبَ والتِّجـارا
كَـأَنَّ بِسـاعِدَيْهُ سَـوادَ وَرْسٍ   إذا هَـوَ فَـوْقَ أَيْـدِي القَـوْمِ سـارا

يذكر الشاعر شجاعته فهو من قومٍ الواحد منهم يهابه ألف رجل، وشبه شجاعتهم بالأسود المهابة نهاراً، فكيف بالليل الذي تزداد فيه شجاعة إلى شجاعتها؟! فالواحد من قومه يُرى وقد اسودّ ذراعه من دماء الأعداء وكأنه نبات (الورس)(٦) الأسود.

وقوله(٧):

لا قَـوْمَ أَكْـرَمُ مِـنْ تَمـيمٍ إذْ عَـدَتْ   عُـوذُ النِّسـاءِ يُسَـقْنَ كالآجـالِ
الضّـاربونَ إذا الكَتيبَـةُ أَحْجَمَـتْ   والنّـازِلونَ غَـداةَ كُـلِّ نِـزالِ

فهو يذكر ثبات قومه في ساحات القتال فحين تفر الكتائب يصمدون إلى أن يكتب لهم النصر.

وقوله(٨):

أَنـا ابْـنُ العاصِـمينَ بَنـي تَمـيمٍ   إذا مـا أَعْظَـمُ الحـدثانِ نابـا
نَمـاني كُـلُّ أَصْـيَدَ دارِمِـيٍّ   أَغَـرَّ تَـرى لِقُبَّتِـهِ حِجابـا
مُلُـوكٌ يَبْتَنـونَ تَوارَثوهـا   سُـرادِقها المَقـاوِلَ والقِبابـا
مِـنَ المُسْـتَأْذِنينَ تَـرَى مَعَـدّاً   خُشـوعاً خاضِـعينَ لَـهُ الرِّقابـا
شُـيوخٌ مِـنْهُمُ عُـدُسُ بـنُ زَيْـدٍ   وسُـفْيانُ الَّـذي وَرَدَ الكُلابـا

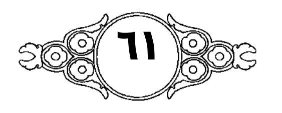
وقوله في ذات النقيضة:

يَـرُدّونَ الحُلـومَ إلَـى جِبـالٍ   وإنْ شـاغَبْتَهُمْ وُجِـدوا شِـغابا
أُولاك وعَيْـرِ أُمِّـكَ لَـوْ تَـراهُمْ   بِعَيْنِـكَ مـا اسْتَطَعْتَ لَهُـمْ خِطابـا
رَأَيْـتَ مَهابَـةً وأُسـودَ غـابٍ   وتـاجَ المُلْـكِ يَلْتَهِـبُ الْتِهابـا
بَنـو شَـمْسِ النَّهـارِ وكُـلِّ بَـدْرٍ   إذا انْجابَـتْ دُجُنَّتُـهُ انْجِيابـا

يذكر الشاعر شجاعة قومه وثباتهم عند النوازل والنوائب، وسيادتهم في السلم وفي الحرب، حتى غدوا مهابي الجانب، لا يدخل عليهم أحد حتى يؤذن له لشرفهم وسيادتهم، ويذكر ثبات أبطالهم (يوم الكُلاب)، ومنهم (عُدُس بن زيد وسفيان بن مجاشع) اللذان كانت لهما مهابة وعزة يشبهها بمهابة الأسد.

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٦) الورس: نبات أسود فإذا سُحِق اصفَرّ.
(٧) ديوان النقائض (ج١/ص٢٣٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٨) السابق (ص٣٧٤ ـ ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١١٨ ـ ١١٩).



وكذا قوله[(١)]:

ونُبِّئْتُ ذا الأهْدامِ يَعْوي ودونَهُ   مِنَ الشَّأْمِ زَرّاعاتُها وقُصورُها
إليَّ ولَمْ أتْرُكْ عَلَى الأرْض حَيَّةً   ولا نابحاً إلا اسْتَسَرَّ عَقورُها

فهو يفخر أنه مهاب الجانب يستخفي منه كل من يُتّقى شره مخافة أن يثب عليه ولم يضره كلام الآخرين الذين يعرفون ثباته وشجاعته.

وقوله[(٢)]:

عَجوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عاذَتْ بِغالِبٍ   فلا والَّذي عاذَتْ بِهِ لا أضيرُها
فإنِّي عَلَى إشْفاقِهَا مِنْ مَخافَتي   وإنْ عَقّها بي نافِعٌ لَمُجيرُها

يذكر الفرزدق ثباته على ما كان عليه أبوه (غالب) من ثبات موقفه تجاه من يطلب مساعدته وذلك لشجاعته التي يقابل بها كل أحد لإحقاق الحق وحماية المستجير به.

ويقول جرير في مدحه لبني جعفر بن كلاب ومنهم قيس التي فضلته على الفرزدق[(٣)]:

فَوارِسُ قَيْسٍ يَمْنَعونَ حِماهُمُ   وفيهِمْ جِبالُ العِزِّ صَعْبٌ وُعورُها
وقَيْسٌ هُمُ قَيْسُ الأعِنَّةِ والقَنا   وَقَيسٌ حُماةُ الخَيْلِ تَدْمَى نُحورُها
سُلَيْمٌ وذُبْيانٌ وعَبْسٌ وعامِرٌ   حُصونٌ إلَى عِزٍّ طِوالٍ عَمُورُها
ألَمْ تَرَ قَيْساً لا يُرامُ لَها حِمىً   وَيَقْضِي بِسُلْطانٍ عَلَيْكَ أميرُها

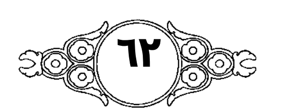
امتدح جرير قيساً بمحافظتهم على الحمى وثباتهم دونه، وما ذاك إلا لشجاعتهم وامتلاكهم مقوّمات هذه الحماية من العدة التي ذكر منها الرماح والخيول، ويذكر من قبائل قيس الشجعان سليماً وذبيان وعبساً وعامراً وهي قبائل تقف دون حماها ثابتة، حتى صارت لها السيادة بين القبائل ونفاذ أمر أميرها الذي يلزم غيرها من القبائل.

ويقول الفرزدق[(٤)]:

كِلانا لَهُ قَوْمٌ هُمُ يُحلِبونَهُ   بأحْسابِهِمْ حَتَّى يُرَى مَنْ يُخَلَّفُ
إلَى أمَدٍ حَتَّى يُزايِلَ بَيْنَهُمْ   ويُوجِعَ مِنَّا النَّخْسُ مَنْ هَوَ مُقْرِفُ

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٤٣٠ ـ ٤٣١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٦٣ ـ ٣٦٤).
(٢) السابق (ص٤٣٠ ـ ٤٣١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٦٣ ـ ٣٦٤).
(٣) نفسه (ص٤٤١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٣٣).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٩).



عَطَفْتُ عَلَيْكَ الحَرْبَ إنِّي إذا وَنَى أخُو الحَرْبِ كَرّارٌ عَلَى القِرْنِ مِعْطَفُ

يفخر الفرزدق بقومه الذين ينصرونه ويعينونه، فلا يكتفون بنصره باللسان بل هي نصرة بالقول والفعل، يأتيه المدد تلو الآخر من قومه العرب الخلّص الذين تأصلت فيهم الشجاعة، ويفخر بشجاعته التي لا يحدها حدود فهو لا يتوانى عن مقارعة خصومه بثبات.

ويقول جرير[(١)]:

أجِئْتُمْ تَبَغَّوْنَ العُرامَ فِعِنْدَنا عُرامٌ لِمَنْ يَبغِي العَرامَةَ واسِعُ
تَشَمَّسُ يَرْبوعٌ وَرائِيَ بالقَنَا وعادتُنا الإقْدامُ يَوْمَ نُقارِعُ
لَنا جَبَلٌ صَعْبٌ عَلَيْهِ مَهابَةٌ مَنيعُ الذُّرَى في الخِندِفِيّينَ فارِعُ
وفي الحَيِّ يَرْبوع إذا ما تَشَمَّسوا وفي الهُنْدُوانِيّاتِ لِلضَّيْمِ مانِعُ

يفخر الفرزدق بثبات رهطه ـ بني يربوع ـ وممانعتهم ونصرتهم له، ويذكر إقدامهم في القتال، واستخدامهم السيوف الهندية الصارمة للدفاع عن مواقفهم.

٣ ـ الإغاثة:

إغاثة المستغيث والوقوف إلى جانبه ونصرته والدفاع دونه شجاعة أبرزها شاعرا النقائض ـ جرير والفرزدق ـ؛ إذ يقول جرير[(٢)]:

ألا تَسْألونَ النَّاسَ مَنْ يُنْهِلُ القنا ومَنْ يَمْنَعُ الثَّغْرَ المَخوفَ تَلاتِلُهْ
لَنا كُلُّ مَشْبوبٍ يُرَوَّى بكَفِّهِ جَناحا سِنانٍ دَيْلَمِيٍّ وعامِلُهْ

يذكر جرير شجاعة قومه التي يظهرونها عند الاستغاثة بهم وتسديد الرماح إلى نحور أعدائهم.

ويقول الفرزدق[(٣)]:

وضَبَّةُ أخْوالي هُمُ الهامَةُ الّتي بهَا مُضَرٌ دَمَّاغَةٌ لِلْجَماجِمِ
وهَلْ مِثْلُنا يا ابْنَ المَراغَةِ إذْ دَعا إلَى البَأسِ داعٍ أوْ عِظامِ المَلاحِمِ

يفخر الفرزدق بأخواله بني ضبة من مضر المعروفة بنصرة المستغيث ودرء الفتن وخوض المعارك نصرةً لمن يطلب عونهم.

٤ ـ إباء الضيم:

---

(١) السابق (ص١٠٩ ـ ١١٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٠٩).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٧٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٤).
(٣) السابق (ص١٥٣ ـ ١٥٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٧٣).

يتمثل في رفض الكبر، وإحقاق الحق، وفي ذلك يقول الفرزدق[1]:

وكُنّـــا إذا الجَبَّـــارُ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ ضَــرَبْنَاهُ حَتَّــى تَسْــتَقيمَ الأخــادِعُ

يفخر الفرزدق بإباء قومه للضيم وعدم قبولهم الكبر، فهم يضربون عنق صاحبه حتى يستقيم، بعد أن أماله تكبراً؛ ليذهب كبره ويعود إلى الحق.

٥ ـ أمان المستجير:

يتمثل في إكرام المستجير (الدخيل) والمفاداة دونه، وفي ذلك يقول جرير[2]:

فمَنْ يَسْتَجِرْنا لا يَخَفْ بَعْدَ عَقْدِنا ومَـنْ لا يُصالِـحْنا يَبِـتْ غَيْـرَ نـائِمِ
بَنِـي القَـيْنِ إنَّـا لَـنْ يَفـوتَ عَـدُوُّنا بِـــوِتْرٍ ولا نُعْطِـــيهِم بِـــالخَزائِمِ
وإنِّــي مِــنَ القَــوْمِ الَّــذينَ تَعُــدُّهُمْ تَمـِـيمٌ حُمــاةَ المَــأزِقِ المُــتَلاحِمِ

يفخر جرير بشجاعة قومه الذين يأمن بهم المستجير ويخشاهم العدو الذي يجافي النوم عينيه في حال نزاعه معهم، ويذكر رهطه بني يربوع من تميم المعروفين بشدة بأسهم عند التحام المعارك، حتى غدا دخيلهم عزيزاً لا تمس له كرامة.

٦ ـ حماية الثغور:

حماية الثغور وصيانتها ورد اعتداءات المعتدين تظهر شجاعة المدافعين الذين هم على أهبة الاستعداد لصيانة ديارهم، وفي ذلك يقول جرير[3]:

نَحْــنُ الحُمــاةُ بِكُــلِّ ثَغْــرٍ يُتَّقَــى وبِنــا يُفَــرَّجُ كُــلُّ بَــابٍ مُغْلَــقِ

يعتد الشاعر بقومه الذين يحمون الثغور ويحلّون الكرب ويفرجونها ويحكمون رأيهم لحل كل عظيمة استغلق أمرها على أصحابها.

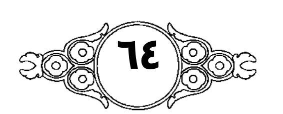
وقوله[4]:

مَنْ كـانَ يَـذْكُرُ مـا يُقـالُ ضُحَى غَدٍ عِنْــدَ الأَسِــنَّةِ والنُّفــوسُ تَطَلَّــعُ
كَـذَبَ الفَـرَزْدَقُ إنَّ قَـوْمِي قَـبْلَهُمْ ذادوا العَدُوَّ عَنِ الحِمَى فاسْتَوْسَعوا
مَنَعوا الثُّغورَ بِعـارِضٍ ذي كَوْكَـبٍ لَــوْلا تَقَــدُّمُنا لَضَــاقَ المَطْلَــعُ

يعتد جرير بشجاعة قومه الذين حموا الثغور بجيش كبير شبهه بالسحاب

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٩).
(٢) السابق (ص١٦١)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤٩).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٣٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٦).
(٤) السابق (ص٣١٧)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩٢).



لعظمته وكثرته، وشبه لمعان سيوفهم بلمعان الكواكب، إشارة لكثرة سلاحهم حتى استوسعوا في الأرض وطردوا أعداءهم.

وكذا قوله[1]:

نُقيمُ عَلَى ثُغورِ بَني تَميمٍ ... ونَصْدَعُ بَيْضَةَ المَلِكِ الهُمامِ

وكُنْتُمْ تَأْمَنونَ إذا أقمْنا ... وإنْ نَظْعَنْ فما لَكَ مِنْ مُقامِ

وكُنَّا الذّائِدينَ إذا جَلَوْتُمْ ... عَنِ السَّبْيِ المُصَبَّحِ والسَّوامِ

يفخر جرير بحماية قومه ثغور بني تميم وحفظها من كل عدوان، ولشجاعتهم فإن مَنْ حولهم يأمن بهم إذا أقاموا، ويرتحلون معهم إذا ارتحلوا لأنهم يدافعون عنهم، ويذودون عن السبيّ من النساء وكل ما يرعى من إبل ونحوها.

٧ ـ الدفاع عن العرض:

العرض ضرورة من الضرورات الخمس التي كفلها الإسلام، وللدفاع عنه تخاض المعارك والحروب، وحضور النساء للمعارك يحفز الجيوش للدفاع عن أعراضها، وفي هذا يقول جرير[٢]:

وأنْتُمْ قُيونٌ تَصْقُلونَ(*) سُيوفَنا ... ونَعْصَى بها في كُلِّ يَوْمٍ مُشَهَّرِ

فَوارسُ كَرّارونَ في حَوْمَةِ الوَغا ... إذا خَرَجَتْ ذاتُ العَريشِ المُخَدَّرِ

يفخر جرير بدفاع قومه عن العرض فهم يخوضون المعارك، ويذكر (حومة الوغى) وهي أشد موضع في ساحة القتال وذلك للدفاع عن نسائهم اللاتي يستثرنهم بخروجهن إلى مكان القتال.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقات:

١ ـ الفخر:

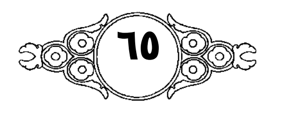
طرق شاعرا النقائض ـ جرير والفرزدق ـ غرض الفخر عند الحديث عن مكرمة الشجاعة، وهو سياق مناسب لهذه المكرمة التي ارتبطت بمكرمة الفروسية والانتصارات في الحروب، والأيام التي خاضتها عشيرة كل من الشاعرين أو مناصريهما.

---

(١) نفسه (ص٣٥٤)، وانظر: ديوانه (ص٤٠٨)، وجاء صدر البيت الثالث بالديوان كالتالي: (ونحن الذائدون إذا جبنتم).

(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٠٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٣٧).

(*) وردت في ديوان الشاعر: (تصلقون)، وشرحها في الهامش: (تصقلون).



فقول جرير[1]:

ألَسْـنا نَحْـنُ قَـدْ عَلِمَـت مَعَـدٌ   غَـداةَ الـرَّوْعِ أجْـدَرَ أنْ نَغـارا

جاء في سياق الفخر بعشيرته التي تلاقي الأعداء بسيوفها الصقيلة الصارمة، وقد افتخر في هذه النقيضة بعدد من المكارم منها: الكرم، والفروسية.

وفي السياق نفسه قوله[2]:

قَوْمي الَّذينَ يَزيدُ سَمْعي ذِكْرُهُمْ   سَمْعاً وكانَ بضَوْئِهِمْ إبْصاري

فهو يفخر بشجاعة قومه الذين يخوضون المعارك برباطة جأش، حتى إن ألجمة خيولهم تغيّر لونها إلى الأحمر من كثرة دماء قتلاهم.

وقول الفرزدق[3]:

ونَحْنُ ضَرَبْنا مِنْ شُتَيْرِ بنِ خالِدٍ   عَلَى حَيْثُ تَسْتَسْقِيهِ أُمُّ الجَماجِمِ
ويَوْمَ ابْنِ ذي سِيدانَ إذْ فَوَّزَتْ بِهِ   إلَى المَوْتِ أعْجازُ الرِّماحِ الغَواشِمِ
ونَحْنُ ضَرَبْنا هامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ   يَزِيدَ عَلَى أُمِّ الفِراخِ الجَواثِمِ

فالشاعر يفخر بشجاعة قومه في خوض الحروب، والدليل على ذلك انتصاراتهم المتعددة فيما خاضوه منها.

وقول جرير[4]:

ألا رُبَّ قَوْمٍ قَدْ وَفَدْنَا عَلَيْهِمُ   بصُمِّ القَنا والمُقْرَباتِ الصَّلادِمِ

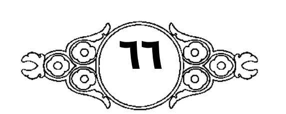
وقوله[5]:

وما وَجَدَ المُلُوكَ أعَزَّ مِنّا   وأسْرَعَ مِنْ فَوارِسِنا اسْتِلابا
إذا حَرْبٌ تَلَقَّحُ عَنْ حِيالٍ   ودَرَّتْ بَعْدَ مِرْيَتِها اعْتِصابا
ونَحْنُ الحاكِمونَ عَلَى قُلاخٍ   كَفَيْناذ الجَريرَةِ والمُصابا

فهو يفخر بشجاعة قومه في الحروب وثباتهم في أرض المعركة، حتى ولو طالت الحرب حتى يحققوا النصر.

---

(١) انظر: النقيضة بديوان النقائض (ج١/ص٢١٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٢).
(٢) انظر: النقيضة بالسابق (ص٢٨٣)، وانظر: ديوانه (ص٢٦٧).
(٣) انظر: النقيضة بنفسه (ص٢٩٠) وما بعدها، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٣) وما بعدها.
(٤) انظر: النقيضة بديوان النقائض (ج١/ص٣٣٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).
(٥) السابق (ص٣٥٩)، وانظر: ديوانه (ص٧٦).



وقول الفرزدق[1]:

أنــا ابْــنُ العاصِـمينَ بَنــي تَمـيمٍ   إذا مــا أعْظَــمُ الحــدثانِ نابــا
نَمــاني كُــلُّ أصْــيَدَ دارمـــيٍّ   أغــرَّ تَــرى لِقُبَّتِـــهِ حِجابـــا

إلى أن يقول مفتخراً بقبيلته بني تميم:

يَــرُدّونَ الحُلــومَ إلَــى جِبــالٍ   وإنْ شــاغَبْتَهُمْ وُجِــدوا شِــغابا

فهو يعتد بانتسابه لهذه العشيرة وثباتها في مواقفها التي خبرها الناس عنها.

وقول جرير مفتخراً بذكاء قومه وسرعة إجابتهم للمستغيث[2]:

ألا تَسْألونَ النَّاسَ مَنْ يُنْهِلُ القنـا   ومَـنْ يَمْنَـعُ الثَّغْـرَ المَخـوفَ تَلاتِلُـهْ
لَنــا كُـلُّ مَشْـبوبٍ يُـرَوَّى بكَفِّـهِ   جَناحــا سِــنانٍ دَيْلَمِــيٍّ وعامِلُــهْ

وقوله[3]:

لَنــا جَبَـلٌ صَـعْبٌ عَلَيْـهِ مَهابَـةٌ   مَنيـعُ الـذُّرَى فـي الخِنـدِفِيّينَ فـارِعُ

فالشاعر يفخر برهطه من بني يربوع وهم يمنعونه وينصرونه، ويذكر شجاعتهم التي أظهروها في مواقفهم.

وقول الفرزدق مفتخراً بشجاعة قومه التي تأبى الضيم والذل وترفض التكبر[4]:

وكُنّــا إذا الجَبَّــارُ صَــعَّرَ خَــدَّهُ   ضَـرَبْنَاهُ حَتَّــى تَسْـتَقيمَ الأخــادِعُ

وكذا قوله[5]:

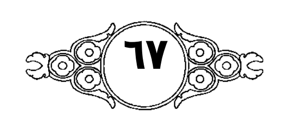
وأصْـيَدَ ذي تــاجٍ صَـدعْنا جَبينَــهُ   بأسْــيافِنا والنَّقْــعُ لَــمْ يَتَزَيَّــلِ

فشجاعتهم لا يهابون معها مقارعة الفرسان الشجعان الذين استطاعوا قتالهم والانتصار عليهم.

وقوله مفتخراً بأخواله من بني ضَبَّةَ[1]:

---

(١) نفسه (ص٣٧٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١١٨).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٦٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٠).
(٣) السابق (ص١٠٧)، وانظر: ديوانه (ص٣٠٨).
(٤) انظر: النقيضة بالسابق (ج٢/ص١١٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٧).
(٥) نفسه (ج١/ص١٢٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٦٨).



وضَـبَّةُ أخْـوالي هُـمُ الهامَـةُ الَّتـي بهَـا مُضَـرٌ دَمَّاغَـةٌ لِلْجَمـاجِمِ
وهَلْ مِثْلُنـا يـا ابْنَ المَراغَـةِ إذْ دَعـا إلَـى البَـأْسِ داعٍ أوْ عِظَـامِ المَلاحِمِ

فأخواله بنو ضَبَّة ينصرون المستغيث وبهم يأمن جانبه.

وقول جرير[2]:

وَتَرْفَعُنـا عَلَيْـكَ إذا افْتَخَرْنـا لِيَرْبـوعٍ بَـواذِخُ شـامِخاتِ
هُـمُ سَـلَبوا الجَبـابِرَ تـاجَ مُلْـكٍ بِطِخْفَـةَ عِنْـدَ مُعْتَـرَكِ الكُمـاةِ

فهو يفخر بقومه بني يربوع الذين انتصروا (يوم طخفة) فقد نازلوا الأبطال حتى انتصروا عليهم، وقد جعل أعداءهم أبطالاً وبالرغم من ذلك انتصروا عليهم ما يدل على أن شجاعتهم تفوق شجاعة غيرهم.

ومثله افتخار الفرزدق بانتصار قومه (يوم النّسار)[3]:

ألَسْـنا بِأَصْـحابِ يَـوْمِ النِّسـارِ وأصْـحابِ ألْوِيَـةِ المِرْبَـدِ
ألَسْـنا الَّـذين تَمـيمٌ بهِـمْ تَسـامَى وتَفْخَـرُ فـي المَشْـهَدِ

فقد جعل انتسابهم لتميم مفخرة للقبيلة عامة.

وقول جرير[4]:

ولا نَحْتَبـي عِنْـدَ عَقْـدِ الجِـوارِ بغَيْـرِ السُّـيوفِ ولا نَرْتَـدِي

إلى أن يقول:

نُعِـضُّ السُّـيوفَ بهـامِ المُلـوكِ ونَشْـفِي الطِّمـاحَ مِـنَ الأصْـيَدِ

فهم قومٌ دائمو الاستعداد للحرب يتوشحون السيوف التي يضربون بها أعداءهم من المتكبرين الذين يواجهون شجاعتهم ضاربين رؤوسهم حتى تستقيم للحق.

وافتخاره كذلك بمعرفته فنون الحرب والقتال[5]:

=
(١) ديوان النقائض (ج١/ص١٣٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٧١).
(٢) السابق (ص١٧٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٩٠).
(٣) نفسه (ص١٨٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٨٩).

(٤) انظر: النقيضة بديوان النقائض (ج٢/ص١٩٢)، وانظر: ديوان جرير (ص١٢٨).
(٥) السابق (ص٢١٣)، وانظر: ديوانه (ص٢٨٣).

وإنّي أخو الحَرْبِ الّتي يُصطلَى بها إذا حَمَلَتْــهُ فَــوْقَ حــالٍ تَشَــنَّعا

وقوله في ذات النقيضة مفتخراً بانتصارات قومه وقتلهم الأعداء:

ونَحْـنُ خَضَـبْنا لِـابْنِ كَبْشَـةَ تاجَـهُ ولاقـى امْـرءاً فـي ضَـمّةِ الخَيْـلِ مِصْـــــــــــقعا

إلى أن يقول:

ونَحْـنُ تَـدارَكْنا بَحيـراً وَقَـد حَـوَى نِهـابَ العُنـابَيْنِ الخَمـيسُ لِيَرْبَعـا

وكذا قوله[1]:

نَحْــنُ الحُمــاةُ بِكُــلِّ ثغْــرٍ يُتَّقــى وبِنــا يُفَــرَّجُ كُــلُّ بَــابٍ مُغْلَــق

فبهم تحل الكرب وتحمى الثغور.

ويفتخر جرير أيضاً بفعل قومه بني عُقفان الذين شاركوا في رد الخوارج عن الكوفة[2]:

هَــلاّ طَعَنْــتَ الخَيْــلَ يَــوْمَ لَقيتَهــا طَعْنَ الفَـوارِسِ مِـنْ بَنـي عُقْفـانِ

وقوله مفتخراً على الفرزدق بحماية الثغور[3]:

نُقــيمُ عَلَــى ثُغــورِ بَنــي تَمِــيمٍ ونَصْــدَعُ بَيْضَــةَ المَلِــكِ الهُمــامِ

وقوله[4]:

فإنَّــا وَجَــدْنا إذْ وَفَــدْنا إلَــيْكُمُ صُدورَ القَنـا والخَيْلَ مِنْ خَيْرِ وافِدِ

٢ ـ المدح:

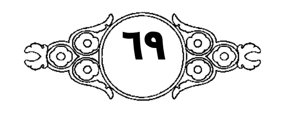
وفيه أشاد الشاعران بشجاعة قومهما أو من يناصرهما؛ إذ يقول الفرزدق[5]:

عَــوَى فَأثــارَ أغْلَــبَ ضَــيْغَمِيّاً فوَيْـلَ ابْـنِ المَراغَـةِ مـا اسْـتَثارا
مِــنَ اللاّئــي يَظَــلُّ الألْــفُ مِنْــهُ مُنيخــاً مِــنْ مَخافَتِــه نَهــارا

فالشاعر يمدح قومه بأنهم شجعان ويشبه شجاعتهم بالأسد الذي تزيد قوته

---

(١) نفسه (ص٢٣٠)، وانظر: ديوانه (ص٣٣٦).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ ص٢٦٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٦٠).
(٣) السابق (ص ٣٥٠)، وانظر ديوان جرير (ص٤٠٨).
(٤) نفسه (ص٣٦٩)، وانظر: ديوان جرير (ص١٤٥).
(٥) نفسه (ج١/ص٢٢٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٢٤٣).



وشجاعته ليلاً.

وقوله[1]:

لا قَـوْمَ أكْـرَمُ مِـنْ تَمـيمٍ إذْ عَـدَتْ عُـوذُ النِّسـاءِ يُسَـقْنَ كالآجـالِ
الضّـاربونَ إذا الكَتيبَـةُ أحْجَمَـتْ والنّـازلونَ غَـداةَ كُـلِّ نِـزالِ

فالشاعر يمتدح شجاعة قومه التي يخوضون بها المعارك.

وقول جرير[2]:

تَراني إذا ما النّاسُ عَدُّوا قديمَهُمْ وفَضْلَ المَساعِي مُسْفِراً غَيْرَ واجِمِ

فهو يمدح قومه بانتصاراتهم في المعارك والأيام التي خاضوها ويمدح قيساً بأيامها التي انتصرت فيها.

وقول جرير[3]:

وإنِّي لَمِنْ قَوْمٍ تَكونُ خُيولُهُمْ بثَغْرٍ وتَلْقاهُمْ مَقانِبَ قُوَّدا
يَحُشّونَ نيرانَ الحُروبِ بعارِضٍ عَلَتْهُ نُجومُ البَيْضِ حَتَّى تَوَقَّدا

فهو يمدح قومه بإشعال الحروب وخوضها والانتصار فيها.

وقول الفرزدق في مدح الراعي وقومه[4]:

هُمُ مَنَعوا يَوْمَ الصُّلَيْعاءِ سَرْبَهُمْ بطَعْنٍ تَرَى فيهِ النَّوافِذَ عُنَّدا

فهو يمدح شجاعة الراعي وقومه (يوم الصليعاء) وطعنهم أعدائهم.

وقول جرير في مدح قيس[5]:

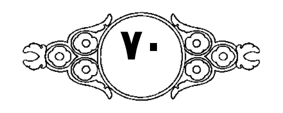
وقَيْسٌ هُمُ قَيْسُ الأعِنَّةِ والقنا وَقَيسٌ حُماةُ الخَيْلِ تَدمَى نُحورُها

فهو يمدح قيساً بحماية الحمى، وما ذاك إلا لامتلاكهم مقوّمات هذه الحماية وهي الشجاعة.

وقول الفرزدق يمدح رهطه من مجاشع[1]:

----

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٣٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٢) السابق (ص٣٣٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).
(٣) انظر: النقيضة بالسابق (ج١/ص٣٩٦)، وانظر: ديوان جرير (ص١٧٠).
(٤) السابق (ص٤٠٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩٧).
(٥) ديوان النقائض (ج١/ص٤٤٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٣٢).



كِلانـا لَـهُ قَـوْمٌ هُـمُ يُحلِبونَـهُ ... بأحْسابِهِمْ حَتَّى يُرَى مَنْ يُخَلَّفُ

فهو يمدح نسب رهطه العريق الذي لا يصله نسب آخر.

وقوله[2]:

قَـوْمٌ يُـرَدُّ بهِـمْ إذا مـا اسْـتَلأموا ... غَضَـبُ المُلـوكِ وتُمْنَـعُ الأدْبـارُ

فالشاعر يمدح قومه بأنهم يرد بهم كل عظيم إذا ما لبسوا عدة الحرب.

وقول جرير[3]:

لَقَـدْ عَلِـمَ الفَـرَزْدَقُ أنَّ قَـوْمي ... يُعِـدُّونَ المَكـارِمَ لِلسِّـبابِ
يَحُشّـونَ الحُـروبَ بمُقْرَبـاتٍ ... ودَاوُودِيَّـةٍ كَأضـا الحَبـابِ

٣ ـ الهجاء:

وذلك كقول جرير[4]:

نُـدافِعُ عَـنْكُمْ كُـلَّ يَـوْمِ عَظيمَـةٍ ... وأنْـتَ قُراحِـيٌّ بسِـيفِ الكَـواظِمِ
أجُبْنـاً وفَخْـراً يـا بَنـي زَبَـدِ اسْتِها ... ونَحْنُ نَشُبُّ الـحَرْبَ شيبَ المَقادِمِ

فجرير يهجو الفرزدق بأنه لم يعش حياة البادية بما فيها من الخشونة والصلابة، ويذكر صلابته وقومه وشجاعتهم ومعرفتهم بفنون القتال فقد شابت رؤوسهم في ميادين الحروب.

وقوله[5]:

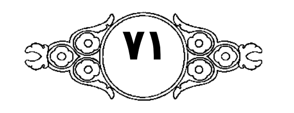
مَنَعْنـا بجَنْبَـيْ ذي طُلـوحٍ نِسـاءَكُمْ ... ولَـمْ تَمْنَعـوا يـا ثُلْـطَ زبَّـاءَ فـارق

فقد هجا الفرزدق بعدم منعتهم نساءهم يوم طلوح.

وقوله[6]:

=

(١) نفسه (ص٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٢٩).
(٢) انظر النقيضة بالسابق (ج٢/ص٢٤٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٦٨).
(٣) نفسه (ص٣٦٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٣).
(٤) انظر النقيضة بديوان النقائض (ج١/ص٣٣٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢)، والبيت الثاني لم يرد في ديوان الشاعر.
(٥) السابق (ج٢/ص١٧٨)، والبيت لم يرد في ديوان الشاعر.
(٦) نفسه (ص٣٠٧)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٢٦).



وأنْــتُمْ قُيــونٌ تَصْــقُلونَ سُــيوفَنا   ونَعْصَى بِها فِي كُلِّ يَوْمٍ مُشَهَّرِ
فَوارِسُ كَرّارونَ في حَوْمَةِ الوَغا   إذا خَرَجَتْ ذاتُ العَريشِ المُخَدَّرِ

فهو يهجو الفرزدق وقومه بقيامهم بصقل السيوف دون معرفة استخدامها، ثم يذكر شجاعته وقومه وحمايتهم للعرض واختراقهم ساحة القتال للوصول إلى وسطها، وقتال الأعداء.

وقوله[1]:

كَذَبَ الفَرَزْدَقُ إنَّ قَوْمِي قَبْلَهُمْ   ذادوا العَدُوَّ عَنِ الحِمَى فاسْتَوْسَعوا

يصم الفرزدق بالكذب، ثم يعود ويثبت شجاعة قومه وحمايتهم للثغور.

٤ ـ الرثاء:

وذلك كقول الفرزدق في رثاء أبيه ـ غالب ـ[2]:

ونُبِّئْتُ ذا الأهْدام يَعْوي ودونَهُ   مِنَ الشَّأمِ زرّاعاتُها وقُصورُها
إلَيَّ ولَمْ أتْرُكْ عَلَى الأرْض حَيَّةً   ولا نابحاً إلا اسْتَسَرَّ عَقورُها

إلى أن يقول:

عَجوزٌ تُصَلِّي الخَمْسَ عاذَتْ بغالِبٍ   فَلا والَّذي عاذَتْ بِهِ لا أضيرُها
فَإنِّي عَلَى إشْفاقِهَا مِنْ مَخافَتي   وإنْ عَقّها بي نافِعٌ لَمُجيرُها

فهو يرثي أباه، ويذكر ثباته على مواقفه في إعانة وإغاثة من يستجير به.

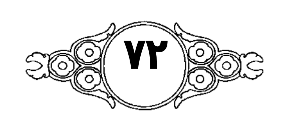
٥ ـ الوصف:

وذلك كوصف الفرزدق لكثرة نبلهم في ساحات القتال، وكثرة قتلاهم وجرحاهم، ومواصلة الحروب؛ فخيلهم لا تفرغ من قتال حتى تدخل آخر[3]:

ومَسْروحَةٍ مِثْلَ الجَرادِ يَسوقُها   مُمَرٌّ قُواهُ والسَّراءُ المُعَطَّفُ
فَأصْبَحَ في حَيْثُ التَقَيْنا شَريدُهُمْ   طَليقٌ ومَكْتوفُ اليَدَيْنِ ومُزْعَفُ

---

(١) انظر النقيضة بديوان النقائض (ج٢/ص٣١١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٨).
(٢) السابق (ج١/ص٤٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٦٠).
(٣) انظر النقيضة في ديوان النقائض (ج٢/ص٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٢٩).



وقول جرير[1]:

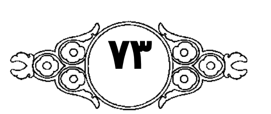
فمَنْ يَسْتَجرْنا لا يَخَفْ بَعْدَ عَقْدِنَا ... ومَنْ لا يُصالِحْنا يَبِتْ غَيْرَ نائِمِ

فهو يصف أمان المستجير بهم، وحذر واضطراب عدوهم الذي يتوجس منهم خيفة فيجافي النوم عينيه لعدم اطمئنانه مهابة منهم.

ﭑﭑﭑ

---

(١) السابق (ص١٥٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤٧).



خامساً: العدل:

(العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور... وفي أسماء الله سبحانه: العدل، وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم)[١].

والعدل مكرمة قام عليها الدين الإسلامي، أمر الله عز وجل بها نبيه ^، فقال تعالى: (ﭙ ﭚ□ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ﯾ ﯿ□ □ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □)[٢].

وقال تعالى: (ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)[٣].

وقوله تعالى: (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ)[٤].

ويقول تعالى: (ﭘ ﭙ ﭚ □□ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □□ □ □ □)[٥].

وربط الله عز وجل هذه المكرمة لعظمها بالتقوى، قال تعالى: (ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ)[٦].

ويقول تعالى: (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ□ □ □ □ □ □ □ □□ □ □□ □ □)[٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ^ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه معلّق في المساجد...**» الحديث[٨].

والعدل (فضيلة كل زمان، والحاجة إليه ماسة في كثير من أمور الناس في حياتهم)[٩]، فهو (ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي، والمُحق من المُبطل. وعدل المالك يوجب محبته، وجوره يوجب الافتراق عنه.

----

(١) لسان العرب، مادة (عدل).
(٢) الشورى: ١٥.
(٣)، (٤) النحل: ٧٦، ٩٠.
(٥) الأعراف: ٢٩.
(٦) المائدة: ٨.
(٧) النساء: ٥٨.
(٨) مختصر صحيح مسلم للألباني، باب: فضل إخفاء الصدقة رقم [٥٣٧] (ص١٤٧).
(٩) القيم الخلقية في النقد العربي (ص٥٦).

وأفضل الأزمنة ثواباً أيام العدل)[1]، (ولست تجد فساداً إلا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان، فإذن لا شيء أنفع من العدل كما أنه لا شيء أضر مما ليس بعدل)[2]، (والعدل فضيلة خلقية، من أتمّ الفضائل وأعلاها مكانة، وأقواها تأثيراً في تفكير الإنسان، يتشوق إليها العربي ويطمح في تحقيقها على مدى الأزمان)[3].

وقد جاءت هذه المكرمة في نقائض جرير والفرزدق في مواضع عدة، دليلاً على إدراك الشاعرين لما لها من مكانة، ولما لإبرازها من دلالة على كريم السجايا؛ إذ يقول الفرزدق[4]:

تَـرَى كُـلَّ مَظْلـومٍ إلَيْنـا فِـرارُهُ ... ويَهْـرُبُ مِنّـا جَهْـدَهُ كُـلَّ ظالِـمِ

فلعدلهم يقصدهم المظلوم لينصفوه، بينما يفر منهم الظالم؛ لأنه لن يجد مكاناً بينهم، فلا مكان إلا للعدل والإنصاف.

ويقول جرير[5]:

ألَمْ يَنْهَ عَنّي النّاسَ أنْ لَسْتُ ظالِماً ... بَريئـاً وأنّـي لِلْمُتـاحينَ مِتْـيَحُ

فهو كبير في أعين الناس لعدله وبعده عن الظلم ما جعل الناس يجتنبون التعريض به تقديراً لعدله وإنصافه.

ويقول الفرزدق[6]:

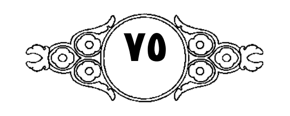
فـإنّي(*) ولا ظُلْمـاً أخَـافُ لِخالِـدٍ ... مِنَ الخَوْفِ أُسْقى مِنْ سِمامِ الأساوِدِ

فالفرزدق مطمئن لعدل خالد القسري الذي حبسه، إلا أنه لعدله سيطلق سراحه، وهذا من عدل الإنسان (فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته)[7].

-----

(١) الأخلاق في الإسلام (ص١٥٧).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص١٥٧).
(٣) القيم الخلقية في شعر عنترة (ص١٢٦).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٥) السابق (ص٤١٦)، وانظر: ديوان جرير (ص١١٢).
(٦) نفسه (ج٢/ص٣٢٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٥٣).
(*) وردت في ديوان الشاعر: (كأني).
(٧) أدب الدنيا والدين (ص١٥٤).



ويقول جرير في مديحه لخالد القسري[1]:

إذا مـا أرادَ النّـاسُ مِنْـهُ ظُلامَـةً ... أبَـى الضَّـيْمَ واسْتَعْصَـى(*) عَلَـى كُـلِّ قائِدِ

فجرير يذكر عدل الممدوح وإباءه للضيم.

ويقول الفرزدق مادحاً الخليفة هشام بن عبد الملك[2]:

رَأَيْتُـكَ قَـدْ مَـلأْتَ الأَرْضَ عَـدْلاً ... وضَـوْءاً وَهْـيَ مُسْـبَلَةُ(**) الظَّـلامِ

رَأَيْـتُ الظُّلْـمَ لَـمّا قُمْـتَ جُـذَّتْ ... عُـراهُ بِشَـفْرَتَي ذَكَـرٍ حُسـامِ(***)

فقد عمد الشاعر في مدح الخليفة بإقامته العدل، ولو لم تكن هذه المكرمة بهذه المكانة خاصة عندما يتعلق الأمر بالعدل بين الرعية لما وُجد النور الذي أشار إليه الشاعر وعم الأرض لهذا العدل.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقات:

١ - الفخر:

وذلك كقول الفرزدق[3]:

تَـرَى كُـلَّ مَظْلُـومٍ إلَيْنـا فِـرارُهُ ... ويَهْـرُبُ مِنّـا جَهْـدَهُ كُـلَّ ظالِـمِ

فقد افتخر بمكرمة العدل، فهم مقصد كل مظلوم لينصفوه، ويفر منهم الظالمون.

٢ - الوصف:

وذلك كقول جرير[4]:

أَلَمْ يَنْهَ عَنّي النّاسَ أنْ لَسْتُ ظالِماً ... بَريئـاً وأنّـي لِلْمُتـاحينَ مِتْـيَحُ

فقد وصف كرمه واستقباله لضيوفه ثم عاد ليصف عدله.

٣ - المدح:

----

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٢٩)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٤).

(*) وردت في ديوان الشاعر: (فاستعصى).

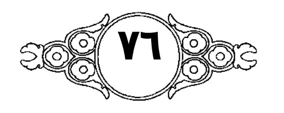
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٤٩)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٥٣).

(**) وردت في ديوان الشاعر: (ملبسة).

(***) وردت في ديوان الشاعر: (هذام).

(٣) انظر النقيضة بديوان النقائض (ج١/ص٢٩٠)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٣).

(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٤١٢)، وانظر: ديوان جرير (ص١٠٨).



وذلك كقول الفرزدق[1]:

فــإنّي ولا ظُلْمـــاً أخَـــافُ لِخالِــدٍ مِــنَ الخَــوْفِ أَسْــقَى مِــنْ سِــمامِ الأســـــــــــــــــــاوِدِ

فقد مدح خالداً القسري بعدله ما جعله يطمئن إليه حتى ولو حبسه.

وقول جرير[2]:

إذا مـــا أرادَ النّـــاسُ مِنْـــهُ ظُلامَـــةً أبَى الضَّيْمَ واستَعْصَى عَلَى كُلِّ قائِدِ

فقد مدح خالداً القسري أيضاً بعدله وإبائه للضيم.

وقول الفرزدق[3]:

رَأَيْتُــكَ قَــدْ مَــلأْتَ الأرْضَ عَــدْلاً وضَــوْءاً وَهْــيَ مُسْــبَلَةُ الظَّــلامِ

فقد مدح هشام بن عبد الملك بعدله حتى عم عدله الأرض كما يعمها الضوء.

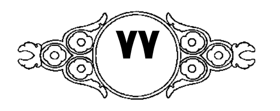
ﭑﭑﭑ

----

(١) السابق (ص٣٢٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٥٣).

(٢) انظر النقيضة بديوان النقائض (ج٢/ص٣٢٨)، وانظر: ديوان جرير (ص١٦٣).

(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٤٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٤٩).



سادسًا: الوفاء بالعهد:

(العهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق...

وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك)[١].

وهو مكرمة نسبها الله عز وجل إلى نفسه تبارك وتعالى؛ لعظمها والحث على أدائها، قال تعالى: (ڇڍڍڌڌڎڎڈڈژژڑڑکککگگگگڳڳڱ)[٢].

ويقول تعالى: (ۆۈۇۇۋۋ ۅ)[٣].

وقوله تعالى: (ۋېېې□□□□)[٤].

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ^ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**» متفق عليه)[٥]، (والوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون)[٦].

وقد وردت هذه المكرمة في نقائض جرير والفرزدق في مواضع مختلفة في مثل قول جرير[٧]:

فإنّا أُناسٌ نُحِبُ الوَفاءَ حِذارَ الأحاديثِ في المَشْهَدِ

فالشاعر يذكر حبه وحب قومه للوفاء، حذر حديث الناس عنهم في المجالس بأنهم غادرون.

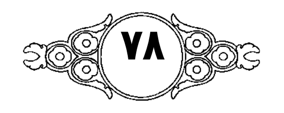
ويقول الفرزدق[٨]:

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتاني ما جَنَى وأبي وكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدورِ

فهو ينفي الغدر عن نفسه وعن أبيه، وبالتالي ينفي النفاق عنهما، (فنقض العهد غدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق، وربما الطرد من رحمة الله تعالى، فقد روي

----

(١) لسان العرب، مادة (عهد).
(٢) البقرة: ٨٠.
(٣) الإسراء: ٣٤.
(٤) آل عمران: ٧٦.
(٥) رياض الصالحين (ص١٨٤).
(٦) الأخلاق في الإسلام (ص٢٢٢).
(٧) ديوان النقائض (ج٢/ص١٩٤)، وانظر: ديوان جرير (ص١٣٠).
(٨) السابق (ص٢٧٧)، ولم يرد البيت في نفس النقيضة في ديوان الشاعر.



أن رجلاً من أهل المدينة، يدعى ثعلبة أتى مجلساً من مجالس الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه ووصلت القرابة، فمات ابن عم له، فورث مالاً، فلم يفِ بشيء مما عاهده له، فنزل قوله تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧](١).

وقول جرير(٢):

وأحْمَدُ حينَ يُحْمَدُ بالمَقاري وحالَ المُرْبِعاتُ مِنَ السَّحابِ
وأوْفى لِلْمُجاوِرِ إنْ أجَرْنا وأعْطى لِلنَّفيساتِ الرِّغابِ

فهو يفخر بوفائهم وخصوصاً للمستجير بهم.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياقي:

١ ـ الوصف:

فقد جاء قول جرير(٣):

فإنّا أُناسٌ نُحِبُّ الوَفاءَ حِذارَ الأحاديثِ في المَشْهَدِ

بعد وصفه لشاعريته وعلو كعبه في الشعر وإفحامه للشعراء كالبعيث وغيره من الشعراء الذين هجوه وهجاهم.

٢ ـ الفخر:

وذلك كقول الفرزدق(٤):

إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتاني ما جَنَى وأبي وكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدورِ

فهو يفخر بوفائه الذي سار فيه على ما كان أبوه غالب في وفائه وكرم صفاته.

وقول جرير(٥):

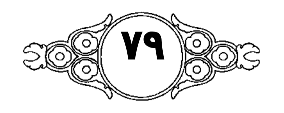
وأوْفى لِلْمُجاوِرِ إنْ أحَرْنا وأعْطى لِلنَّفيساتِ الرِّغابِ

فهو يفخر بوفائه ووفاء قومه وخصوصًا للمستجير بهم.

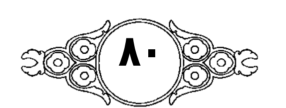
---

(١) الأخلاق في الإسلام (ص٢٢١).

(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥).
(٣) انظر النقيضة بالسابق (ص١٩٢). وانظر: ديوانه (ص١٢٨).
(٤) السابق (ص٢٧٦)، ولم يرد في ديوان الشاعر.
(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٢). وانظر: ديوان جرير (ص٤٣).



ًًًٌٌٌٍٍ



سابعاً: المروءة:

(«المروءة كمال الرّجوليّة»، «مَرُؤَ الرجل يمرُؤُ مُروءةً، فهو مَرِئ، على فعيل، وتمرّأ على تفعّل: صار ذا مروءة. وتمرّأ: تكلّف المروءة. وتمرأ بنا أي طلب بإكرامنا اسم المروءة. وفلان يتمرأ بنا أي يطلب المروءة بنقصنا أو عيبنا... والمروءة: الإنسانية»)(١).

والمروءة (من شواهد الفضل(*) ودلائل الكرم)(٢).

(فالمروءة مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق. روي عن النبي ^ أنه قال: «**من عامل الناس فلم يظلمهم وحدّثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته**»)(٣)، فقد جمع الحديث لمن كملت مروءته بين العدل والصدق والوفاء بالوعد، وقد (اختلفت ألفاظ العلماء في كيفية المروءة، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض)(٤)، وعدّها بعضهم في (اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال ... كما قال المصطفى ^: «**إن مروءة المرء عقله**»... وقال بعض الحكماء مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق ومجالسة العلماء تزكي القلوب)(5).

(والمروءة إذاً: هي جماع مكارم الأخلاق والآداب والأعمال، والبعد عن المساوي والرذائل والدنايا، من الأشياء التي من شأنها أن تزري بالإنسان، وأن تشينه)(٦).

وتحت هذه المكرمة تدخل مكرمة (رد السبايا) التي وردت في غير موضع

----

(١) لسان العرب، مادة (مرأ).
(*) وردت في المرجع (الفصل).
(٢)، (٣) أدب الدنيا والدين (ص٣٢٥).
(٤) التربية الإسلامية (ص١٧٧ - ١٧٨).
(٥) التربية الإسلامية (ص١٧٧ - ١٧٨).
(٦) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي من صدر الإسلام إلى نهاية القرن الثالث الهجري (ج٢/ص٤٠٩).

في نقائض الشاعرين كقول جرير[١]:

رَدَدْنـا بِخَبْـراءِ العُنَـابِ نِسـاءَكُمْ	وقـدْ قُلْـنَ عِتْـقُ اليَـوْمِ أوْرِقُنا غَـدا
فأصْـبَحْنَ يَزْجُـرْنَ الأيـامِنَ أسْـعُداً	وقـدْ كُنَّ لا يَزْجُرْنَ بـالأمْسِ أسْعُدا

يذكر جرير فعل قومه يوم (المرّوت) وأشار له (بالعُناب) وقد قتلوا فيه بحير بن عبد الله بن سلمة بن قشير الذي أغار على رباع من بني يربوع بن تميم فرده بنو يربوع وأعتقوا النساء السبايا منه، وما ذاك إلا لمروءتهم التي أثارت حفيظتهم لنصرة إخوانهم ورد سباياهم.

وقول الفرزدق[٢]:

ورَدَّ عَلَـيْكُمْ مُرْدَفـاتِ نِسـائِكُمْ	بِنـا يَـوْمَ ذي بَـيْضٍ صَـلادِمُ قُـرَّحُ

فهو يذكر رد السبايا (يوم ذي بيض)[٣]، وهو من أيامهم، وقد فعلوا ذلك لمروءتهم التي أبوا معها أن تسبى النساء.

وقوله[٤]:

تَرَكـوا لِتَغْلِـبَ إذْ رَأوْا أرْمـاحَهُمْ	بـإرابَ كُـلَّ لَئِيمَـةٍ مِـدْرانِ
تُـدْمِي وتَغْلِـبُ يَمْنَعـونَ بَنـاتِهِمْ	أقْـدامَهُنَّ حِجـارَةُ الصَّـوّانِ

فهو يذكر منعة تغلب لبنات بني يربوع في (إراب) فقد كانت مروءتهم تمنعهم أن تُسبى النساء.

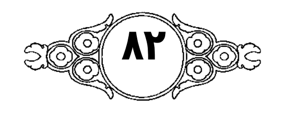
وقول جرير[٥]:

وكُنّـا الذّائِـدينَ إذا جَلَـوْتُمْ	عَـنِ السَّـبْيِ المُصَـبَّحِ والسَّـوامِ
تُقَـدِّينا نِسـاؤُكُمُ إذا مـا	رَقصْـنَ وَقَـدْ رَفَعْـنَ عَـنِ الخِـدامِ

فهو يذكر حمايتهم للنساء وقت يجبن رجال تميم عن ذلك إذ يقف الشاعر ورهطه ـ لمروءتهم ـ مدافعين عنهن كي لا يسبين بعد أن شمّرن أثوابهن استعداداً للهروب.

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٣٩٨). وانظر: ديوان جرير (ص١٧٢).
(٢) السابق (ص٤٢١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٤٦).
(٣) انظر: ديوان الشاعر (ص١٤٦).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٥٨). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٢).
(٥) السابق (ص٣٥٤). وانظر: ديوان جرير (ص٤٠٨).



وقد جاءت هذه المكرمة في سياقي:

١ ـ الفخر:

وذلك كقول جرير[1]:

رَدَدْنَـــا بِخَبْـــراءِ العُنَـــابِ نِســـاءَكُمْ وقَـدْ قُلْـنَ عِتْـقُ اليَـوْمِ أوْرِقُنَـا غَـدا

فهو يفخر برد السبايا من رباع بني يربوع (يوم المرّوت).

وقوله[2]:

وكُنّـــــا الذّائِـــــدينَ إذا جَلَــــوْتُمْ عَــنِ السَّــبْيِ المُصَــبَّح والسَّــوامِ

فهم يردون السبايا ويعترضون من سباهن حتى ولو فرّ غيرهم.

وقول الفرزدق[3]:

تَرَكــوا لِتَغْلِــبَ إذْ رَأَوْا أرْمــاحَهُمْ بــــإِرابَ كُــــلَّ لَئِيمَـــةٍ مِـــدْرانِ
تُــدْمِي وتَغْلِــبُ يَمْنَعــونَ بَنــاتِهِمْ أقْـــــدامَهُنَّ حِجـــارَةُ الصِّـــوّانِ

يمدح تغلب بمنعتها لنسائها وبناتها ويهجو بني يربوع رهط جرير لعدم منعتهم بناتهم.

٢ ـ الهجاء:

وذلك كقول الفرزدق[4]:

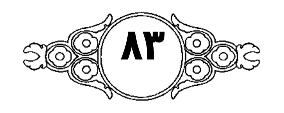
ورَدَّ عَلَـــيْكُمْ مُرْدَفَـــاتِ نِســـائِكُمْ بنـا يَــوْمَ ذي بَـيْضٍ صَـلادِمُ قُـرَّحُ

فهو يهجو جرير بأن مجاشعاً هي التي ردت سبايا بني يربوع يوم (ذي بيض) في إشارة لضعف بني يربوع، ومروءة مجاشع التي أبت أن تُسبى النساء فقامت بردهن.

ﭑﭑﭑ

---

(١) انظر النقيضة في ديوان النقائض (ج١/ص٣٩٦)، وانظر: ديوان جرير (ص١٧٠).
(٢) السابق (ج٢/ ص٣٥٠)، وانظر: ديوانه (ص٤٠٦).
(٣) نفسه (ص٢٥٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٢).
(٤) انظر النقيضة في ديوان النقائض (ج١/ص٤٢١)، وانظر: ديوانه (ص١٤٦).



ثامناً: مكارم أخرى:

إضافة لما سبق من مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق حوت نقائضهما عدداً من المكارم جاءت متفرقة في نقائض الشاعرين أبرزها:

١ ـ الصبر:

(الصبر: نقيض الجزع، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فهو صابر وصَبَّارٌ وصَبيرٌ وصَبورٌ)[(١)].

وهو خلق كريم ربطه الله بالفلاح يقول عز وجل: (□□□□□□□□□□□□)[(٢)].

ويقول تعالى: (ۓۓڭڭڭڭۇۇۆ)[(٣)].

ويقول عز وجل: (□□□□□□□□□)[(٤)].

ويقول جل شأنه: (ٺٺٺٿٿٿٹٹٹڤڤڤڦڦڦڄڄڄڃڃ)[(5)].

(وهو سبيل الفرج ومفتاح النجاح، ومطيّة النصر، فمهما تعسر الأمر واشتد فلابد في نهاية المطاف من الفوز والفلاح)[(٦)].

وفي هذه المكرمة يقول جرير[(٧)]:

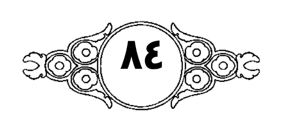
صَبَرْنا لَهُمْ والصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ   بِأَسْيافِنا تَحْتَ الظِّلالِ الخَوافِقِ

فقد جعل الصبر سجية ملازمة لهم، وأحسن حين جعله في ساحات القتال عند وقع السيوف ذلك أن هذا الموقف يظهر فيه ثبات الإنسان وجلده وصبره.

وقد جاءت هذه المكرمة في سياق الفخر؛ إذ افتخر جرير بصبرهم وثباتهم في ملاقاة أبجر العِجليّ ولجيم بن صعب من بكر بن وائل (يوم ذي طُلُوح)، ويذكر صبرهم في أرض المعركة وهو ما عرف عنهم إذ إن الصبر سجية متأصلة فيهم؛ إذ يقول[(٨)]:

---

(١) لسان العرب، مادة (صبر).
(٢) آل عمران: ٢٠٠.
(٣) البقرة: ٤٥.
(٤) آل عمران: ١٨٦.
(٥) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦.
(٦) القيم الخلقية في شعر عنترة (ص١١٤).
(٧) ديوان النقائض (ج٢/ص١٧٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٢٦).
(٨) انظر النقيضة في السابق (ص١٧٨)، وانظر: ديوانه (ص٣٢٦).



وَلَــمّا لَقينــا خَيْــلَ أَبْجَــرَ أعْلَنــوا بِـدَعْوَى لُجَـيْمٍ غَيْـرَ مِيـلِ العَواتِـق
صَـبَرْنا لَهُـمْ والصَّـبْرُ مِنّـا سَـجِيَّةٌ بِأسْـيافِنا تَحْـتَ الظِّـلالِ الخَوافِـق
فَلَمّـــا رَأَوْا ألّـــا هَـــوادَةَ بَيْنَنـــا دَعَوْا بَعْدَ كَرْبٍ يا عَميرُ بنَ طارق

ﱡﱡﱡ

٢ ـ صلة الرحم:

(وَصَلَ الشيء بالشيء يصله وَصْلا وصِلةً وصُلةً لأمه وجمعه، ضد فصله... ووصّل فلاناً وصْلاً وصِلةً التأم به وضد هجره وصَرمه... والوصول الكثير الوصل أو الكثير الإعطاء)(١).

يقول الله تعالى: (ڇڇچچڍيڍڌڌڎ)(٢).

فقد ذم الله تعالى قطيعة الرحم، وجاء الذم على سبيل الاستفهام الإنكاري ممّا يدل على فضل صلة الرحم ومكانتها.

ويقول تعالى: (□□□□□□□□□□□□□□ ىىيي □□□□□□□□□□□)(٣).

(وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ^ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»)(٤)، (وعن أنس رضي رضي الله عنه أن رسول الله ^ قال: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» متفق عليه)(٥)، (ولو عمل الناس بأمر الدين في هذا ما وجد بائس ولا محروم وما انتشرت العداوة والبغضاء والحسد بين الأقارب)(٦).

وفي هذه المكرمة يقول جرير(٧):

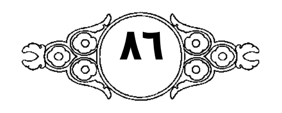
فَمَنْ لِذَوِي الأرْحام بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ   لِجارٍ وعانٍ في السَّلاسِلِ مُوثَقِ

فهو يذكر صلة الفرزدق للأرحام وكذلك رعايته للجار وإكرامه للأسير.

وقد جاءت مكرمة صلة الرحم في نقائض جرير والفرزدق في سياق الرثاء، فقد رثى جرير الفرزدق بعد موته وذكر عدداً من مكارمه وجاءت مكرمة صلة الرحم على رأس ما نعته به من المكارم، وذكر المكارم في هذا السياق يدل على كريم السجايا وخصوصاً بين جرير والفرزدق اللذين طال السجال الشعري

---

(١) لسان العرب، مادة (وصل).
(٢) محمد: ٢٢.
(٣) الأنفال: ٧٥.
(٤) مختصر صحيح البخاري، كتاب الأدب، الحديث رقم [١٩٨٣].
(٥) رياض الصالحين (ص٩٧).
(٦) التربية الإسلامية (ص٧٠).
(٧) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).



بينهما بهذه النقائض؛ إذ يقول جرير[1]:

فمَنْ لِذَوِي الأَرْحام بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ ... لِجارٍ وعانٍ في السَّلاسِلِ مُوثَق

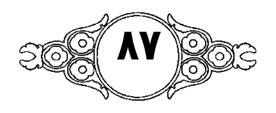
وَمَنْ لِيَتيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ غالبٍ ... وأُمِّ عِيالٍ ساغِبِينَ ودَرْدَق

ومَنْ يُطْلِقُ الأَسْرَى ومَنْ يَحقِنُ الدِّما ... يَداهُ ويَشْفِي صَدْرَ حَرّانَ مُحْنَق

وكم من دم غالٍ تحمَّل ثقله ... وكان حمولاً في وفاء ومصدق

---

(١) انظر القصيدة في السابق (ص٣٧٤ ـ ٣٧٥)، وانظر: ديوانه (ص٣٣٧).

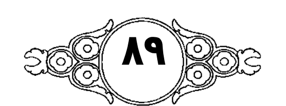


الفصل الثاني
جماليات التشكيل



المبحث الأول

١-لغة الشعر، وألفاظه.
٢-الأساليب والتراكيب الشعرية.
٣-الموسيقى الشعرية.



أولاً: لغة الشعر وألفاظه

لعل اختلاف النقاد قديماً وحديثاً حول شاعرية كل من جرير والفرزدق مرده إلى اللغة، والألفاظ التي وردت في نقائضهما، ما جعلهم يميّزون بين الشاعرين فـ(الفرزدق أشعر عامة، وجرير أشعر خاصة)(١)، وقُدِّم جرير على الفرزدق؛ لأنه (كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظاً، وأقلهم تكلفاً)(٢).

وقد جاء هذا على لسان جرير في إجابته على ابنه عكرمة، عندما سأله عن أشعر الناس، (فقال: ألجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية. قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟ قال: نَبْعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد صفة الملوك، ويصيب نعت الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحراً)(٣).

(قال ابن سلّام: وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب)(٤).

وما ذاك إلا لسهولة شعره ورقة ألفاظه، (قال الفرزدق: إنّي وإياه لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النّهر)(٥).

ولعل هذا ما فطن إليه النقاد عندما قالوا: (أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر)(٦).

وفي هذا ما يشير إلى غرابة الألفاظ واللغة عند الفرزدق الذي تفوق عند النقاد وأهل اللغة لعمق معانيه، وجاءت ألفاظ جرير واضحة وسهلة، الأمر الذي جعله يتفوق عند العامة؛ لقرب معانيه، فقد قيل: (أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم عِللاً، الطامي إذا زفر، والحامي إذا زأر، والسّامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العِنان، فالفرزدق... وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً،

----

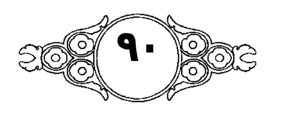
(١)، (٢) الأغاني (ج٣/ص٢٢٤)

(٣) السابق (ص٢٤٣).

(٤) طبقات فحول الشعراء (ج٢/ص٣٧٥).

(٥) السابق (ص٣٧٧).

(٦)،(٢) الأغاني (ج٣/ص٢٧٥).



وأهتكهم لعدّوه ستراً، الأغر الأبْلَق، الذي إن طَلَب لم يُسبق، وإن طُلِب لم يُلحَق فجرير)[1].

وهذا ما نجده في نقائض الشاعرين، فقد حفلت نقائض الفرزدق بالألفاظ الغريبة والوحشية، فيما اتسمت ألفاظ جرير بالسهولة، والرقة، والوضوح.

ولعل ملاحظة الألفاظ عند كل من الشاعرين في كل مكرمة من المكارم يبرز لنا حقيقة تلك الآراء النقدية، فقد حفلت النقائض بالعديد من الألفاظ الخاصة بكل شاعر ما يدل على ملاحظته لانتقاء اللفظ وشحنه بطاقة دلالية تمثل رؤيته الخاصة واحتفاله بمعانيه.

أولاً: مكرمة (رجاحة العقل):

في هذه المكرمة نجد الفرزدق يركز على جملة من الألفاظ مثل: (أحلام، الجبال، رزانة، جهل، ناجية، توزن، أعز، أطول).

ومن ذلك قوله[2]:

أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

وإذا ما نظرنا للمعنى الدلالي لهذه الألفاظ نجد أن الشاعر لجأ لبيان رزانة عقله وعقول قومه وثباتها فجعلها كالجبال الراسيات الثابتات، وقد عرفوا بهذا الرأي السديد الذائع كما تعرف الجبال للسائرين، يدل على ذلك استخدامه لاسم التفضيل الذي يدل على افتخار الشاعر برزانة عقله وعقول قومه؛ لينفذ من خلاله إلى تشبيه هذه العقول وثبات رأيها بثبات الجبال، إذ يقول[3]:

إنَّ الّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا ... بَيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ
بَيْتاً بَناهُ لَنَا المَليكُ وما بَنَى ... حَكَمُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَلُ
بَيْتاً زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفَوارِسِ نَهْشَلُ

لينفذ إلى وصف هذا العقل:

أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

فاستخدامه لاسم التفضيل مناسب لحال الفخر برجحان العقل.

وافتخاره برأي جده ناجية؛ إذ يقول[4]:

وناجِيَةُ الَّذي كانَتْ تَميمٌ ... تَعيشُ بحَزْمِهِ أنَّى أشارا

----

(٢) ديوان النقائض (ج١/ص١٦٧). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠).
(٣) السابق (ص١٦٣). وانظر: ديوانه (ص٥٤٨).
(٤) نفسه (ص٢٢٤). وانظر: ديوانه (ص٣٥٥).

بــهِ رَكَــزَ الرِّمــاحَ بَنــو تَمــيمٍ   عَشِــيَّةَ حَلَّــتِ الظُّعُــنُ النِّســارا

وهو هنا يذكر رجحان عقل جده ناجية الذي لجأ إليه القوم لاستشارته يوم النّسار.

ونجد جريراً يركز على عدد من الألفاظ مثل: (أحلام، الجبال، جهل).

ومن ذلك قوله[1]:

أحْلامُنــا تَــزِن الجِبــالَ رزَانَــة   ويَفُــوقُ جاهِلُنــا فَــعالَ الجُهَّــلِ

فالشاعر أراد أن يقابل المعنى الدلالي عند الفرزدق فجاء بالألفاظ نفسها تقريباً، وزاد عليها بأن هذا العقل يندفع إذا استثير ليتفوق بفعله على غيره.

ثانيًا: مكرمة (الفروسية):

ارتبطت هذه المكرمة بإظهار الفروسية واقتناء الخيل العربية الأصيلة؛ ولذا جاء المعجم الشعري عند كلا الشاعرين يدور حول هذا المعنى.

فعند الفرزدق نجد الألفاظ التالية: (وقائع، المنايا، الخيل، تقتيل، فوارس، الذمار، الجياد).

وإذا أمعنا النظر في دلالات هذه الألفاظ نجد ارتباطها ببعضها، فالمنايا والقتل تحدث في الوقائع التي يخوضها الشاعر وقومه الفرسان لحماية الذمار على ظهور خيولهم.

وذلك من مثل قوله[2]:

وفَضَّــلَ آلَ ضَــبَّةَ كُــلَّ يَــوْمٍ   وَقَــائِعُ بِــالمُجَرَّدَةِ العَــوارِي
وتَقْــديمٌ إذا اعْتَــرَكَ المَنَايــا   بجُــرْدِ الخَيْــلِ فِــي اللُّجَــجِ الغِمِــارِ
وتَقْتِيــلُ المُلُــوكِ وإنَّ مِــنْهُمْ   فَــوارِسَ يَــوَمَ طِخْفَــةَ والنِّســارِ
وإنَّهُــمُ هُــمُ الحَــامونَ لَــمَّا   تَواكَــلَ مَــنْ يَــذودُ عَــنِ الــذِّمارِ

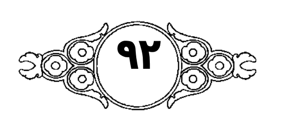
فالفرزدق يذكر فروسية قومه وخوضهم المعارك، وتعرضهم للمنايا وإظهار فروسيتهم التي فاقوا بها الآخرين حتى استطاعوا قتل الملوك، وجاء بالمصدر (تقتيل) دلالة على ملازمة هذا الفعل لهم في كل الوقائع التي خاضوها، ويدلل على ذلك بانتصارهم يومي (طخفة والنّسار)، وقد هبوا فيهما لحماية الذمار.

وقوله[3]:

تَلْقَــى فَوارِسَــنا إذا رَبَّقْــتُمُ   مُتَلَبِّــينَ لِكُــلِّ يَــوْمِ غِــوارِ

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص١٩٦). وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٨).
(٢) السابق (ص٢٠٧). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢٨١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٨).



فهم مستعدون لخوض المعارك دليلاً على تأصل الفروسية فيهم في السلم والحرب.

وقوله[1]:

صَبَحْناهُمُ الجُرْدَ الجِيادَ كَأَنَّها قطاً أفْزَعَتْهُ يَومَ طَلٍّ أجادِلُهْ

يذكر الشاعر صفة خيلهم فهي جياد أصيلة سريعة العدو تشبه القطا في طيرانه هروباً من الصقر.

وقوله[2]:

لَوْلا فَوارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكانِ

ونجد المعجم الشعري عند جرير في هذه المكرمة يدور حول الألفاظ التالية: (فوارس، جياد، عنان، حماة، الخيل، مغيرة).

وهذه الألفاظ لا تبعد كثيراً عن ألفاظ الفرزدق؛ ذلك أن الشاعرين في موقف تنافر ولابد لكل شاعر نقض قصيدة الشاعر المقابل وإن اختلفت الدلالات المعجمية عن الشاعر الآخر.

فالفروسية عند الفرزدق للإغارة على العدو والحفاظ على الزعامة ورد السبايا، بينما نجدها عند جرير تكريماً للخيل، واقتناء لها لمعرفتهم بفنون الفروسية، وحماية المستجير على ظهورها، والإغارة بها على العدو، وحماية الثغور.

وذلك من مثل قوله[3]:

إنَّ الجِيادَ يَبِتْنَ حَوْلَ قِبابِنا مِنْ آل أعْوَجَ أوْ لِذي العُقّالِ
مِنْ كُلِّ مُشْتَرِفٍ وإنْ بَعُدَ المَدَى ضَرِمَ الرَّقاقِ مُناقِلِ الأجْرالِ
مُتَقاذِفٍ تَلِعَ كَأَنَّ عِنانَهُ عَلِقٌ بِأَجْرَدَ مِنْ جُذوعِ أوالِ

وقوله[4]:

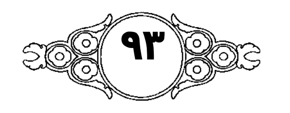
وما زالَ في قَيْسٍ فَوارِسُ مَصْدَقٍ حُماةٌ وحَمّالونَ ثِقْلَ المَغارِمِ

وقوله[5]:

لَوْ حَلَّ جارُكُمُ إلَيَّ مَنَعْتُهُ بالخَيْلِ تَنْحِطُ والقَنا يَتَزَعْزَعُ

----

(١) السابق (ج٢/ص٤٥). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٦٣).
(٢) نفسه (ص٢٦١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٦٧).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢١٥). وانظر: ديوان جرير (ص١٧٦).
(٤) السابق (ص٣٣٥). وانظر: ديوانه (ص٤٥٢).
(٥) نفسه (ج٢/ص٣١٧). وانظر: ديوانه (ص٢٩٢).



لَـحَمَى فُوارسُ يَـحْسِرونَ دُروعَهُمْ خَلْـفَ المَرَافِـقِ حـينَ تَـدْمَى الأَذْرُعُ

فهو وقومه يقتنون الخيول الأصيلة التي تنحط في ساحة القتال نحيطاً من شدة تحملها ويذكر فوارس قومه الذين يواصلون قتالهم غير آبهين بالعدو، ونلحظ هنا استخدام لفظ الفروسية عند جرير على سبيل الجمع (فوارس) دليلاً على الفرسان لا الخيل.

يشير إلى ذلك قوله(١):

فمَـنْ لَـكَ إنْ عَـدَّدْتَ مِثْـلَ فُوارِسـي حَـوَوْا حَكَمـاً والحَضْـرَمِيَّ بـنَ خالِـدِ

فقد جاء بلفظ فوارس وربطهم بذاته (فوارسي) إشارة إلى الفرسان.

ثالثًا: مكرمة (الكرم):

حفل المعجم الشعري لنقائض جرير والفرزدق بعدد من الألفاظ ذات الدلالة على صفة الكرم، وجميعها تدل على السخاء والعطاء والبذل.

نجد ذلك في ألفاظ جرير من مثل: (القرى، الدسائع، الندى، الأضياف، حمول).

وبالنظر إلى دلالات هذه الألفاظ نجدها تشكل نسيجاً مترابطاً من المعاني، فالقرى مرتبط بالضيوف، والعطايا دليل على الندى والبذل، وتحمل المغارم دليل على كرم صاحبه.

وذلك من مثل قوله(٢):

وأحْمَـدَ فـي القِـرَى وأعَـزَّ نَصْـراً وأمْنَـعَ جانِبـاً وأعَـزَّ جـارا

فقد جاء باسم التفضيل (أحمد) من الحمد، ومجيئ التفضيل هنا مناسب لمقام الشاعر فهو في مفاخرة ومنافرة، المفاخرة بكرمه وكرم قومه، ومنافرته لخصمه بنفي المكارم عنه وعن قومه، فهم أشد حمداً وثناءً وذكراً من غيرهم، وما ذاك إلا لكرمهم.

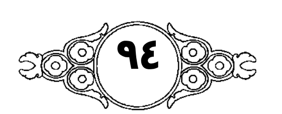
وقوله(٣):

مَنْ مثْلُ فـارسِ ذي الخِمـارِ وَقَعْنَبٍ والحَنْتَفَـيْنِ لِلَيْلَـةِ البَلْبـالِ
والـرِّدْفِ إذْ مَلَـكَ المُلـوكَ ومَـنْ لَـهُ عِظَـمُ الدَّسـائِعِ كُـلَّ يَـوْمِ فِضـالِ

فهو يستفهم على سبيل التقرير أن العطايا العظيمة التي يقدمها قومه فاقت عطايا غيرهم ما يدل على أن كرمهم لا يحده حدود.

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٣٢). وانظر: ديوان جرير (ص١٦٧).
(٢) السابق (ج١/ص٢٢١). وانظر: ديوانه (ص٢٤٣).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢٥٥). وانظر: ديوان جرير (ص٣٨٣).



وقوله[1]:

أَلَـمْ تَعْلَمـي أنَّ النَّـدَى مِـنْ خَليقتـي وكُــلُّ أريــبٍ تــاجِرٍ يَتَــرَبَّحُ

إلى أن يقول:

سَـيَكْفيكِ والأضْـيافَ إنْ نَزَلـوا بنـا إذا لَـمْ يَكُـنْ رِسْـلٌ شِـواءٌ مُلَـوَّحُ
وجامِعَـةٌ لا يُجْعَـلُ السِّـتْرُ دونَهـا لأضْــيافِنا والفــائِزُ المُتَمَــنَّحُ
رَكــودٌ تســامَى بالمَحــالِ كَأنَّهــا شَـموسٌ تَـذُبُّ القائِـدينَ وتَضْـرَحُ
إذا مـا تَرامَـى الغَلْـيُ فـي حَجَراتِهـا تَـرَى الـزَّوْرَ فـي أرْجائِهـا يَتَطَـوَّحُ

فقد طبع على الكرم والبذل فيما شغل غيره بالتجارة وطلب الربح وانصرف هو لاكرام ضيوفه بالشواء، ويبرز القدر التي يطبخ فيها القرى ليراها الناس ويشاركوه طعامه.

وقوله[2]:

وأمْنَـعُ جيرانـاً وأحْمَـدُ فـي القِـرَى إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالِعُ

فقراه محمود مذكور لبذله عن سخاء وتكرُّم.

وقوله[3]:

وأحْمَــدُ حــينَ يُحْمَــدُ بالمَقــاري وحــالَ المُرْبِعــات مِــنَ السَّــحابِ
وأوْفَــى لِلْمُجــاوِرِ إنْ أجَرْنــا وأعْطَــى لِلنَّفيســاتِ الرِّغــابِ

فهم لا يبخلون في العطاء ولا يقدمون إلا نفائس ما يملكون مما هو مرغوب لديهم، وجاء باسم التفضيل (أعطى) لمناسبته هذا المعنى فهم يفضلون غيرهم في العطاء بأنهم لا يعطون إلا النفائس.

وقوله[4]:

ومَـنْ لِـيَتيمٍ بَعْدَ مَـوْتِ ابْـنِ غالِـبٍ وأمِّ عِيــالٍ ســاغِبينَ ودَرْدَق

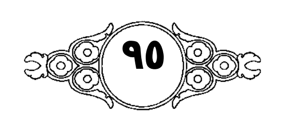
إلى أن يقول:

وكَـمْ مِـنْ دَمٍ غـالٍ تَحَمّـلَ ثِقْلَـهُ وكـانَ حَمـولاً فـي وَفـاءٍ وَمصْـدَق

جاء بلفظ غريب هنا وهو (دردق)، ومعناه الأطفال في دلالة على أن هذا العطاء ليس للتفاخر بقدر ما هو سجية ملازمة للمرثي وهو (الفرزدق) وهو في

----

(١) السابق (ص٤١٤ - ٤١٦). وانظر: ديوانه (ص١١٠ - ١١٢).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٢). وانظر: ديوان جرير (ص٣١١).
(٣) السابق (ص٣٦٣). وانظر: ديوانه (ص٤٥).
(٤) نفسه (ج٢/ص٣٧٥). وانظر: ديوانه (ص٣٣٧).



هذا المقام أفضل من غيره؛ لأن هؤلاء الأطفال ليس لهم سبيل في تحصيل رزقهم، وفي البيت الثاني جاء بصيغة المبالغة (حمول) دليلاً على تحمله المستمر للديات ودفعها لأصحابها وهو عمل نبيل لا يصدر إلا عن نفس كريمة.

ونجد المعجم الشعري للكرم عند الفرزدق يدور حول عدد من الألفاظ مثل: (القرى، الأضياف، الدسائع، الغيث، مقتر، مطعم، المستجار، المجير).

وبالنظر إلى الدلالات الشعرية لهذه الألفاظ نجد استخدام الشاعر لها في معانٍ عميقة، فقرى الأضياف مكرمة متأصلة فيه وفي قومه ورثوها كابراً عن كابر، وعطاياهم مذكورة يتناقل أخبارها الناس، وطعامهم يشاركهم فيه المقتر والمستغيث والمستجير وهو في هذه المواضع أفضل من غيره للحاجة إليه، ثم إنهم يجيرون من استجار بهم، وهذا من كرم نفوسهم، وذلك من مثل قوله[1]:

وإنَّ مُجاشِعاً قَدْ حَمَّلَتْني ... أُموراً لَنْ أُضَيِّعَها كِبارا

قِرَى الأضْيافِ لَيْلَةَ كُلِّ ريحٍ ... وقِدْماً كُنْتُ لِلأضْيافِ جارا

فالشاعر صاحب ولاء لقبيلته (حتى إنه يعد أضخم صوت لتميم في هذا العصر، وجعله ذلك يتمسك بمآثر أهله وكرمهم المسرف)[2]، ومن هذا الولاء السير على نهج كبارهم وأجدادهم في قرى الضيوف وخصوصاً في الليالي الماطرة التي يشتد ريحها إشارة إلى أن كرمهم لا يحده حدود.

وقوله[3]:

تَعالَوْا فعُدّوا يَعْلَمِ النّاسُ أيُّنا ... لِصاحِبِهِ في أوَّلِ الدَّهْرِ تابعُ

وأيُّ القَبيلَيْنِ الَّذي في بُيوتِهِمْ ... عِظامُ المَساعِي واللُّهَى والدَّسائعُ

فالشاعر يفاخر بكرم قومه وعطاياهم العظيمة.

وقوله[4]:

أنا ابْنُ الَّذي رَدَّ المَنِيَّةَ فَضْلُهُ ... وما حَسَبٌ دافَعْتُ عَنْهُ بِمُعْوِرِ

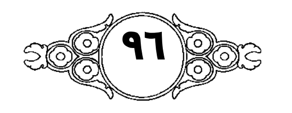
أبي أحَدُ الغَيْثَيْنِ صَعْصَعَةَ الَّذي ... مَتَى تُخْلِفِ الجَوْزاءُ والنَّجْمُ يُمْطِرِ

أجارَ بَناتِ الوائِدينَ ومَنْ يُجِرْ ... عَلَى الفَقْرِ يَعْلَمْ أنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرِ

وفارِقَ لَيْلٍ مِنْ نِساءٍ أتَتْ أبي ... تُعالِجُ ريحاً لَيْلُها غَيْرُ مُقْمِرِ

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٣). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).
(٢) العصر الإسلامي (ص٢٦٧).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٧ ـ ١١٨). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٨).
(٤) السابق (ص٣٠٤). وانظر: ديوانه (ص٣٧٥ ـ ٣٧٦).



فقالَتْ أجِرْ لي ما وَلَدْتُ فإنَّني ... أتَيْتُكَ مِنْ هَزْلَى الحَمولَةِ مُقْتِرِ
هِجَفٍّ مِنْ العُثْوِ الرُّؤُوسِ إذا ضَغَتْ ... لَهُ ابْنَةُ عامٍ يَحْطِمُ العَظْمَ مُنْكَرِ
رَأى الأرْضَ مِنْها راحَةً فرَمَى بها ... إلَى خُدَدٍ مِنْها وفي شَرِّ مَحْفِرِ
فقالَ لَها نامِي فإنِّي بذِمَّتي ... لِبِنْتِكِ جارٌ مِنْ أبيها القَنَوَّرِ

الشاعر يذكر كرم أبيه فهو غيث عطاء اعتاد البذل حتى مع الفقر، ولا بذل أفضل من إحياء الموءودات اللاتي كان يعتقهن على فقره.

ونلحظ غرابة لفظ (هجف) ومعناه جافي الخلقة دلالة على سوء طبعه، وإلا لما أراد وأد ابنته، وكذلك غرابة لفظ (القنّور) ومعناه الضيق الصدر السيئ الخلق، وكلا اللفظين وظفهما الشاعر توظيفاً دقيقاً ليدلل على أن وأد البنات لا يصدر عن الكرام؛ لينفذ من ذلك إلى إثبات كرم أبيه (غالب) الذي كان يعتق الموءودات من الوأد.

وقوله(1):

لا قَوْمَ أكْرَمُ مِنْ تَميمٍ إذْ عَدَتْ ... عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ
الضّاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحْجَمَتْ ... والنّازلونَ غَداةَ كُلِّ نِزالِ
والضّامِنونَ عَلَى المَنِيَّةِ جارَهُمْ ... والمُطْعِمونَ غَداةَ كُلِّ شَمالِ

فقد جعل قومه (تميماً) من يطعم الآخرين، وجاء باسم الفاعل (مطعِم) دليلاً على استمرار هذا الفعل، فالاسم يدل على الثبات.

وقوله(2):

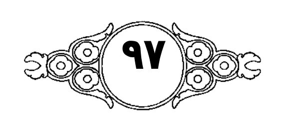
إنّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أتاني ما جَنَى ... وأبي وكانَ وكُنْتُ غَيْرَ غَدورِ
يَقْري المِئِينَ رَميمُ أعْظُمِ غالِبٍ ... فيَفِي بها ويَفُكُّ كُلَّ أسيرِ
والمُسْتَجارُ بِهِ فما كَحِبالِهِ ... لِلْمُسْتَغيثِ بِهِ حِبالُ مُجيرِ

فقد وظّف اسم المفعول (مستجار) توظيفاً شعرياً يدل على معرفة صاحب الحاجة لأبيه الذي ذاع صيته بالكرم حتى أصبح مستجاراً لأصحاب الحاجات فهو (مجير)، وجاء باسم الفاعل دليلاً على استمرار هذا الفعل منه، في إجارة من يلوذ به.

وقوله(3):

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٣٨). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٢) السابق (ص٢٧٧)، والأبيات لم ترد في النقيضة في ديوان الشاعر.
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص١٧١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٢٨).



وصَعْصَعَةَ المُجيرِ عَلَى المَنايا   بذِمَّتِهِ وَفَكّاكِ العُناتِ

فقد جاء باسم الفاعل (مجير) لذات الدلالة في البيت السابق.

رابعًا: مكرمة (الشجاعة):

الشجاعة إقدام في المواقف، وثبات عند الشدائد، وإدراك للعواقب، وقد حفل المعجم الشعري عند جرير والفرزدق بعدد من الألفاظ المناسبة لهذه المكرمة، والتي تتعدد دلالاتها المعجمية بما يتوافق مع ما تتطلبه هذه الصفة من: (الشدة، والجرأة، والرأي السديد، والثبات في المعارك، وآلات القتال، وساحات الحرب، وحماية الثغور).

وبالنظر للمعجم الشعري لهذه المكرمة عند جرير نجد استخدامه للألفاظ التالية: (الروع، أضرب، أطعن، الأسنة، الحرب، أيام، سبي، الوغى، القنا، الصوارم، أسرع، فوارس، خيول، قتلى، مشرد، مكتبل، عتق، رق، الكماة، جبّار، الموت، الأعنة، تدمى، العرام، الهندوانيات، مشبوب، دمّاغة، الجماجم، البأس، الملاحم، عدو، حماة، ثغر، الذائدين، كرّارون).

وذلك من مثل قوله[1]:

ألَسْنا نَحْنُ قَدْ عَلِمَت مَعَدٌّ   غَداةَ الرَّوْعِ أجْدَرَ أنْ نَغارا
وأضْرَبَ بالسُّيوفِ إذا تَلاقَتْ   هَوادِي الخَيْلِ صادِيَةً حِرارا
وأطْعَنَ حينَ تَخْتَلِفُ العَوالِي   بمَأْزولٍ إذا ما النَّقْعُ ثارا

نلحظ توظيف الشاعر لاسم التفضيل (أضرب)، وكذلك (أطعن) فهم يفضلون غيرهم في معرفة فنون الحرب، فلا تخيفهم المواقف بقدر ما تزيدهم ثباتاً.

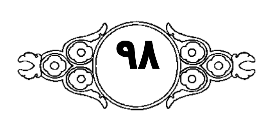
وقوله[2]:

وما وَجَدَ المُلُوكَ أعزَّ مِنّا   وأسْرَعَ مِنْ فَوارِسِنا اسْتِلابا
إذا حَرْبٌ تَلَقَّحُ عَنْ حِيالٍ   ودَرَّتْ بَعْدَ مِرْيَتِها اعْتِصابا
ونَحْنُ الحاكِمونَ عَلَى قُلاخٍ   كَفَيْنا ذا الجَرِيرَةِ والمُصابا
حَمَيْنا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ حِمانا   وأحْرَزْنا الصَّنائِعَ والنِّهابا
لَنَا تَحْتَ المحامِلِ سابغاتٌ   كَنَسْجِ الرِّيحِ تَطَّرِدُ الحَبابا
وذي تاجٍ لَهُ خَرَزاتُ مُلْكٍ   سَلَبْناهُ السُّرادِقَ والحِجابا

ونلحظ هنا استمرار الشاعر في توظيف اسم التفضيل دلالة على تفوقهم على غيرهم، فإذا كان الملوك يبحثون عن تحقيق النصر والعزة فإنهم يبحثون عمن يستطيع

---

(١) السابق (ج١/ص٢٢٠). وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٣).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٦٣ ـ ٣٦٤). وانظر: ديوان جرير (ص٧٩).



تحقيق ذلك، فلم يجدوا إلا الشاعر وقومه، وجاء باسمي التفضيل (أعز) و(أسرع) ليدلل على ما ذهب إليه من تفوقهم على غيرهم في معرفة فنون الحرب وحماية الثغور.

وقوله[1]:

وقَــدْ عَلِـمَ الأقْــوامُ أنَّ سُـيوفَنا عَجَمْنَ حَديدَ البَيْضِ حَتَّى تَصَدَّعا
ألا رُبَّ جَبّـارٍ عَلَيْـهِ مَهابَـةٌ سَقَيْناهُ كَأْسَ المَوْتِ حَتَّى تَضَلَّعا

فقد جعل السيوف على صيغة منتهى الجموع دليلاً على كثرة عتادهم الذي قتلوا به زعماء خصومهم من القادة الكبار حتى أوردوهم الموت.

وقوله[2]:

أجِئْـتُمْ تَبَغَّـوْنَ العُـرامَ فَعِنْـدَنا عُـرامٌ لِـمَنْ يَبغِي العَرامَـةَ واسِعُ
تَشَـمَّسُ يَرْبـوعٌ وَرائِـيَ بالقَنَـا وعادتُنـا الإقْـدامُ يَـوْمَ نُقـارِعُ
لَنـا جَبَـلٌ صَـعْبٌ عَلَيْـهِ مَهابَـةٌ مَنيعُ الـذُّرَى فـي الخِنـدِفِيّينَ فـارِعُ
وفـي الحَـيِّ يَرْبـوعٍ إذا مـا تَشَمَّسوا وفـي الهُنْـدُوانِيّاتِ لِلضَّـيْمِ مـانِعُ

فلا يبدأون بالشر لكنهم إذا استثيروا فإنهم يردون ذلك الشر على أهله بما عرفوا به من الإقدام، وإشهار السيوف الصارمة الهندية الصنع لترد الضيم وترفع الظلم.

وقوله[3]:

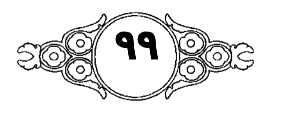
ألا تَسْأَلونَ النَّاسَ مَنْ يُنْهِلُ القَنا ومَـنْ يَمْنَـعُ الثَّغْرَ المَخوفَ تَلاتِلُـهْ
لَنـا كُـلُّ مَشْـبوبٍ يُـرَوَّى بِكَفِّـهِ جَناحـا سِـنانٍ دَيْلَمِـيٍّ وعامِلُـهْ

نلحظ في ألفاظ جرير في هذه المكرمة ميله إلى الخشونة في بعض الألفاظ على غير ما عرف عنه من الرقة والسلاسة، وربما كان ذلك لما يقتضيه الحال عند الحديث عن الشجاعة التي تستلزم الشدة، وذكر الحرب والقتال وحماية الثغور ورباطة الجأش فمثلاً (تلاتله) واحدها تلتلة بمعنى الزعزعة (ومشبوب) أي الذكي الملتهب الذي إذا دعوته أجابك وهي تدل على ما يتمتع به الشاعر وقومه من صفات قيادية عرفت عنهم.

وقوله[1]:

---

(١) السابق (ج٢/ص٢١٩). وانظر: ديوانه (ص٢٨٦).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١٠٩). وانظر: ديوان جرير (ص ٣٠٩).
(٣) السابق (ص٧٠)، وانظر: ديوانه (ص٣٩٤).



نُقيمُ عَلى ثُغورِ بَني تَميمٍ ... ونَصْدَعُ بَيْضَةَ المَلِكِ الهُمامِ
وكُنْتُمْ تَأمَنونَ إذا أقَمْنا ... وإنْ نَظْعَنْ فما لَكَ مِنْ مُقامِ
وكُنَّا الذّائِدينَ إذا جَلَوْتُمْ ... عَنِ السَّبْيِ المُصَبَّحِ والسَّوامِ

استخدم الشاعر التعبير بالفعل المضارع (نقيم) و(نصدع) دليلاً على استمرار هذا الفعل، فحماية الثغور والدفاع عن القبيلة لزام عليهم، ثم عبر باسم الفاعل (الذائدين) دليلاً على ملازمة هذا الفعل لهم، وهو الدفاع عن السبي وكل ما تملكه القبيلة من الأنعام والإبل.

وقوله[٢]:

فوارسُ كَرّارونَ في حَوْمَةِ الوَغا ... إذا خَرَجَتْ ذاتُ العَريشِ المُخَدَّرِ

فقد جاء بصيغة منتهى الجموع (فوارس)؛ ليدلل على أن السواد الأعظم من أبناء القبيلة أصحاب فروسية ومعرفة بفنونها، ثم أعقبه بصيغة المبالغة (كرّارون) زيادة في الكر في ساحات القتال وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالعرض ونساء القبيلة.

وفي ذات المكرمة نجد المعجم الشعري عند الفرزدق يدور حول عدد من الألفاظ ذات الدلالات الشعرية حول السيادة والانتصار ورفع اللواء والزحف على الأعداء مثل: (أسياف، الجماجم، أعناق، يوم، ضربنا، هامة، قتل، رماح، ردينية، منع، شريد، طليق، مكتوف، الخيل، أعداء، زحف، ألوية، أصيد، الضاربون، النازلون، نزال، شغاب، أسود، مجير، الحرب، كرّار، الجبار).

وذلك من مثل قوله[٣]:

كأنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ تَميماً إذا دَعَتْ ... تَميمٌ ولَمْ تَسْمَعْ بيَوْمِ ابْنِ خازِمِ
وقَبْلَكَ عَجَّلْنا ابْنَ عَجْلى حِمامَهُ ... بأسْيافِنا يَصْدَعْنَ هامَ الجَماجِمِ

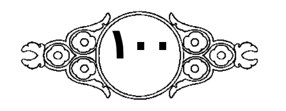
نلحظ هنا تكراراً لـ(تميم) القبيلة التي كان ولاؤه لها كبيراً يدافع عنها ويعد صوتها الأول فخراً ودفاعاً أمام الولاة والشعراء، ونلحظ كذلك جمع أسياف وجعلها سيوفاً تضرب هامة الأعداء وجماجمهم دليلاً على حدتها ومضيها.

وقوله[٤]:

ومَسْروحَةَ مِثْلَ الجَرادِ يَسوقُها ... مُمَرٌّ قُواهُ والسَّراءُ المُعَطَّفُ

=

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٥٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٠٨).
(٢) السابق (ص٣٠٨)، وانظر: ديوانه (ص٢٣٧).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٣١٣). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٦).
(٤) السابق (ج٢/ص١٧ ـ ١٨). وانظر: ديوانه (ص٤٣٦).



فأَصْبَحَ فـي حَيْثُ التَقَيْنـا شَـريدُهُمْ	طَليـقٌ ومَكْتـوفُ اليَـدَيْنِ ومُزْعَـفُ
وكُنّا إِذا ما اسْتَكْرَهَ الضَّيْفُ بـالقِرَى	أَتَتْـهُ العَـوالِي وَهْـيَ بالسَّـمِّ تَرْعَـفُ
ولا نَسْـتَجِمُّ الخَيْـلَ حَتَّـى نُعيـدَها	غَـوانِمَ مَـنْ أَعْـدائِنا وَهْـيَ زُحَّـفُ
كَـذلِكَ كانَـتْ خَيْلُنـا مَـرةً تُـرَى	سِـماناً وأَحْياناً تُقـادُ فَتجعَـفُ
عَلَـيْهِنَّ مِنّـا النّاقِضُـونَ ذُحولَـهُمْ	فَهُـنَّ بأَعْبـاءِ المَنِيَّـةِ كُتَّـفُ
مَـداليقُ حَتَّـى تَـأْتِيَ الصّـارِخَ الَّـذي	دَعا وَهْوَ بـالثَّغْرِ الّذي هَوَ أَخْوَفُ

نلحظ توظيف الشاعر للمشتقات (مسروحة)، و(شريد)، و(طليق)، و(مكتوف)، و(مزعف)، و(زحّف)، و(الناقضون)، و(الصارخ)، و(أخوف)، ولكل مشتق منها دلالته، فخيلهم تنتشر في أرض القتال كالجراد الذي لا يقف عند حد، والعدو بين شريد وأسير مكتوف اليدين، وطليق نال عفوهم، ومجروح ينزع من كثرة جراحه.

وبهذا جمع الشاعر بين شجاعتهم وقتلهم لأعدائهم وتسامحهم مع الأسرى الذين يطلقون سراحهم، وهم قومٌ أهل غارات وحروب يهبون للقتال في أي زمن حتى إنّ خيلهم لا تعرف الراحة معهم ولا تقف شجاعتهم عند الدفاع عن القبيلة بل تتجاوزها لنصرة من يستصرخ بهم ولو كان على ثغر مخيف فإنهم ينزلونه لا يهابون، ووظّف هنا اسم التفضيل (أخوف) والتفضيل هنا فيما سفل فغيرهم يخاف ويستصرخ بهم، وهو يدلل بهذا على أنهم قوم لا يعرفون الخوف، فهم يفضلون غيرهم حتى في الدفاع عن الثغور المخيفة لكثرة الأعداء المغيرين عليها.

ويظهر هنا ما أخذه النقاد على الفرزدق من المعاظلة بين الكلام، فقد رفع (طليق) في البيت الثاني وتعرب خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، والجملة الاسمية (هو طليق) حالية، والجار والمجرور في محل نصب خبر (أصبح) مقدم واسمها (شريد) مؤخر، وسُوّغ الابتداء بالجار والمجرور برغم تعريف المبتدأ بالإضافة لتقدم الفعل الناسخ (أصبح)[1].

وقوله[2]:

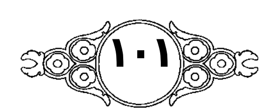
أَلَسْـنا بِأَصْـحابِ يَـوْمِ النِّسـارِ	وأَصْـحابِ أَلْوِيَـةِ المِرْبَـدِ
أَلَسْـنا الَّـذين تَمـيمٌ بِهِـمْ	تَسـامَى وتَفْخَـرُ فـي المَشْـهَدِ
وقَـدْ مَـدَّ حَـوْلي مِـنَ المـالِكَيْنِ	أَواذِيُّ ذي حَـدَبٍ مُزْبِـدِ
إِلـى هـا دِراتٍ صِـعابِ الـرُّؤوسِ	قَسـاوِرَ لِلْقَسْـوَرِ الأَصْـيَدِ

نلحظ هنا غرابة لفظ (أواذيُّ) والمراد به الموج، ودلالته الشعرية التي قصدها

---

(١) انظر في ذلك: مخالفة الرتبة في شعر الفرزدق، رسالة دكتوراه ليحيى العقيبي، مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى.

(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١٨٦ ـ ١٨٧). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩١).



الشاعر أنه في قمة المجد مثله في ذلك مثل الموج الذي يرتفع وينحطُّ طرفاه، فالطرف غير الشاعر من أبناء القبائل الأخرى، وهو القمة بقبيلته ذات الشرف والسيادة.

ونلحظ توظيفه للفظ (القسور) وهو من أسماء الأسد، جعله للرجل المعظّم المبجّل صاحب الشرف العظيم، ولجوئه إلى الاستفهام في بداية الأبيات إنما هو لتقرير ما ذهب إليه من الشرف والسيادة.

وقوله[1]:

مِنَ اللاّئي يَظَلُّ الألْفُ مِنْهُ   مُنيخاً مِنْ مَخافَتِهِ نَهارا
تَظَلُّ المُخْدِراتُ لَهُ سُجوداً   حَمَى الطُّرُقَ المَقانِبَ والتِّجارا
كَأَنَّ بِساعِدَيْهُ سَوادَ وَرْسٍ   إذا هَوَ فَوْقَ أيْدِي القَوْمِ سارا

نلحظ غرابة اللفظ في (مقانب) أي الفرسان الذين يحمون طرق القوافل، وهو يشير بذلك إلى شجاعة قومه فالفروسية، والشجاعة مكرمتان متلازمتان، وغالباً ما يكون الفارس شجاعاً.

وقوله[2]:

لا قَوْمَ أكْرَمُ مِنْ تَميمٍ إذْ عَدَتْ   عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ
الضّاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحْجَمَتْ   والنّازلونَ غَداةَ كُلِّ نِزالِ

فقد وظف اسم الفاعل (الضارب) و(النازل) في إشارة إلى أن ضرب الأعداء ونزالهم في ساحات القتال فعل معروف عنهم.

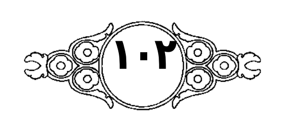
وقوله[3]:

يَرُدّونَ الحُلومَ إلَى جِبالٍ   وإنْ شاغَبْتَهُمْ وُجِدوا شِغابا
أُولاك وعَيْرِ أمِّكَ لَوْ تَراهُمْ   بعَيْنِكَ ما اسْتَطَعْتَ لَهُمْ خِطابا
رَأيْتَ مَهابَةً وأُسودَ غابٍ   وتاجَ المُلْكِ يَلْتَهِبُ الْتِهابا
بَنُو شَمْسِ النَّهارِ وكُلّ بَدْرٍ   إذا انْجابَتْ دُجُنَّتُهُ انْجِيابا

نلحظ بناء الفعل (وُجِدَ) للمجهول؛ ذلك أن قومه لا يعتدون لأنهم أصحاب عقول رزينة ثابتة ثبات الجبال، وإذا اعْتدي عليهم فإن ردهم يكون قاسياً لا يقف عند حد، ونلحظ كذلك رواية البيت الأخير على (بني شمس النهار وكلَّ بدر) فيكون النصب على الاختصاص بالمدح، والرفع على الاستئناف وهذا مما تمثل به

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٢). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).
(٢) السابق (ص٢٣٨). وانظر: ديوانه (ص٥٥٦).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٣٨٤ - ٣٨٥). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١١٩).



علماء اللغة، عن الشاعر فقد قيل: (لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب)[1].

وقوله[2]:

كِلانـــا لَـــهُ قَـــوْمٌ هُـــمُ يُحلِبونَـــهُ   بأحْسـابِهِمْ حَتَّـى يُـرَى مَـنْ يُخَلَّـفُ

إلَـــى أمَـــدٍ حَتَّـــى يُزايِـــلَ بَيْـــنَهُمْ   ويُوجِعَ مِنَّا النَّخْسُ مَنْ هَوَ مُقْرِفُ

عَطَفْتُ عَلَيْكَ الحَرْبَ إنِّي إذا وَنَـى   أخُـو الحَـرْبِ كَـرّارٌ عَلَـى القِـرْنِ مِعْطَـــــــــــــــــــــــفُ

جاء بصيغة المبالغة (كرّار) فهو لا يقف في ميدان القتال على غارة واحدة، بل كرة بعد أخرى حتى يخرج منتصراً.

وقوله[3]:

وضَـبَّةُ أخْـوالي هُـمُ الهامَـةُ الَّتـي   بِهَـــا مُضَـــرٌ دَمَّاغَـــةٌ لِلْجَمَـــاجِمِ

وهَلْ مِثْلُنـا يـا ابْنَ المَراغَـةِ إذْ دَعـا   إلَـى البَـأْسِ داعٍ أوْ عِظَـامِ المَلاحِـمِ

جاء بصيغة المبالغة (دمَّاغة) (وعظام) إشارة إلى أن أخواله من بني ضبّة معروفون بالشجاعة وقتل الأعداء، فهم يخوضون الملاحم القتالية العظيمة، وتركيز الشاعر هنا على صيغ المبالغة يدل على حالة الفخر التي تملكته وإعجابه بقبيلته وحسبه فيها، فهو من بيت عريق النسب في الجاهلية والإسلام، (مآثره ومفاخره لا تدفع، وكان لذلك أثر عميق في نفسيته؛ إذ كان يعتدُّ بآبائه اعتداداً شديداً، كما كان يعتد بعشيرته وقبيلته)[4].

ونلحظ كذلك تنكيره لـ (داعٍ) فهم يهبّون لنصرة كل من يستنجد بهم حتى ولو خاضوا من أجل ذلك المعارك.

وقوله[5]:

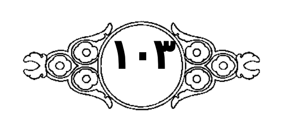
وكُنّـــا إذا الجَبَّـــارُ صَـــعَّرَ خَـــدَّهُ   ضَـرَبْنَاهُ حَتَّـى تَسْـتَقيمَ الأخَـادِعُ

فقد جعل الضرب هنا للعنق وليست عنق أي شخص وإنما هو الجبّار في دلالة على أن شجاعتهم تفوق كل شجاعة.

خامساً: مكرمة (العدل):

---

(١) العصر الإسلامي (ص٢٧٥).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٣). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٩).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص١٥٣ ـ ١٥٤). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٧٣).
(٤) الشعر والشعراء (ص٣٤٥)، وانظر: العصر الإسلامي (ص٢٦٧).
(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٨). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٩).



سبب الاستقرار، والأمن، وترابط المجتمع، ولهذا جاءت ألفاظ الشاعرين (الفرزدق وجرير) حول هذه المكرمة منفّرة من الظلم، ممتدحة أصحاب العدل فنجد المعجم الشعري عند الفرزدق يشمل ألفاظ: (مظلوم، ظالم، العدل)، فالمظلوم منصور حتى يأخذ حقه، والظالم لا مكان له، حتى سادوا الناس بالعدل، وذلك من مثل قوله(1):

تَـرَى كُـلَّ مَظْلُـومٍ إِلَيْنَـا فِـرارُهُ ... ويَهْـرُبُ مِنّـا جَهْـدَهُ كُـلُّ ظالِـمِ

فقد جاء بالمشتق (مظلوم) اسم مفعول، و(ظالم) اسم فاعل دلالة على أن المظلوم طالب النصرة، والظالم الواقع منه الظلم الذي لا يجد له مكاناً بينهم، فلا مكان إلا للعدل.

وقوله(2):

فـإنّي ولا ظُلْمـاً أخَـافُ لِخالِـدٍ ... مِـنَ الخَـوْفِ أُسْـقى مِـنْ سِـمامِ الأسـاوِدِ

فقد جاء بالمشتق (ظلم) منفياً، لأنه لا يخشى ظلماً للمدوح أياً كان هذا، فهو لا يعرف سوى العدل.

وقوله(3):

رَأَيْتُـكَ قَـدْ مَـلأْتَ الأَرْضَ عَـدْلاً ... وضَـوْءاً وَهْـيَ مُسْـبَلَةُ الظَّـلامِ
رَأَيْـتُ الظُّلْـمَ لَـمّا قُمْـتَ جُـذَّتْ ... عُـراهُ بِشَـفْرَتَيْ ذَكَـرٍ حُسـامِ

فقد قرن بين العدل والنور، وبين الظلم والظلام، ولعدل الممدوح ساد العدل وانتشر النور.

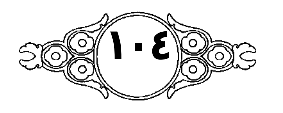
وعند جرير نجد البراءة ورفض الضيم تمثل المعجم الشعري لهذه المكرمة، وذلك مثل قوله(4):

أَلَمْ يَنْهَ عَنّي النّاسَ أَنْ لَسْتُ ظالِماً ... بَريئـاً وأنّـي لِلْمُتَـاحينَ مِتْـيَحُ

فالشاعر لا يعرف الظلم وهو بريء منه؛ لأن نفسه تأباه ما جعل الناس يقدرون له ذلك ويجتنبون التعريض به.

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٢) السابق (ج٢/ص٣٢٥). وانظر: ديوانه (ص١٥٣).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٣٤٩). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٥٣).
(٤) السابق (ص٤١٦). وانظر: ديوان جرير (ص١١٢).



وقوله[1]:

إذا مـا أرادَ النّـاسُ مِنْـهُ ظُلامَـةً ... أبَى الضَّيْمَ واستَعْصَى عَلَى كُلِّ قائِدِ

فالممدوح يرفض الضيم حتى ولو طلب ذلك منه ما يشير إلى عدله وإنصافه.

سادساً: مكرمة (الوفاء بالعهد):

مكرمة من مكارم النفوس الشريفة، الوافية في تعاملاتها مع الآخرين، وحول هذه المكرمة جاء المعجم الشعري عند (جرير والفرزدق) بألفاظ تدل على الوفاء وإباء الغدر.

فعند جرير نجد مثلاً: (الوفاء، أوفى)، وذلك من مثل قوله[2]:

فإنّـا أُنـاسٌ نُحِـبُ الوَفـاءَ ... حِـذارَ الأحاديـثِ فـي المَـشْهَدِ

فقد ركز على حب الوفاء وجعله مطلقاً، فالوفاء عندهم مكرمة بها يتمون العهد، والقول، وكل التعاملات الإنسانية، ونلحظ اسم الفعل (حذار) فهم ليسوا ممن يقولون ولا يفعلون، بل يلتزمون بالوفاء بما قالوا.

وقوله[3]:

وأحْمَـدُ حـينَ يُحْمَـدُ بالمَقـاري ... وحـالَ المُرْبِعـاتُ مِـنَ السَّـحابِ
وأوْفَـى لِلْمُجـاوِرِ إنْ أجَرْنـا ... وأعْطَـى لِلنَّفيسـاتِ الرِّغـابِ

نلحظ هنا تكرار الشاعر لاسم التفضيل (أحمد، أوفى، أعطى)، وهو مناسب لهذا المقام من المفاخرة فهم يفوقون ويفضلون غيرهم في تلك المكارم، وجاء هنا بالوفاء للجار؛ ليؤكد المعنى السابق بأن وفاءهم مطلق جبلوا عليه.

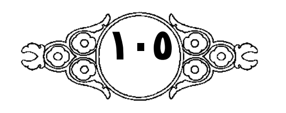
وعند الفرزدق نجد رفض الغدر ووراثته للوفاء عن أبيه الذي سارت أحاديث الناس بمكارمه من مثل قوله[4]:

إنّـي ضَـمِنْتُ لِـمَنْ أتـاني مـا جَنَـى ... وأبـي وكـانَ وكُنْـتُ غَيْـرَ غَـدورِ

فوفاؤه مستمد من وفاء أبيه إلا أن الوفاء هنا لصاحب الوفاء وليس لمن يقترف ذنباً ويلوذ به، فعلى عكس إطلاق الوفاء عند جرير نجد الوفاء هنا مقيّداً لمن يستحقه، وقرن ذلك بالفعل الماضي (كان وكنت) دليلاً على الاستمرار في الوفاء مع الآخرين، ما لم يقترفوا ذنباً يخل بعهدهم معهم.

---

(١) نفسه (ج٢/ص٣٢٩). وانظر: ديوانه (ص١٦٤).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١٩٤). وانظر: ديوان جرير (ص١٣٠).
(٣) السابق (ص٣٦٣). وانظر: ديوانه (ص٤٥).
(٤) نفسه (ص٢٧٧). ولم يرد البيت في ديوان الشاعر.



سابعاً: مكرمة (المروءة):

المروءة: حرص على المكارم، وبعد عن المساوئ والرذائل، وحول هذا جاءت ألفاظ الشاعرين (جرير والفرزدق) دالة على التحلي بالمكارم لمروءتهم ومروءة رهطيهما ومناصريهما.

فعند جرير نجد مثلاً: (مشبوب، رد النساء السبايا، الذائدين عن السبي)، وذلك من مثل قوله[1]:

رَدَدْنــا بِخَبْــراءِ العُنــابِ نِســاءَكُمْ　　وقـدْ قُلْنَ عِتْـقُ اليَـوْمِ أوْرِقُنـا غَـدا

فمروءتهم دفعتهم لرد السبايا وفك أسرهن.

وقوله[2]:

وكُنّــا الذّائِــدينَ إذا جَلَــوْتُمْ　　عَـنِ السَّـبْيِ المُصَـبَّحِ والسَّـوامِ

فقد جاء باسم الفاعل (ذائد) لاستمرار هذا الفعل ومعرفته عنهم، فعدل عن الفعل (نذود) إلى الاسم (ذائد).

وعند الفرزدق نجد: (الأناة، رد النساء السبايا، يمنعون بناتهم)، وذلك مثل قوله[3]:

ورَدَّ عَلَــيْكُمْ مُرْدَفــاتِ نِســائِكُمْ　　بنـا يَـوْمَ ذي بَـيْضٍ صَـلادِمُ قُـرَّحُ

فمروءتهم دفعتهم لرد السبايا من النساء وإشهار السيوف في وجه عدوهم حتى يطلق سراحهن.

وقوله[4]:

تَرَكـوا لِتَغْلِـبَ إذْ رَأوْا أرْمـاحَهُمْ　　بِــإِرابَ كُــلَّ لَئيمَــةٍ مِــدْرانِ
تُـدْمِي وتَغْلِـبُ يَمْنَعـونَ بَنـاتِهِمْ　　أقْــدامَهُنَّ حِجــارَةُ الصِّــوّانِ

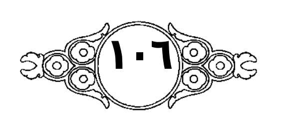
فمروءة الممدوحين (قبيلة تغلب) منعتهم من سبي النساء اللاتي كن يسرن على الحجارة الرخوة.

ثامناً: المكارم الأخرى:

١ - الصبر:

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٣٩٨). وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٤).
(٢) السابق (ج٢/ص٣٥٤). وانظر: ديوانه (ص٤٠٨).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٤٢١). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٤٦).
(٤) السابق (ج٢/ص٢٥٨). وانظر: ديوانه (ص٦٩٢).



دليل النفوس القوية، وسبيل النصر، وفي النقائض وردت هذه المكرمة عند جرير وجعلها سجية ملازمة لهم، ونلحظ توظيفه للفظ سجية ما يدل على أنها من خصال القوم التي عرفوا بها، وذلك في قوله(1):

صَبَرْنا لَـهُمْ والصَّبْرُ مِنَّـا سَجِيَّةٌ بِأَسْـيافِنا تَحْـتَ الظِّـلالِ الخَوافِـق

وأي صبر هذا؟! إنه صبر تحت ظلال السيوف، ما يدل على قوة تحملهم وقوة شكيمتهم المتحلية بالصبر.

٢ ـ صلة الرحم:

الصلة ضد الهجر، والرحم كل ما يربط الشخص بذويه من نسب ومصاهرة، وحول ذلك جاء المعجم الشعري عند جرير الذي رثى الفرزدق بعد موته بهذه المكرمة في قوله(2):

فمَنْ لِذَوي الأرْحام بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ لِجـارٍ وعـانٍ فـي السَّلاسِلِ مُوثَـق

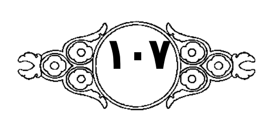
فالاستفهام هنا يدل على التفجع وكبر المصاب، فالمرثي ممن يصل الرحم ويرعى الجار ويكرم الأسير.

وبعد هذا العرض للمعجم الشعري لمكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق أستطيع القول: إن مقام المفاخرة والمنافرة وطبيعة النقائض أوجدت ألفاظاً مشتركة عند كل من الشاعرين إلا أن التوظيف الدلالي لتلك المفردات اختلف من شاعر إلى آخر.

فالفرزدق صاحب نفس خشنة صلبة، ومعانٍ عميقة تحتاج لغة جزلة، وهذا سبب إعجاب أصحاب النحو بشعره(3)، كما كان لنشأته واعتداده بآبائه وقبيلته أثر عميق في نفسيته(4)، بينما لم يكن لجرير وآبائه تلك المناقب، والمآثر الحميدة التي ظهرت في فخر الفرزدق، (فانطوت نفسه على حزن عميق صفّى جوهرها، وزاد في هذا الصفاء تأثره بالإسلام إذ كان ديِّناً عفيفاً طاهر النفس)(5)، ما جعل استعماله لذات الألفاظ التي وردت عند الفرزدق أحياناً أو لألفاظه الخاصة به يأتي في سلاسة ولغة قريبة مفهومة عند الناس، الأمر الذي جعل الخصومات تنتهي

----

(١) نفسه (ص١٧٨). وانظر: ديوان جرير (ص٣٢٦).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٧٥). وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).
(٣) انظر: الطبقات (ج٢/ص٣٦٤).
(٤)،(٤) العصر الإسلامي (ص٢٦٧، ٢٨٦).

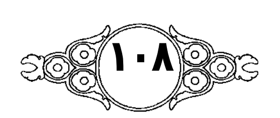


بانتصاره على الفرزدق[1]؛ ذلك أنه (كان أكثرهم فنون شعر، وأسهلهم ألفاظاً، وأقلهم تكلفاً، وأرقهم نسيباً)[2]، وهذا المعنى الدلالي المختلف من شاعر لآخر برغم توظيف نفس الألفاظ أحياناً مرده كما جاء عند عبد القاهر إلى (أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ. ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر)[3].

ﭑﭑﭑ

----

(١) انظر: الأغاني (ج٣/ص٢٧٤).
(٢) نفسه (ص٢٢٤).
(٣) دلائل الإعجاز، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة (ط٣) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م (ص٤٦).



ثانياً: الأسلوب والتراكيب

لعل ما خلصنا إليه من أن اللغة الشعرية والألفاظ تواردت في بعض مفرداتها عند جرير والفرزدق لطبيعة فن النقائض الشعرية مع اختلاف دلالاتها عند كل منهما لاختلاف نفسيتيهما والعوامل المؤثرة في كل منهما ما جعل الأسلوب الشعري عند كل من الشاعرين يظهر بسمات تميزه عن غيره، فقد برز الفرزدق في الفخر وتفوق فيه على جميع شعراء عصره (إذ كان يعتد بآبائه وقبيلته اعتداداً لا حد له، ومن ثم بلغ في الافتخار بهما الغاية القصوى)[(١)].

وفي المقابل برز جرير في المديح فـ(لم يكد يلم بهذا الفن من فنون الشعر حتى برز فيه على أقرانه)[(٢)].

كما تفوق على الفرزدق في فني الهجاء والغزل بل فاق أقرانه في (الموضوعات التي تتطلب دقة في الإحساس ورقة في الشعور)[(٣)].

ومرد ذلك كله إلى الأسلوب الذي سلكه كل منهما في شعره ذلك أن لكل منهما أسلوبه الخاص الذي ميزه عن غيره لالتقاط ألفاظه ومعانيه وإذا كانت (المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي، والمدني)[(٤)].

كما يرى الجاحظ فإن العبرة بالصياغة الشعرية التي تتخذ الأسلوب المناسب لإيصال ما يريده الشاعر من معانٍ، (وإنما الشأن في إقامة الوزن، و تخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير)[(5)]؛ ذلك أن الصياغة الشعرية تقوم على اختيار اللفظ المناسب لدلالته على المعنى المراد (ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه)[(٦)].

----

(١) العصر الإسلامي (ص٢٧٤).
(٢)،(٣) نفسه (ص٢٨٦).
(٤) كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود (ط٢) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م (ج٣/ص٦٧).
(٥) كتاب الحيوان (ص٦٧).
(٦) دلائل الإعجاز (ص٢٥٤).

نخلص من هذا إلى أن الأسلوب الذي وظّفه كل من جرير والفرزدق في نقائضهما برغم اشتراك بعض الألفاظ بينهما إلا أن طريقة عرضها وتناولها في النقيضة والتراكيب التي وردت من خلالها اختلفت من شاعر إلى آخر فقد تنوع الأسلوب حسب توظيف تلك الألفاظ في النص الشعري فظهر في النقائض ثلاثة أساليب تعود لكيفية توظيف كل من الشاعرين لألفاظه الشعرية ودلالاتها المعجمية وخروجها إلى دلالات شعرية وتراكيبها التي وردت بها، فهناك: (ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض)(١).

وبالنظر إلى الأسلوب والتراكيب الشعرية في نماذج مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق نجد بروز انفعالات النفس والعواطف ويستخدم الشاعر في سبيل إبراز ذلك عدة أساليب مثل: التعجب، والنداء، والأسف، والتحسر، ومساءلة النفس، والاستفهام، والتمني... إلخ.

وذلك من مثل قول جرير(٢):

هَلاَّ عَدَدْتَ فَوارِساً كَفَوارِسي   يَوْمَ ابْنُ كَبْشَةَ في الحَديدِ مُقَنَّعُ

فقد لجأ إلى الاستفهام الذي خرج إلى النفي فجرير ينفي أن يكون فرسان مجاشع كفرسان بني يربوع، ثم جاء بلفظ فوارس مضافة إلى ياء المتكلم (فوارسي)، وقد أضافها إليه اعتزازاً بهؤلاء الفرسان، ودلل على اعتزازه بهم بما فعلوه يوم ذي نجب، وأسرهم لعدوهم وتكبيله في الحديد، فيما جاء بلفظ فوارس الأولى نكرة دليلاً على عجز خصمه عن أن يشبهوا فرسان قومه كائناً من كانوا، وجاء بالكناية في عجز البيت (يوم ابن كبشة في الحديد مُقنّع) ـ كناية ـ عن شجاعتهم وأسرهم لعدوهم.

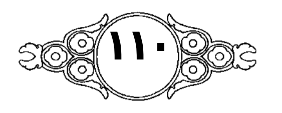
وقول الفرزدق(٣):

كَمْ مِنْ أبٍ لي يا جَريرُ كَأَنَّهُ   قَمَرُ المَجَرَّةِ أوْ سِراجُ نَهَارِ

أراد الشاعر أن يبين كرم آبائه ووراثتهم هذا الفعل، فجاء بكم الخبرية دليلاً على الكثرة، فهو من بيت شرف وسيادة، وشبه آباءه بقمر المجرة ووضوح النهار لذيوع كرمهم وسير أخبارهم في الملأ.

---

(١) نفسه (ص٢٦٢).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩٢).
(٣) السابق (ج١/ص٢٨٠)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٨).



وقوله[1]:

لا قَـوْمَ أكْـرَمُ مِـنْ تَمـيمٍ إذْ عَـدَتْ عُـوذُ النِّسـاءِ يُسَـقْنَ كالآجـالِ

أراد الشاعر أن يبين كرم قومه وحمايتهم للعرض فجاء بلا النافية للجنس ليصل إلى مراده من أنه لا أكرم من تميم ثم جاء بالاستعارة في الشطر الثاني (عوذ النساء) أي: النساء اللاتي معهن أولادهن، والأصل فيه (عوذ الإبل) التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء على سبيل الاستعارة، وقد عمد الشاعر إلى هذا الأسلوب ليدلل على كرم تميم في حمايتها للعرض والجار.

وقول جرير[2]:

بَنـي مالِـكٍ مَـنْ كـانَ لِلْحَـيِّ مَعْقِـلاً إذا نَظَـرَ المَكْـروبُ أيْـنَ مَعاقِلُـهْ

يدلل جرير على كرم قومه بإكرام المستجير بهم، فجاء بالاستفهام التقريري: (من كان للحي معقلاً)؟ ليخرج إلى أن قومه يكرمون المستجير وعدل عن المستجير إلى (المكروب) وفي ذلك كناية عن شدة كرمهم فإذا كانوا معقلاً للمكروب الذي يفر إليهم طلباً لكرمهم فهم لما سواه أولى أن يستقبلوه ويكونوا مقصده.

وقول الفرزدق[3]:

كَمْ كـانَ مِـنْ مَلِـكٍ وَطِـئْنَ وسـوقَةٍ أطْلَقْنَـهُ وبسـاعِدَيْهِ إسـارُ
كـانَ الفِـداءُ لَـهُ صُـدورَ رِماحِنـا والخَيْـلَ إذْ رَهَـجُ الغُبـارِ مُثـارُ

فالفرزدق يفخر بإكرام الأسرى وإطلاق سراحهم، فجاء بالكناية في البيت الثاني عن خوض المعارك بتسديد الرماح وارتفاع الغبار من تحت حوافر الخيل، وقد لجأ إلى الكناية ليؤكد حقيقة كرم نفوسهم في إطلاق من يأسرونهم ومفاداتهم لفك من أسر منهم في المعارك.

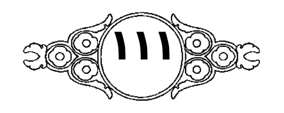
وقول جرير[4]:

نُـدافِعُ عَـنْكُمْ كُـلَّ يَـوْمِ عَظيمَـةٍ وأنْـتَ قُراحِـيٌّ بِسِـيفِ الكَـواظِمِ
أجُبْنـاً وفَخْـراً يـا بَنـي زَبَـدِ اسْـتِها ونَحْنُ نَشُبُّ الـحَرْبَ شيبَ المَقادِمِ

أراد جرير أن يعبر عن تمرسهم في خوض المعارك فجاء بالكناية (نشب

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٣٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).
(٢) السابق (ص٦٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٩٤).
(٣) نفسه (ج٢/ص٢٥١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٧١).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٣٤)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٤)، والبيت الثاني لم يرد في الديوان.



الحرب شيب المقادم) فقد شابت رؤوسهم في ميادين القتال مما يدل على شجاعتهم.

وقوله[1]:

ولا نَحْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الجِوارِ ... بِغَيْرِ السُّيوفِ ولا نَرْتَدِي

عبر الشاعر عن استعداده وقومه للحرب على سبيل الكناية، فهم لا يضعون عدة حربهم حتى في أوقات السلم، ليدلل على شجاعتهم ولبسهم عدة الحرب لخوض المعارك المتعددة.

وقوله[2]:

ألا رُبَّ جَبّارٍ عَلَيْهِ مَهابَةٌ ... سَقَيْناهُ كَأسَ المَوْتِ حَتَّى تَضَلَّعا

عبر جرير عن النتيجة التي يجدها عدوهم مهما كانت منزلته فجاء بالاستعارة المكنية، فحذف المشبه به وهو الماء أو ما يشرب، وجاء بالمشبه وهو الموت، والقرينة لفظية وهي الكأس وكذلك (تضلعا) فالتضلع بالشراب، وهو يشير بهذا الأسلوب البياني إلى شجاعتهم وقتلهم الجبابرة والعظماء.

وقوله[3]:

وقَيْسٌ هُمُ قَيْسُ الأعِنَّةِ والقنا ... وَقَيسٌ حُماةُ الخَيْلِ تَدمَى نُحورُها

سُلَيمٌ وذُبْيانٌ وعَبْسٌ وعامِرٌ ... حُصونٌ إلَى عِزٍّ طِوالٍ عُمورُها

ألَمْ تَرَ قَيْساً لا يُرامُ لَها حِمىً ... وَيَقْضِي بِسُلْطانٍ عَلَيْكَ أميرُها

فقوله: (تدمى نحورها) كناية عن صفة شجاعة قيس، فالدماء في نحور خيولهم وليس في أعقابها دليلاً على إقدامهم على عدوهم، وكذلك قوله: (ويقضي بسلطان عليك أميرها) فيه كناية عن ذله وذل قومه، فهم مقودون لا قادة، ويأمر عليهم سلطان القبائل الأخرى.

وقوله[4]:

فمَنْ يَسْتَجِرْنا لا يَخَفْ بَعْدَ عَقْدِنَا ... ومَنْ لا يُصالِحْنا يَبِتْ غَيْرَ نائِمِ

قوله: (يبت غير نائم) استعارة شبه من خلالها حال عدوهم بساهر الليل لمرض أو خوف، فحذف المشبه به وجاء بالقرينة وهي مجافاة النوم، وقد أراد من

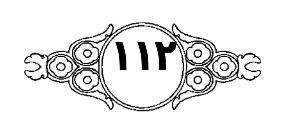
---

(١) السابق (ج٢/ص١٩٤)، وانظر: ديوانه (ص١٣٠).

(٢) نفسه (ص٢١٩)، وانظر: ديوانه (ص٢٨٦).

(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٤٤١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٣٣).

(٤) السابق (ج٢/ص١٦١)، وانظر: ديوانه (ص٤٤٩).



هذا التصوير أن يبين شجاعتهم حتى إنّ عدوهم يحسب حسابهم ويحذرهم، وهذا الحذر جعله لا ينام الليل.

وقوله[(١)]:

أَلَسْنا نَحْنُ قَدْ عَلِمَت مَعَدٌّ ... غَداةَ الرَّوْعِ أَجْدَرَ أَنْ نَغارا

وأضْرَبَ بالسُّيوفِ إذا تَلاقَتْ ... هَوادِي الخَيْلِ صادِيَةً حِرارا

وأطْعَنَ حينَ تَخْتَلِفُ العَوالِي ... بمَأزولٍ إذا ما النّقْعُ ثارا

وأحْمَدَ في القِرَى وأعَزَّ نَصْراً ... وأمْنَعَ جانِباً وأعَزَّ جارا

عمد الشاعر إلى التفضيلات في عدد من مكارم الأخلاق التي نسبها إلى قبيلته وفضّلهم بها على غيرهم، فجاء بالاستفهام في البيت الأول، ليقرر أنهم فرسان شجعان.

وقوله[(٢)]:

أَلَمْ تَعْلَمي أنَّ النَّدَى مِنْ خَليقتي ... وكُلُّ أريبٍ تاجِرٍ يَتَرَبَّحُ

فلا تَصْرميني أنْ تَرَي رَبَّ هَجْمَةٍ ... يُريحُ بذَمٍّ ما أراحَ ويَسْرَحُ

يَراها قَليلاً لا تَسُدُّ فُقُورَهُ ... عَلَى كُلِّ بَثٍّ حاضِرٍ يَتَتَرَّحُ

فهو يخاطب امرأته ويلح على بذل الكرم، بأسلوب فيه الكثير من الجدل للوصول إلى الإقناع.

وقوله[(٣)]:

ومَنْ لِيَتيمٍ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ غالِبٍ ... وأمِّ عِيالٍ ساغِبين ودَرْدَق

وكَمْ مِنْ دَمٍ غالٍ تَحَمّلَ ثِقْلَهُ ... وكانَ حَمولاً في وَفاءٍ وَمصْدَق

يبين الشاعر مكارم الفرزدق (وقد رثاه بعد وفاته) فجاء بهذا الأسلوب الذي أراد من خلاله أن يبين ما كان يربطهما من علاقة بالرغم من اختلافهما الظاهري من خلال مهاجاتهما في المربد، وكان يقول: (أما والله إني لأعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحداً، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلّا تبعه صاحبه)[(٤)].

----

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٢٠ - ٢٢١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٤٣).
(٢) السابق (ص٤١٥)، وانظر: ديوانه (ص١١١).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٧٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٧).
(٤) الأغاني (ج٣/ص٢٨٠).

وقول الفرزدق[1]:

أَلَسْنا بأَصْحابِ يَومِ النِّسارِ ... وأصْحابِ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ
أَلَسْنا الَّذين تَميمٌ بهِمْ ... تَسامَى وتَفْخَرُ في المَشْهَدِ

الشاعر يفتخر بانتصار قومه يوم (النِّسار) وحملهم ألوية الريادة، فجاء بهذا الاستفهام التقريري ليبين حقيقة أمجاد قومه.

وقوله[2]:

وضَبَّةُ أخْوالِي هُمُ الهامَةُ الَّتي ... بهَا مُضَرٌ دَمَّاغَةٌ لِلْجَماجِمِ
وهَلْ مِثْلُنا يا ابْنَ المَراغةِ إذْ دَعا ... إلَى البَأْسِ داعٍ أوْ عِظامِ المَلاحِمِ

فالشاعر يفخر بأخواله بني ضبّة وجاء بالاستفهام في البيت الثاني ليقرر ما ذهب إليه من المكارم التي نسبها إليهم.

وقول جرير[3]:

أَلَمْ يَنْهَ عَنّي النّاسَ أنْ لَسْتُ ظالِماً ... بَريئاً وأنّي لِلْمُتاحينَ مِتْيَحُ

يصف الشاعر عدله وإنصافه فلجأ إلى المباشرة اللفظية لبيان اجتنابه الظلم وتقدير الناس له لهذا الصنيع، ونلحظ الاعتراض - بريئاً - وهو إجمال لكل معاني العدل، والبعد عن الظلم بكل صوره.

كما نلحظ في أسلوب الشاعرين ظهور النعرة العربية والإباء العربي المشهور عند أهل البادية، ويميل هذا الأسلوب إلى الألفاظ القديمة، والتراكيب السهلة، حتى يفهمها السامع والقارئ، ويستخدم الشاعر في هذا الأسلوب الصيغ المؤكدة للذات، والمعاني الموحية بالكبرياء، والغطرسة، والإعجاب بالنفس.

وذلك من مثل قول الفرزدق[4]:

أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

فقد لجأ الشاعر إلى التشبيه في شطري البيت؛ إذ نجد الصورة الأولى في الشطر الأول من خلال تشبيه المعنوي بالحسي، فقد شبه رزانة العقول (معنوية) بالجبال الراسيات (محسوسة)، وهو تشبيه مؤكد حذفت منه أداة التشبيه[5]، وفي

----

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١٨٦ - ١٨٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩١).
(٢) السابق (ص١٥٣ - ١٥٤)، وانظر: ديوانه (ص٦٧٣).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٤١٦)، وانظر: ديوان جرير (ص١١٢).
(٤) السابق (ص١٦٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠).
(٥) أساليب البيان، د. فضل حسن عباس (ط١)، دار النفائس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م =

الشطر الثاني لجأ إلى تشبيه القوم عند استفزازهم (حسي) بالجن (معنوي)، وهو أيضاً تشبيه حذفت أداته فهو تشبيه مؤكد، ونلحظ هنا الاعتداد بالذات (أحلامنا، تخالنا) فقد جاء بالضمير الدال على الاعتداد بالذات والإعجاب بالنفس.

ومثله قول جرير[(١)]:

أحْلامُنا تَزن الجِبالَ رزَانَةً ... ويَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

ونلحظ لجوء الشاعرين إلى الخبر بهدف الفخر وتقرير هذا المعنى في نفس المتلقي.

وقوله[(٢)]:

لِيَرْبوعِ فَوارسُ كُلِّ يَوْمٍ ... يُواري شَمْسَهُ رَهَجُ الغُبارِ

جاء الشاعر بالكناية ـ في الشطر الثاني (يواري شمسه رهج الغبار) ـ ذكر الموصوف (يوم) وحذف صفته وكنّى عنها بتواري الشمس من أثر الغبار الذي تثيره الخيول أثناء القتال في إشارة إلى شدة القتال واستمراره وقتاً طويلاً من ذلك اليوم، ونلحظ هنا الاعتراض (كل يوم) وهو اعتراض تفصيلي يدل على شهودهم الوقائع وخوض المعارك بصفة مستمرة.

كما نلحظ تقديم المفعول به (شمس) على الفاعل (رهج الغبار) وهدف من هذا التقديم التخصيص[(٣)].

وقول الفرزدق[(٤)]:

حَتَّى تَداركَها فَوارسُ مالِكٍ ... رَكْضاً بكُلِّ طُوالَةٍ وطُوالِ

فقد جاء ببيان الهيئة (ركضاً) ليدلل على سرعة اقتفائهم للعدو واقتحامهم المصاعب وعدم تخاذلهم إشارة إلى فروسيتهم، وجاء بالخبر (حتى تداركها) للتنشيط وتقرير ذلك في نفس المتلقي.

وقول الفرزدق[(٥)]:

صَبَحْناهُمُ الجُرْدَ الجِيادَ كَأنَّها ... قطاً أفْزَعَتْهُ يَوْمَ طَلٍّ أجادِلُهْ

نجد الصورة البيانية في قوله: (الجياد كأنها قطاً) فقد شبه جيادهم في خفتها

=

(ص٢٤٤).

(١) ديوان النقائض (ج١/ص١٩٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٨).

(٢) السابق (ص٢١٥)، وانظر: ديوانه (ص١٧٦).

(٣) انظر: أساليب البيان (ص١١٢).

(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٢٤٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٦).

(٥) السابق (ج٢/ص٤٥)، وانظر: ديوانه (ص٥٦٣).

وسرعتها بالقطا الذي ينطلق محلقاً هروباً من الصقر في صبيحة يوم تبلل قطرات الندى فيه أوراق الأشجار، والتشبيه هنا تمثيلي منتزع من أكثر من صورة، فالجياد في سرعة عدوها تدل على شدة الكرب الذي تخوضه، والقطا في صبيحة اليوم النديّ تكون مغردةً في أسراب إلا أن ذلك التغريد لا يستمر فتحلق هروباً من الصقر، وجاء بالاعتراض ـ يوم طلّ ـ ليبين تغريد طائر القطا الذي يتوقف فجأة برؤية الصقر، وكذا الخيل التي تنطلق في كر وفر من شدة الوقيعة التي تخوضها في صبيحة ذلك اليوم الذي أغاروا فيه على عدوهم، والشاعر في كل هذا يصف فروسية قومه التي تفوق فروسية غيرهم.

وقول جرير(١):

صَبَحْناهُمُ جُرْداً كَأَنَّ غُبارَها ... شَآبيبُ صَيْفٍ يَزْدَهيهِنَّ حاصِبُ

نلحظ تكرار صدر البيت (صبحناهم الجرد)، (صبحناهم جرداً) فكلا الشاعرين جعل الإغارة صباحاً ما يدل على مواصلتهم السير للوصول إلى عدوهم، وجاء الفرزدق بالمعرفة (الجرد) فيما جعل جرير اللفظة (جرداً) نكرة في إشارة إلى اجتماع صفات الخيل الأصيلة في خيلهم المغيرة على العدو، وجاء بالتشبيه (كأن غبارها شآبيب صيف) فقد شبه ارتفاع الغبار من تحت حوافر الخيل بغبار يومٍ قائظٍ من أيام الصيف عندما تهب الرياح محملة بالحصباء وتثير التراب من شدة هبوبها، والتشبيه تمثيلي أراد به أن يصوّر شدة المعركة وشدة تحمل الخيل وفرسانها وشدة الكرب الذي تواجهه لشدة العدو، إلا أن تلك الشدة لا تصل إلى قوة الخيل المغيرة ما يدل على تفوقهم على غيرهم، شجاعة وفروسية، وقد أشار إلى هذا الموقف الصعب باليوم القائظ من أيام الصيف.

وقول الفرزدق(٢):

لَوْلا فَوارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكانِ

فالشاعر أراد أن يبين جبن خصمه فأتى بالكناية (نزل العدو عليك كل مكان) فهو لا يستطيع البقاء دون حماية له، لجبنه وذله وهوانه، وأشار إلى عز وشجاعة من يحتمي به من تغلب.

وقوله(٣):

إذا عَجَزَ الأَحْياءُ أَنْ يَحْمِلوا دَماً ... أَناخَ إِلى أَجْداثِنَا كُلُّ غارِمِ

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٠١)، وانظر: ديوان جرير (ص٥٩).

(٢) السابق (ص٢٦١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٣).

(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).

قوله: (أناخ إلى أجداثنا) كناية عن كرمهم وحملهم المغارم وطلب صاحب الغرم لكرمهم من بلدان بعيدة، يدل على ذلك قوله: (أناخ) أي انتهت به رحلته إلينا.

وقول جرير[1]:

وأمْنَعُ جيراناً وأحْمَدُ في القِرَى   إذا اغْبَرَّ في المَحْلِ النُّجومُ الطَّوالِعُ

أراد جرير أن يبين كرم قومه لضيوفهم ومجاوريهم فجاء بالكناية (إذا اغبر في المحل النجوم الطوالع) فكرمهم لا تحده حدود لأنه يستمر حتى وقت حاجتهم.

وقول الفرزدق[2]:

أنا ابْنُ الَّذي رَدَّ المَنِيَّةَ فَضْلُهُ   وما حَسَبٌ دافَعْتُ عَنْهُ بِمُعْوِرِ

مجاز مرسل فالمنية إذا قُدِّرت لا ترد لكنه أراد كرم أبيه على سبيل المجاز وعلاقته السببية فكأن والده سبب عتق البنات من الوأد.

وقوله[3]:

قَوْمٌ يُرَدُّ بِهِمْ إذا ما اسْتَلأموا   غَضَبُ المُلوكِ وتُمْنَعُ الأدْبارُ

عبر الفرزدق عن شجاعة قومه وثباتهم في المعارك ومواجهة الأعداء وعدم الفرار من أرض المعركة على سبيل الكناية (تمنع الأدبار) وما ذاك إلا لشجاعتهم وثباتهم في ملاقاة عدوهم.

وقول جرير[4]:

لَقَدْ عَلِمَ الفَرَزْدَقُ أنَّ قَوْمي   يُعِدُّونَ المَكارِمَ لِلسِّبابِ
يَحُشّونَ الحُروبَ بِمُقْرَباتٍ   وداوُودِيَّةٍ كأضا الحَبابِ

الشاعر يعبر عن خلق قومه فكنّى عن ذلك بترفعهم عن السباب وأن غيرهم لا يجرؤ على سبابهم؛ لكرم أخلاقهم، وفي البيت الثاني جاء التشبيه ليبين شجاعة قومه في الحروب فشبه سيوفهم التي نسب صناعتها إلى داوود عليه السلام بالطرائق على الماء، ونلحظ التقديم في قوله: (كأضا الحباب)، وأراد حباب الأضاء فقدم وآخر.

---

(١) السابق (ج٢/ص١١٢)، وانظر: ديوان جرير (ص٣١١).
(٢) نفسه (ص٣٠٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٧٥).
(٣) نفسه (ج٢/ص٢٥٠)، وانظر: ديوانه (ص٣٧٠).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤).



وقوله[1]:

فإنَّـــا وَجَـــدْنا إذْ وَفَـــدْنا إلَـــيْكُمُ   صُدورَ القنـا والخَيْلَ مِنْ خَيْرِ وافِدِ

فيه كناية عن ملاقاة أعدائهم بعدة القتال، مما يدل على شجاعتهم واستعدادهم لخوض المعارك، فالرماح والخيول من عدة الحرب (الآلة والدابة)، وفيه إشارة إلى زحفهم إلى عدوهم لملاقاته، وهذا كناية عن شجاعتهم.

وقول الفرزدق[٢]:

تَـرَى كُـلَّ مَظْلـومٍ إلَيْنـا فِـرارُهُ   ويَهْـرُبُ مِنّـا جَهْـدَهُ كُـلُّ ظالِـمِ

في البيت كنايتان عن العدل والإنصاف، فقوله: (ترى كل مظلوم إلينا فراره) كناية عن عدلهم الذائع ما جعل المظلومين يقصدونهم لإعادة حقوقهم ممن ظلمهم.

وقوله: (ويهرب منا جهده كل ظالم) أيضاً كناية أخرى عن العدل والإنصاف، فالظالم لا مكان له بينهم، فهم قوم ا تخذوا العدل سجية لهم.

وقول جرير[٣]:

صَـبَرْنا لَهُـمْ والصَّـبْرُ مِنَّـا سَـجِيَّةٌ   بِأَسْـيافِنا تَحْـتَ الظِّـلالِ الخَوافِـقِ

قوله: (تحت الظلال الخوافق) كناية عن ميدان المعركة، فالسيوف لا ترفع فوق الرؤوس إلا حال القتال.

وقول الفرزدق[٤]:

وناجِيَـــةُ الَّـــذي كانَـــتْ تَمـــيمٌ   تَعـــيشُ بِحَزْمِـــهِ أَنَّـــى أشـــارا
بِـــهِ رَكْـــزَ الرِّمـــاحَ بَنـــو تَمـــيمٍ   عَشِـــيَّةَ حَلَّـــتِ الظُّعُـــنُ النِّســـارا

فالشاعر يفخر برجاحة عقل جده ناجية الذي استشاره القوم يوم النِّسار ونزلوا على رأيه، فعبر بهذه الخطابية في ألفاظ مباشرة مفتخراً بهذه المكرمة.

وقوله[٥]:

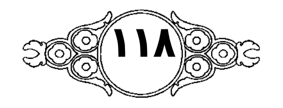
وفَضَّـــلَ آلَ ضَـــبَّةَ كُـــلَّ يَـــوْمٍ   وَقَـــائِعُ بِـــالمُجَرَّدَةِ العَـــوارِي

----

(١) السابق (ص٣٦٩)، وانظر: ديوانه (ص١٤٥).

(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٣) السابق (ص١٧٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٢٦).
(٤) نفسه (ص٢٢٤)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٥).

(٥) ديوان النقائض (ج١/ص ٢٠٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).



وتَقْـــديمٌ إذا اعْتَـــرَكَ المَنايـــا   بجُـرْدِ الخَيْـلِ فِـي اللُّجَـج الغِمـار

يفخر الشاعر هنا بفروسية قومه وخوض المعارك ونصرتهم لآل ضبّة (يوم النِّسار)، فجاء بهذه الخطابية والمباشرة اللفظية ليؤكد بالجملة الخبرية فروسية القوم، ونلحظ الاعتراض (كل يوم) وذلك للتفصيل، ففروسيتهم وخوضهم المعارك مستمرة لا تنقطع، وقوله: (إذا اعترك المنايا) ـ اعتراض تفصيلي ـ فهم يقدمون في أرض المعركة دون تردد ولو أقبلوا على منيتهم، كما نلحظ المزاوجة بين الجمل (وفضل آل ضبة وقائع)، (وتقديم إذا اعترك المنايا)، والأسلوب هنا خبري هدفه توكيد فروسية القوم.

وقول جرير[1]:

وما زالَ في قَيْسٍ فَوارسُ مَصْدَقٍ   حُمـــاةٌ وحَمّـــالونَ ثِقْـلَ المَغـــارِمِ

عمد الشاعر إلى المباشرة في مدح قيس وفرسانها وحمايتهم للثغور وتحمل المغارم.

وقول الفرزدق[2]:

وإنَّ مُجاشِـــعاً قَـــدْ حَمَّلَتْنـــي   أُمـــوراً لَـــنْ أُضَـــيِّعَها كِبـــارا

قِـرَى الأَضْـيافِ لَيْلَـةَ كُـلِّ ريـحٍ   وقِـدْماً كُنْـتُ لِلأَضْـيافِ جـارا

يبين الشاعر توارث المكارم في قومه، وعد هذه المكارم كبيرة وعظيمة لن يرضى أصحابها التنازل عنها، ونلحظ هنا النعرة العربية، والولاء للقبيلة.

وقوله[3]:

بَناهـا الأَقْـرعُ البـانِي المَعـالِي   وهَـوْذَةُ فـي شـوامِخَ باذِخـاتِ

لَقِـيطٌ مِـنْ دَعائِمِهـا ومِـنْهُم   زُرارَةُ ذو النَّـدَى والمَكْرُمـاتِ

فهو يذكر سادات قومه وكرمهم الذي سار ذكره.

وقوله[4]:

كَأَنَّـكَ لَـمْ تَسْـمَعْ تَميمـاً إذا دَعَـتْ   تَمـيمٌ ولَـمْ تَسْـمَعْ بِيَوْمِ ابْنِ خـازِمِ

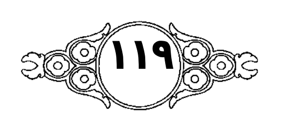
وقَبْلَـكَ عَجَّلْنـا ابْـنَ عَجْلَـى حِمامَـهُ   بِأَسْـيافِنا يَصْـدَعْنَ هـامَ الجَمـاجِمِ

وقوله في ذات النقيضة:

ضَـرَبْنا بسَيْفٍ فـي يَمِينِـكَ لَـمْ نَـدَعْ   بـهِ دونَ بـابِ الصِّينِ عَيْنـاً لِظـالِمِ

---

(١) السابق (ص٣٣٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).
(٢) نفسه (ص٢٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥٤).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص١٧١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٢٩).
(٤) السابق (ج١/ص٣١٣) وما بعدها، وانظر: ديوانه (ص٦٦٦) وما بعدها.



بــهِ ضَــرَبَ اللهُ الّــذينَ تَحَزَّبــوا ... ببَــدْرٍ علــى أعنــاقِهِمْ والمعَاصِـمِ

إلى أن يقول:

ونَحْنُ ضَرَبْنا مِنْ شُتَيْرِ بنِ خالِدٍ ... عَلَى حَيْثُ تَسْتَسْقيهِ أمُّ الجَماجِمِ
ويَوْمَ ابْنِ ذي سيدانَ إذْ فَوَّزَتْ بهِ ... إلَى المَوْتِ أعْجازُ الرِّماحِ الغَواشِمِ
ونَحْنُ ضَرَبْنا هامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ ... يَزيدَ عَلَى أمِّ الفِراخِ الجَواثِمِ
ونَحْنُ قَتَلْنَا ابْنَيْ هُتَيْمٍ وأدْرَكَتْ ... بَحيراً بِنا رَكْضُ الذُّكورِ الصَّلادِمِ
ونَحْنُ قسَمْنا مِنْ قُدامَةَ رَأسَهُ ... بِصَدْعٍ عَلَى يا فوخِهِ مُتَفاقِمِ
وعَمْراً أخا عَوْفٍ تَرَكْنَا بِمُلْتَقىً ... مِنَ الخَيْلِ في سامٍ مِنَ النَّقْعِ قاتِمِ
ونَحْنُ تَرَكْنا مِنْ هِلالِ بنِ عامِرٍ ... ثَمانينَ كَهْلاً لِلنُّسورِ القَشاعِمِ

يفخر الشاعر بانتصارات قومه في الأيام التي خاضوها، وقتلهم الأعداء، فعمد إلى هذا الأسلوب لتعداد انتصارات القوم، وصدَّر أبياته بالضمير المنفصل (نحن) مردداً له في دلالة على الاعتزاز بأفعال القوم وانتصاراتهم.

وقول جرير(١):

ونَحْنُ الحاكِمونَ عَلَى قُلاخٍ ... كَفَيْنا ذا الجَريرَةِ والمُصابا
حَمَيْنا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ حِمانا ... وأحْرَزْنا الصَّنائِعَ والنِّهابا

يفخر جرير بانتصار قومه يوم ذي نجب ويظهر اعتزازه بانتصارات قومه وشجاعتهم، وقد جعلهم سادة وحكاماً يصدرون الأوامر ولا يتلقونها.

وقوله(٢):

وَتَرْفَعُنا عَلَيْكَ إذا افْتَخَرْنا ... لِيَرْبوعٍ بَواذِخُ شامِخاتِ
هُمُ سَلَبوا الجَبابِرَ تاجَ مُلْكٍ ... بِطِخْفَةَ عِنْدَ مُعْتَرَكِ الكُماةِ

يفخر جرير بانتمائه لبني يربوع ويذكر انتصاراتهم يوم (طِخِفَة) ويظهر اعتزازه برهطه وقبيلته.

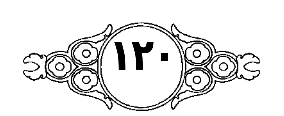
وقول الفرزدق(٣):

وكُنّا إذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقيمَ الأخادِعُ

يفخر الشاعر بإباء قومه للضيم، ورفضهم التكبر، مما يدل على اعتزازه بهذا الفعل من قومه، وجاء بالفعل الماضي (كنا) دليلاً على اشتهار هذا عنهم واستمرارهم في هذا العمل.

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٧٩).
(٢) السابق (ج٢/ص١٧٦)، وانظر: ديوانه (ص٩٢).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٩).



وقول جرير[1]:

نَحْــنُ الحُمَــاةُ بكُــلِّ ثغْــرٍ يُتَّقَــى وبِنَــا يُفَــرَّجُ كُــلُّ بَــابٍ مُغْلَــق

فالشاعر يفخر بشجاعة قومه وحماية الثغور وجاء بالضمير المنفصل (نحن) ليدلل على اعتزازه بقومه.

كما نلحظ في أسلوب الشاعرين لجوءهما إلى إظهار النصح والخبرة فنجدهما يرتديان ثوب الناصح، والخبير المجرب، والواعظ المرشد، وتكثر في هذا الأسلوب: الأوامر، والنواهي، وضرب الأمثال، وإبداء الآراء، وذلك كقول جرير[2]:

وكُنْــــتُمْ تَــــأْمَنونَ إذا أقمْنَــــا وإنْ نَظْعَــنْ فمــا لَــكَ مِــنْ مُقَــامِ

جاء بالكناية عن جبن خصمه في عجز البيت إشارة إلى أنه لا يستطيع الإقامة في بلد لا يوجد به من يحميه، وهو يشير بهذا إلى شجاعة الشاعر وقومه التي يأمن بها مجاورهم لحمايتهم الثغور، فكنى عن ذل الخصم بعدم قدرته على الإقامة عند رحيل الشاعر وقومه الذين كان يحتمي بهم.

وقول الفرزدق[3]:

لَــوْلا أنــاتُهُمُ وفَضْــلُ حُلــومِهِمْ بــاعوا أبــاكَ بــأَوْكَسِ الأثمــانِ

فيه كناية عن احترامهم للشيخ الكبير وحسن توقيره.

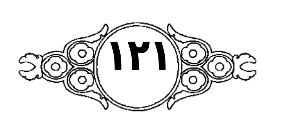
وقول جرير[4]:

لَــوْ حَــلَّ جــارُكُمُ إلَــيَّ مَنَعْتُــهُ بالخَيْــلِ تَــنْحِطُ والقنــا يَتَزَعْــزَعُ
لَـحَمَى فَوارِسُ يَحْسِرونَ دُروعَهُمْ خَلْـفَ المَرافِقِ حينَ تَـدْمَى الأذْرُعُ

فقد كنّى عن شجاعتهم وفروسيتهم وأنهم يقدمون في ساحات الوغى ولا يعودون القهقرى فجاء بالتعبير (يحسرون دروعهم خلف المرافق حين تدمى الأذرع)، فالفارس ولو قطعت ذراعه لا يعود القهقرى، بل يواصل قتاله وحماية نفسه ببسالة بدرعه الذي يستخدمه بمرفقه بعد أن قطعت ذراعه ليواصل بذلك قتاله الأعداء.

---

(١) السابق (ص٢٣٠)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٣٦).
(٢) نفسه (ج٢/ص٣٥٤)، وانظر: ديوانه (ص٤٠٨).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٥٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٩٣).
(٤) السابق (ص٣١٧ ـ ٣١٨)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٩٢).



وقوله[1]:

أعِفُّ عَنِ الجارِ القريبِ مَزارُهُ وأطْلُبُ أشْطانَ الهُمومِ الأباعِدِ

عبر عن إكرامه للجار بهذا الأسلوب الذي يظهر فيه النصح ليبين مكانته ووجوب تقديره.

وقوله[2]:

ولَوْ سارَ الزُّبَيْرُ فحلَّ فينا لَما يَئِسَ الزُّبَيْرُ مِنَ الإيابِ

عبر عن إكرام المستجير فجاء بهذا الأسلوب الذي يظهر فيه الشاعر موجهاً للقوم حول مكانة المستجير ووجوب حمايته ليؤكد مفاداتهم لحماية مجاوريهم.

وقوله[3]:

فإنّا أُناسٌ نُحِبُّ الوَفاءَ حِذارَ الأحاديثِ في المَشْهَدِ

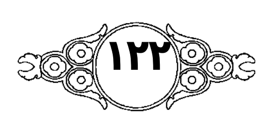
يصف وفاءه ووفاء قومه، والتزامهم بأداء ما قطعوه على أنفسهم ولجأ إلى هذا الأسلوب الذي يظهر فيه واعظاً، يبين من خلاله وجوب الوفاء بالعهد، وجاء باسم الفعل ـ حذار ـ الأحاديث ليؤكد حقيقة حكمتهم فهم لا يلتزمون إلا بما يستطيعون أداءه.

بعد هذا العرض لأسلوب الشاعرين في نماذج مكارم الأخلاق في نقائضهما يمكنني القول: إن المزاوجة بين الأساليب في نقائض الشاعرين بيّن ظاهر، وذلك يتناسب مع حال مناصريهما الذين كانوا يجتمعون ويتحلقون حول الشاعرين ما جعلهما يلجأون إلى هذا التنويع في الأسلوب لإصابة هدف كل شاعر واستمالة الناس إليه، وأعتقد أن ذلك يعود لطبيعة فن النقائض التي جعلت جوهرها العصبية القبلية، وإن كانت لا تخلو من التسلية واللهو، فقد (بدأت بأسباب قبلية، ولكنها تطورت إلى مناظرة كانت تقاطع بالتهليل والتصفيق، ومن ثم لم تأخذ شكلاً جاداً من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب)[4].

ﮂﮂﮂ

---

(١) نفسه (ص٣٢٩)، وانظر: ديوانه (ص١٦٤).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص٣٦٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥).
(٣) السابق (ص١٩٤)، وانظر: ديوانه (ص١٣٠).
(٤) انظر: العصر الإسلامي (ص٢٥٠).



ثالثاً: الموسيقى الشعرية

مدخل:

يتميز الشعر عن سائر الفنون الأخرى بما يحدثه من جرس موسيقي يطرب النفس ويشدها إلى سماعه، (وللشعر نواحٍ عدة للجمال أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر)[١]؛ لذا كان لتوازن الشعر، وتلاؤم تكوينه البنائي أثرٌ في النفوس فهو (في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان. وهو جميل في تخير ألفاظه، جميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه، وانسجامها بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الآذان موسيقى ونغماً منتظماً، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام)[٢].

وهذا الجمال يقوم على أمرين يندرج تحتهما عدد من التقسيمات وهما: (النغم المنتظم، وهو التفعيلات. وجرس الألفاظ)[٣].

وتظهر البنية الموسيقية في شعر المكارم في نقائض جرير والفرزدق في أمرين: الموسيقى الخارجية المتمثلة في البحر والقافية، والموسيقى الداخلية وتتمثل في تركيب الأصوات في البيت الشعري، وجرس الحروف وما يظهر من فنون البديع في ألفاظ الشاعرين كالجناس والسجع.

وفيما يلي وقفة على الموسيقى في شعر مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق.

أولاً: الموسيقى الخارجية:

يمثل الوزن مع القافية عنصرين من عناصر بناء النص الشعري؛ ذلك أن القدماء عندما حاولوا تعريف الشعر (عرفوه بأنه الكلام الموزون المقفى فهم يرون الانسجام الموسيقي في توالي مقاطع الكلام وخضوعها إلى ترتيب خاص، مضافاً إلى هذا تردد القوافي وتكرارها، أهم خاصية تميز الشعر من النثر)[٤].

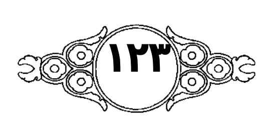
---

(١) موسيقى الشعر ـ تأليف الدكتور إبراهيم أنيس (ط٥) ١٩٨١م (ص٨ ـ ٩).

(٢) نفسه (ص٧).

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، للدكتور: عبد الله الطيب ـ دار الفكر (ط١) ١٩٥٥ ـ القاهرة، أعيد طبعه بالدار السودانية (ط٢) ١٩٧٠ ـ بيروت (ص٧٢).

(٤) موسيقى الشعر (ص٢١).



والكلام الموزون (كالعقد المنظوم تتخذ الخرزة من خرزاته في موضع ما شكلاً خاصاً وحجماً خاصاً ولوناً خاصاً، فإذا اختلفت في شيء من هذا أصبحت نابية غير منسجمة مع نظام هذا العقد)(١).

وفي نماذج المكارم في شعر جرير والفرزدق ظهرت أهمية الوزن في إلهاب حماس مناصري كل منهما، فالشاعر إلى جانب دفاعه عن قبيلته كان يهدف إلى الوصول إلى نفوس الناس واستمالتهم لنصرته، وهذا ما جعل المناصرين والمؤيدين لأي من الشاعرين يدخل ساحة النقائض أحياناً وخصوصاً الشعراء، وقد تبين أن شعر المكارم عندهما كان أكثر حضوراً؛ ذلك أنه بعد استقراء ديوان النقائض وديوان الشاعرين(٢)، ظهر لي أن كلاً منهما كان حريصاً على التغني بهذه المكارم لإثباتها لشخصه ولقبيلته ومناصريه، فالمقام مقام منافرة ومفاخرة اقتضت من الشاعرين سلوك هذا المنهج وعليه أحصيت (٥٢) نقيضةـ جاء فيها (٢٩٢) بيتاً حول مكارم الأخلاق، كان للفرزدق منها (٢٣) نقيضة جاء فيها (١٢٨) بيتاً حول مكارم الأخلاق، ولجرير (٢٩) نقيضة جاء فيها (١٦٤) بيتاً حول مكارم الأخلاق، جاءت على النحو التالي:

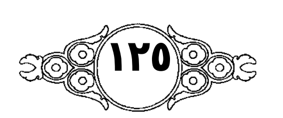
----

(١) السابق (ص١٣).

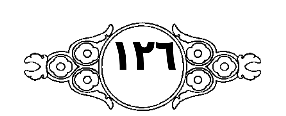
(٢) لا تعارض بين ديوان النقائض وديواني الشاعرين إلا ما ورد من نماذج معدودة لا تتجاوز أبياتاً في ديوان النقائض لم ترد في ديوان الشاعرين.

نقائض الفرزدق:

الرقم	مطلع النقيضة	البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النقيضة من حيث الابتداء والرد
١-	**إنّ الّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا بَيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ**	**الكامل**	**٣**	**ابتداء**
٢ -	**جَرَّ المُخْزِياتِ عَلَى كُلَيْبٍ جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذّمارا**	**الوافر**	**٥**	**رد**
٣ -	**لا قومَ أكْرَمُ مِنْ تَميمٍ إذ عَدَتْ عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ**	**الكامل**	**١٩**	**ابتداء**
٤ -	**تَحِنُّ بِزَوْراءِ المَدينَةِ ناقتي حَنينَ عَجولٍ تَبْتَغِي البَوَّ رائِمِ**	**الطويل**	**١٦**	**ابتداء**
٥ -	**أقولُ لِصاحِبَيَّ مِنَ التَّعَزِّي وقَدْ نَكَّبْنَ أكْثِبَةَ الغُبارِ**	**الوافر**	**٤**	**ابتداء**
٦ -	**يا ابْنَ المَراغَةِ إنّما جارَيْتَني بِمُسَبَّقِينَ لَدى الفعالِ قِصارِ**	**الكامل**	**٣**	**ابتداء**
٧ -	**سَمَوْنا لِنَجْرانَ اليَماني وأهْلِهِ ونَجْرانُ أرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقاوِلُهْ**	**الطويل**	**١**	**ابتداء**
٨ -	**مِنّا الّذي اخْتِيَر الرِّجالَ سَمَاحَةً وخَيْراً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ**	**الطويل**	**٤**	**رد**
٩ -	**يا ابْنَ المَراغَةِ والهِجاءُ إذا الْتَقَتْ أعْناقُهُ وتَماحَكَ الخَصْمانِ**	**الكامل**	**٤**	**ابتداء**
١٠ -	**حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والمُصَلّى وأعْناقِ الهَدْيِ مُقَلَّداتِ**	**الوافر**	**٤**	**ابتداء**
١١ -	**بَني نَهْشَلٍ أبْقُوا عَلَيْكُمْ ولَمْ تَرَوْا سَوابِقَ حامٍ لِلذِّمارِ مُشَهَّرِ**	**الطويل**	**٨**	**ابتداء**
١٢ -	**ألا مَنْ لِمُعْتادٍ مِنَ الحُزْنِ عائِدِ وهَمٍّ أتَى دونَ الشَّراسيفِ عامِدي**	**الطويل**	**٢**	**ابتداء**
١٣ -	**مَحَتِ الدِّيارَ فأذْهَبَتْ عَرَصاتِها مَحْوَ الصَّحيفَةِ بالبِلى والمُورِ**	**الكامل**	**٤**	**ابتداء**
١٤ -	**أعَرَفْتَ بَيْنَ رُوَيَّتَيْنِ وحَنْبَلِ دِمَناً تَلوحُ كأنَّها الأسْطارُ**	**الكامل**	**٥**	**رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**
١٥	**رَأى عَبْدُ قَيْسٍ خَفْقَةً شَوَّرَتْ بِها**	**الطويل**	**١**	**رد**



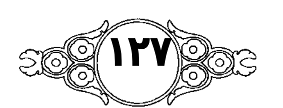
الرقم	مطلع النقيضة	البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النقيضة من حيث الابتداء والرد
-	**يَدا قـابِسٍ أَلْـوىَ بِهـا ثُـمَ أَخْمَـدا**			
١٦ -	**عَزَفْـتَ بِأَعْشَـاشٍ ومـا كِـدْتَ تَعْـــزِفُ وأَنْكَـرْتَ مِـنْ حَـدْراءَ مـا كُنْـتَ تَعْـــرِفُ**	**الطويل**	**٢٠**	**ابتداء**
١٧ -	**أَتَنْسَى بَنو سَعْدٍ جَدودَ الَّتي بِها خَذَلْتُمْ بَني سَعْدٍ عَلَى شَرِّ مَخْذَلِ**	**الطويل**	**٢**	**رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**
١٨ -	**عَرَفْـتَ المَنـازِلَ مِـنْ مَهْـدَدِ كَـوَحي الزَّبـورِ لَـدَىَ الغَرْقَـدِ**	**المتقارب**	**٥**	**ابتداء**
١٩ -	**أنـا ابْـنُ العاصِمينَ بَنـي تَمـيمٍ إذا مـا أَعْظَـمُ الحـدِثانِ نابـا**	**الوافر**	**١٠**	**رد**
٢٠ -	**عَرَفْتَ بِأَعْلَى رائسٍ الفَأْوِ بَعْدَما مَضَـتْ سَـنَةٌ أَيّامُهـا وشُـهورُها**	**الطويل**	**٢**	**ابتداء**
٢١ -	**وَدَّجَريـرُ اللُّـؤْمِ لَـوْ كـانَ عانِيـاً ولَـمْ يَـدْنُ مِـنْ زأْرِ الأُسـودِ الضَّراغِمِ**	**الطويل**	**٣**	**ابتداء**
٢٢ -	**أَلَسْـتُمْ عـائِجينَ بِنـا لَعَنّـا نَـرَىَ العَرَصَـاتِ أَوْ أَثَـرَ الخِيـامِ**	**الوافر**	**٢**	**ابتداء**
٢٣ -	**تَكـاثَرَ يَرْبـوعٌ عَلَيْـكَ ومالِـكٌ عَلَـى آلِ يَرْبوعٍ فمـا لَـكَ مُسْرَحُ**	**الطويل**	**١**	**رد**



من الجدول السابق نصل إلى التالي:

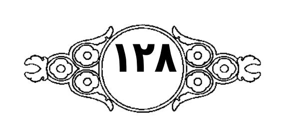
جدول رقم (١)

البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النسبة التقريبية
الطويل	٦٠ بيتاً	٤٦.٨٧%
الكامل	٣٨ بيتاً	٢٩.٦٨%
الوافر	٢٥ بيتاً	١٩.٥٣%
المتقارب	٥ أبيات	٣.٩٠%



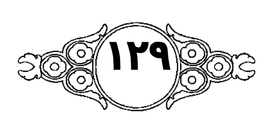
نقائض جرير:

الرقم	مطلع النقيضة	البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النقيضة من حيث الابتداء والرد
١ـ	لِـمَنِ الـدِّيارُ كأنَّهـا لَـمْ تُحْلَـلِ بَيْنَ الكِناسِ وبَيْنَ طَلْحِ الأعْزَلِ	الكامل	١	رد
٢ ـ	لا خَيْرَ فـي مُسْتَعْجِلاتِ المُلاوِمِ ولا فـي خَليلٍ وَصْلُهُ غَيْرُ دائِـمِ	الطويل	١	رد
٣ ـ	سَـمَتْ لـي نَظْـرَةٌ فَرَأَيْـتُ بَرْقـاً تِهَامِيّـاً فراجَعَنـي ادِّكـاري	الوافر	٣	رد
٤ ـ	لِـمَنْ الـدِّيارُ رسُـومُهُنَّ خَـوالِ أَقْفَـرْنَ بَعْـدَ تَـأَنُّسٍ وحِـلالِ	الكامل	٥	رد
٥ ـ	ألا حَـيِّ رَبْـعَ المَنْـزِلِ المُتَقـادِمِ ومـا حُلَّ مُـذْ حَلَّـتْ بـهِ أُمُّ سـالِمِ	الطويل	١٣	رد
٦ ـ	لَسْتُ بمُعْطِي الحُكْمِ عَنْ شِفِّ مَنْصِبِ ولا عَنْ بَنـاتِ الحَنْظَلِيّينَ راغِبُ	الطويل	٣	ابتداء
٧ ـ	بـانَ الخَليطُ بـرامَتَيْنِ فَـودَّ عـوا أوَ كُلَّمـا رَفَعـوا لبَـيْنٍ تَجْـزَعُ	الكامل	٨	رد على رد للفرزدق
٨ ـ	لَـعَلَّ فِراقَ الحَيِّ لِلْبَيْنِ عامِـدي عَشِـيَّةَ قـاراتِ الرُّحَيْـلِ الفَـوارِدِ	الطويل	٤	رد
٩ ـ	لِـمَنْ رَبْـعٌ دارٍ هَـمَّ أنْ يَتَغَيّـرا تَراوَحَهُ الأرْواحُ والقَطْرُ أعْصُرا	الطويل	٢	ابتداء
١٠ ـ	ألا حَـيِّ المَنـازِلَ بالجِنـابِ فَقَـدْ ذَكّـرْنَ عَهْـدَكَ بالشّـبابِ	الوافر	١٠	رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة
١١ ـ	أَجَـدَّ رَواحُ القَـوْمِ أمْ لا تَـرَوّحُ نَعَمْ كُلّ مَـنْ يَعْنَـى بِجَمْلٍ مَتّرحُ	الطويل	١١	ابتداء
١٢ ـ	ألا أيّهـا القَلْبُ الطَّروبُ المُكَلّفُ أَفِقْ رُبّمـا يَنـأَى هَواكَ ويُسْعِفُ	الطويل	٣	رد
١٣ ـ	ذَكَـرْتَ وِصـالَ البِـيضِ والشَّـيْبُ شـائِعُ ودارُ الصِّبا مِـنْ عَهْدِهِنّ بَلاقِـعُ	الطويل	٧	ابتداء
١٤	لَعَمْري لقد أَشْجَى تَميماً وهَدّها	الطويل	٤	ابتدأها بعد

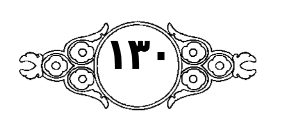


الرقم	مطلع النقيضة	البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النقيضة من حيث الابتداء والرد
-	**علـــى نَكَبَـــاتِ الـــدَّهْرِ مـــوتُ الفَـــــــــــــــرَزْدَق(*)**			**موت الفرزدق**
١٥ -	**أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الجَهْـلَ أَقْصَـرَ باطِلُـهْ وأَمْسَى عَمـاءً قَدْ تَجَلَّتْ مَخايِلُـهْ**	**الطويل**	**٥**	**رد**
١٦ -	**أَقَمْنـــا ورَبَّتْنـــا الـــدِّيارُ ولا أَرَى كَمَرْبَعِنـــا بَـــيْنَ الحَنِيَّـــيْنِ مَرْبَعـــا**	**الطويل**	**١٠**	**رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**
١٧ -	**عَرَفْـتُ الـدّارَ بَعْـدَ بِلَـى الخِيـامِ سُـقِيتِ نَجِـيَّ مُرْتَجِـزٍ رُكَـامِ**	**الوافر**	**٥**	**رد**
١٨ -	**أَلا حَـــيِّ الـــدِّيارَ بُسْـــعَدَ أَنّـــي أُحِـبُّ لِحُـبِّ فاطِمَـــةَ الـــدِّيارا**	**الوافر**	**٩**	**ابتداء**
١٩ -	**ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ رُسومِ دِيارِ بِلَـوى عُنَيِّـقَ أَوْ بِصُـلْبِ مَطـارِ**	**الكامل**	**٤**	**رد**
٢٠ -	**أَقِلِّـــي اللَّـــوْمَ عـــاذِلَ والعِتابـــا وقُـولي إِن أَصَـبْتُ لَقَـدْ أَصـابا**	**الوافر**	**٦**	**ابتداء**
٢١ -	**غَداً باجْتِماعِ الحَيِّ تُقْضَى لُبانَـةٌ وأُقْسِـمُ لا تُقْضَـى لُبانَتُنـا غَـدا**	**الطويل**	**١٠**	**ابتداء**
٢٢ -	**تُعَلِّلُنــــا أُمَامَــــةُ بِالعِــــداتِ ومـا تَشْـفِي القُلـوبَ الصّـادِياتِ**	**الوافر**	**٢**	**رد**
٢٣ -	**زارَ الفَـــرَزْدَقُ أَهْـــلَ الحِجـــازِ فَلَـمْ يَحْـظَ فِـيهِمْ ولَـــمْ يُحْمَـدِ**	**المتقارب**	**٦**	**رد**
٢٤ -	**لِـــمَنِ الـــدِّيارُ بِبُرْقَـــةِ الرَّوْحـــانِ إِذْ لا نَبِيـــعُ زَمانَنـــا بِزَمـــانِ**	**الكامل**	**١**	**رد**
٢٥ -	**أَنا ابْنُ أَبي سَعْدٍ وَعَمْرٍو ومالِكٍ وضَبَّةُ عَبْدٌ واحِدٌ وابْـنُ واحِـدِ**	**الطويل**	**١**	**رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**
٢٦ -	**أَزُرْتَ دِيـارَ الحَـيِّ أَمْ لا تَزورُهـا وأَنَّي مِنِ الحَيِّ الجِمادُ ودُورُها**	**الطويل**	**٤**	**رد**
٢٧ -	**طَرَقَتْ لَمِيسُ ولَيْتَهـا لَـمْ تَطْرُقِ حَتَّـى تَفُـكَّ حِبـالَ عـانٍ مُوثَـقِ**	**الكامل**	**١**	**رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**

(*) قالها في رثائه بعد وفاته.



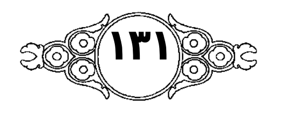
الرقم	مطلع النقيضة	البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النقيضة من حيث الابتداء والرد
٢٨ -	**لَقَــدْ سَــرَّني ألاّ تَعُــدَّ مُجاشِــعٌ** **مِنَ الفَخْرِ إلاَّ عَقْرَنـابٍ بِصَـوْءَرِ**	**الطويل**	**٣**	**رد**
٢٩ -	**ألا حَيِّ أهْلَ الجَوْفِ قَبْلَ العَوائِقِ** **ومِنْ قبْلِ رَوْعاتِ الحَبيبِ المُفَارِقِ**	**الطويل**	**١**	**ابتداء**



من الجدول السابق نصل إلى التالي:

جدول رقم (٢)

البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم	النسبة التقريبية
الطويل	٨٢ بيتاً	٥٠%
الكامل	٤١ بيتاً	٢٥%
الوافر	٣٥ بيتاً	٢١.٣٤%
المتقارب	٦ أبيات	٣.٦٥%



من خلال الجدول رقم (١) و(٢) ولقيام فن النقائض والتزام شاعرها لنفس الوزن والرويّ الذي بدأ به خصمه نصل إلى التالي:

البحر	عدد الأبيات التي وردت فيها المكارم عند الشاعرين	النسبة التقريبية
الطويل	١٤٢ بيتاً	٤٨.٦٣%
الكامل	٧٩ بيتاً	٢٧.٠٥%
الوافر	٦٠ بيتاً	٢٠.٥٤%
المتقارب	١١ بيتاً	٣.٧٦%

ابتدأ الفرزدق النقيضة الأولى من النقائض التي وردت بها مكارم الأخلاق خمس نقائض على بحر الكامل وسبعاً على بحر الطويل وثلاثاً على بحر الوافر وقصيدة واحدة على بحر المتقارب، ورد بتسع نقائض ابتدأها جرير كان منها سبع قصائد على بحر الطويل وقصيدتان على بحر الوافر، ولم يرد عند جرير على بحري الكامل والمتقارب إلا النقائض التي أجاب بها الفرزدق، ونلحظ تساوي الشاعرين في ابتداء سبع نقائض لكل منهما على بحر الطويل الذي يمتاز بطول النفس لكثرة مقاطعه وتكرار تفعيلتيه (فعولن، ومفاعيلن) ثمان مرات في البيت الواحد.

ولعل اجتماع الناس حول جرير والفرزدق في نقائضهما بين مؤيد ومعارض تطلبت هذا الوزن الطويل، وأمراً آخر يتمثل في مناسبة طول نَفَس هذا الوزن في تعداد المكارم و(جعله صالحاً للمعاني الأخلاقية النبيلة)(١) التي تغنى بها كل من الشاعرين، وذلك كقول الفرزدق(٢) في الشجاعة:

ضَرَبْنا بسَيْفٍ في يَمِينِكَ لَمْ نَدَعْ ... بِهِ دونَ بابِ الصِّينِ عَيْناً لِظالِمِ
بِهِ ضَرَبَ اللهُ الَّذينَ تَحَزَّبوا ... بِبَدْرٍ على أعناقِهِمْ والمعَاصِمِ

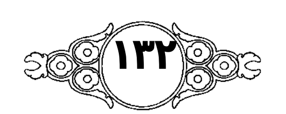
وقول جرير(٣) في الفروسية:

وما زالَ في قَيْسٍ فَوارِسُ مَصْدَقٍ ... حُماةٌ وحَمّالونَ ثِقْلَ المَغارِمِ
وقَيسٌ هُمُ الفَضْلُ الَّذي نَسْتَعِدُّهُ ... لِفَضْلِ المَساعِي وابْتِناءِ المَكارِمِ

واشترك الشاعران أيضاً في ابتداء النقيضة التي وردت بها مكارم الأخلاق

----

(١) القيم الخلقية في شعر عنترة (ص٢٤٨).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣١٦)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٧).
(٣) السابق (ص٣٣٥)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٢).



على بحر الوافر وهذا البحر يناسب (الأداء العاطفي سواءٌ أكان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقة الغزلية والحنين)[1]، وفي ظني أن طرق الشاعرين لهذا البحر يعود لطبيعته التي تناسبهما من جانبين:

الأول: مناسبة وزنه لحالة الغضب الثائر والحماسة، وربما يظهر هذا الجانب عند الفرزدق بشكل أكبر ذلك أنه طبع على الصلابة التي ظهرت جلية في شعره الذي تميز بجزالة اللفظ وقوة الرصف[2]، وهذه الصلابة جعلته لا يبرع في المعاني الغزلية الرقيقة، وذلك من مثل قوله[3] في الفروسية:

وفَضَّلَ آلَ ضَبَّةَ كُلَّ يَوْمٍ   وَقَائِعُ بِالمُجَرَّدَةِ العَوارِي
وتَقْدِيمٌ إذا اعْتَرَكَ المَنايا   بجُرْدِ الخَيْلِ فِي اللُّجَجِ الغِمارِ
وتَقْتِيلُ المُلُوكِ وإنَّ مِنْهُمْ   فَوارِسَ يَوَمَ طِخْفَةَ والنِّسارِ

فالحماسة ظاهرة على معاني الشاعر إذ افتخر بفروسية قومه وانتصاراتهم فيما خاضوه من المعارك.

والثاني: مناسبة وزن الوافر للمعاني الرقيقة في الغزل والحنين، وفي ظني أن هذا يتناسب مع جرير الذي طبع على نفس رقيقة منطوية على الحزن، وذلك من مثل قوله[4]:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتابا   وقُولي إن أصَبْتُ لَقَدْ أصابا
أجِدَّكَ ما تَذكّر أهْلَ نَجْدٍ   وحَيّاً طالَ ما انْتَظَروا الإِيابا

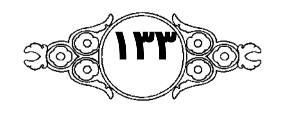
وفيها يقول في مكرمة الشجاعة:

وما وَجَدَ المُلُوكُ أعزَّ مِنّا   وأسْرَعَ مِنْ فَوارِسِنا اسْتِلابا
إذا حَرْبٌ تَلَقَّحُ عَنْ حِيالٍ   ودَرَّتْ بَعْدَ مِرْيَتِها اعْتِصابا

فالشاعر بدأ بالمطلع الغزلي الرقيق والحنين إلى الأحبة، ثم انتقل للمكارم وذكر الشجاعة في الحرب إلا أن معانيه رغم ما تتطلبه هذه المكرمة من الصلابة جاءت أقل من تلك التي وجدناها عند الفرزدق؛ ذلك أن جريراً كان (ذا طبع صافٍ، وعاطفة مندفعة، وخاطر سريع، وبديهة حادة وحذق ومهارة في إلقاء القول)[5].

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العربي وصناعتها (ج١/ص٣٣٢).
(٢) انظر: العصر الإسلامي (ص٢٧٦).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص٢٠٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٥٩ - ٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٧٩).
(٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (ج١/ص٣٣٨).



في حين نجد وزني الكامل والمتقارب يبدأ النقائض عليهما الفرزدق ويجيبه جرير الذي لم نجده ـ في النقائض التي وردت بها المكارم ـ يبدأ بهذين الوزنين، فبحر الكامل (أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد ـ فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر... وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أريد به جد أم هزل. ودندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف والصور حتى لا يمكن فصله عنها بحال من الأحوال)[١].

وهذا في اعتقادي سر طرق الفرزدق الذي لم يكن يهتم بوضوح المعنى ويميل إلى الهزل أكثر من تجويد الصياغة[٢].

وذلك من مثل قوله[٣] في رجاحة العقل:

أحْلامُنَا تَزِنُ الجِبالَ رَزانَةً   وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

فانظر إلى صورة العقل الراجح وثباته، ثم انظر إلى صورة القوم إذا استثيروا ولم يجدوا سبيلاً إلا إلى الرد.

وقوله[٤] في إكرام الجار:

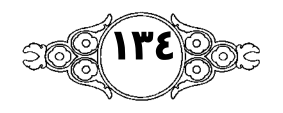
لا قَوْمَ أكْرَمُ مِنْ تَمِيمٍ إذْ عَدَتْ   عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ
الضّاربونَ إذا الكَتيبَةُ أحْجَمَتْ   والنّازلونَ غَداةَ كُلِّ نِزالِ
والضّامِنونَ عَلَى المَنِيَّةِ جارَهُمْ   والمُطْعِمونَ غَداةَ كُلِّ شَمالِ

فانظر إلى شجاعة القوم ودفاعهم عن العرض، وهذه الصورة المكثفة في البيت الثاني لشجاعتهم وشدة بأسهم، وإكرامهم للجار حتى ولو عرضوا أنفسهم للمنايا.

وبحر المتقارب ابتدأ به الفرزدق نقيضة واحدة وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق، وهذا البحر (سهل يسير ذو نغمة واحدة متكررة، والمقاطع الطوال أظهر شيء فيه... وأقل ما يقال عنه إنه بحر بسيط النغم، مضطرد التفاعيل، منساب، طبلي الموسيقى[*]. ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات)[٥]، وربما يكون

----

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (ج١/ص٢٤٦).
(٢) السابق (ص٣٣٧).
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص١٦٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠).
(٤) السابق (ص٢٣٨)، وانظر: ديوانه (ص٥٥٦).
(*) وردت في المرجع: (الموسيقا).
(٥) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها (ج١/ص٣١٢).



تعداد الصفات والفخر بها، وخصوصاً صفات القبيلة التي كان الفرزدق لا يخفي اعتداده بها وولاؤه لها، بل كانت مصدر فخره واعتزازه ـ أقول ربما يكون ذلك هو سبب طرقه لهذا البحر، وذلك من مثل قوله(1) في الشجاعة في الحرب:

أَلَسْنا بِأَصْحابِ يَوْمِ النِّسارِ	**وأصْحابِ أَلْوِيَةِ المِرْبَدِ**
أَلَسْنا الَّذين تَميمٌ بِهِمْ	**تَسامَى وتَفْخَرُ في المَشْهَدِ**
وقَدْ مَدَّ حَوْلي مِنَ المالِكَيْنَ	**أواذِيُّ ذي حَدَبٍ مُزْبِدِ**
إلى هادِراتٍ صِعابِ الرُّؤُوسِ	**قَساوِرَ لِلْقَسْوَرِ الأَصْيَدِ**

انظر هذا التعداد لصفات القوم وانتصاراتهم وحيازتهم للمجد والمفاخرة به.

وعلى هذا أقول: إن ما طرقه الشاعران من أوزان شعرية كانت قوالب ظهرت من خلالها طبائعهم وانفعالاتهم النفسية، إلا أن الأوزان وحدها ليست الجرس الموسيقي كاملاً، بل إن الأوزان تتحد مع العناصر الأخرى خارجياً كالقافية وداخلياً بالألفاظ وتوالي حروفها وما يكوّنه صوتها من جرس خاص لكل حرف في البيت.

ففيما يتعلق بالقافية نجد أنها جاءت في نقائض الشاعرين التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق على النحو التالي:

نقائض الفرزدق: جدول رقم (٣)

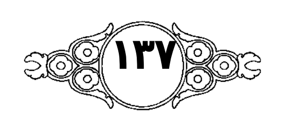
القافية	عدد النقائض	النقائض التي ابتدأها	نقائض الإجابة (الرد)	النسبة التقريبية للنقائض التي ابتدأها
الراء	٦	٤	**٢ إحداهما رد على نقيضة لم ترد بها مكرمة**	٢٥%
اللام	٤	٣	**نقيضة واحدة رد بها على أخرى لم ترد بها مكرمة**	١٨.٧٥%
الميم	٣	٣	—	١٨.٧٥%
الدال	٣	٢	١	١٢.٥%
الهاء	١	١	—	٦.٢٥%
العين	١	—	١	—
النون	١	١	—	٦.٢٥%
التاء	١	١	—	٦.٢٥%
الفاء	١	١	—	٦.٢٥%
الباء	١	—	١	—

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص١٩١).

الحاء	١	—	١	—
المجموع	٢٣	١٦	٧	١٠٠%

نقائض جرير: جدول رقم (٤)

القافية	عدد النقائض	النقائض التي ابتدأها	نقائض الإجابة (الرد)	النسبة التقريبية للنقائض التي ابتدأها
الراء	٥	٢	٣	٢٢.٢%
الدال	٤	١	**اثنتان رد وثالثة على نقيضة لم ترد بها مكرمة**	١١.١١%
الباء	٣	٢	**رد بنقيضة على أخرى لم ترد بها مكرمة**	٢٢.٢%
العين	٣	١	٢	١١.١١%
الحاء	١	١	—	١١.١١%
القاف	٣	٢	**رد بنقيضة على أخرى لم ترد بها مكرمة**	٢٢.٢%
اللام	٣	—	٣	—
الميم	٣	—	٣	—
الهاء	١	—	١	—
النون	١	—	١	—
التاء	١	—	١	—
الفاء	١	—	١	—
المجموع	٢٩	٩	٢٠	٩٩.٩٣%



من الجدولين رقم (٣) و(٤) نلحظ أن الفرزدق ابتدأ ست عشرة نقيضة، وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق من ثلاث وعشرين نقيضة، كانت منها خمس نقائض إجابة لجرير على نقائض وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق، واثنتان رد على نقيضتين لم ترد بهما نماذج لمكارم الأخلاق.

وقد جاء رويّ النقائض الست عشرة التي ابتدأها على حروف (الراء، والميم، واللام، والدال، والهاء)، ونقيضة واحدة على كل من حرف النون، والتاء، والفاء.

ونلحظ أن الشاعر طرق القافية المطلقة دون المقيدة[١] في تلك النقائض، وأعتقد أن مرد ذلك إلى أن هذه القافية مناسبة لحالته النفسية التي جاءت شامخة بمجد آبائه وأجداده من جهة، ولمناسبة هذه القافية لطبيعة هذا الفن الشعري الذي اجتذب الناس بين مؤيد ومعارض لكل من الشاعرين، وهذا يتناسب مع العوامل الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر فجاءت القافية مطلقة؛ (إذ إن القافية المطلقة تكون أكثر وضوحاً وأقوى تأثيراً في السمع)[٢]، ونجد نقائض الفرزدق منوعة في قافيتها المطلقة[*] فنجد تنويع الحركة بين الضمة، كقوله[٣]:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا — بَيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ

والفتحة، كقوله[٤]:

عَرَفْتَ بأَعْلَى رائسِ الفأْوِ بَعْدَما — مَضَتْ سَنَةٌ أيّامُها وشُهورُها

والكسرة، كقوله[٥]:

لا قَوْمَ أكْرَمُ مِنْ تَميمٍ إذْ عَدَتْ — عُوذُ النِّساءِ يُسَقْنَ كالآجالِ

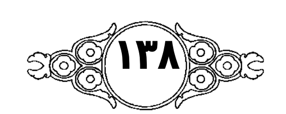
وجاءت القافية عنده موصولة بحرف لين كقوله[٦]:

ألا مَنْ لِمُعْتَادٍ مِنَ الحُزْنِ عائِدِ — وهَمٍّ أتَى دونَ الشَّراسيفِ عامِدِي

وجاءت القافية عنده موصولة بهاء ساكنة كقوله[٧]:

---

(١) القافية المطلقة: هي التي يكون فيها الروي متحركاً، والمقيدة: هي التي يكون فيها الروي ساكناً. انظر: موسيقى الشعر (ص٢٦٠).
(٢) القيم الخلقية في شعر عنترة (ص٢٥١).
(*) الاستشهاد هنا بمطالع النقائض التي ابتدأها الشاعر وورد بها نماذج لمكارم الأخلاق.
(٣) ديوان النقائض (ج١/ص١٦٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٤٨).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٤٢٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٦٠).
(٥) السابق (ص٢٣٨)، وانظر: ديوانه (ص٢٥٦).
(٦) نفسه (ج٢/ص٣٢٥)، وانظر: ديوانه (ص١٥٣).
(٧) نفسه (ج٢/ص٤٢)، وانظر: ديوانه (ص٥٦٢).



سَمَوْنا لِنَجْرانَ اليَمانِي وأهْلِهِ … ونَجْرانُ أرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقاوِلُهْ

كما جاءت مؤسسة[1] كقوله[2]:

تَحِنُّ بِزَوْراءِ المَدينَةِ ناقتي … حَنينَ عَجولٍ تَبْتَغِي البَوَّ رائِمِ

وجاءت أيضاً مردوفة[3] كقوله[4]:

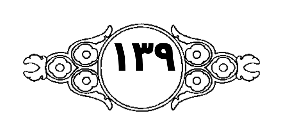
أقولُ لِصاحِبَيَّ مِنَ التَّعَزِّي … وقَدْ نَكَّبْنَ أكْثِبَةَ الغُبارِ

ونجد أن جريراً ابتدأ تسع نقائض ـ إحداها في رثاء الفرزدق بعد موته ـ وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق من تسع وعشرين نقيضة، كان منها ست عشرة نقيضة رد بها على ما ابتدأه الفرزدق، وثلاث نقائض رد بها على مثلها ابتدأها الفرزدق ولم ترد بها نماذج لمكارم الأخلاق، ونقيضة واحدة رد بها على إجابة الفرزدق له على نقيضة ابتدأها، وقد جاء روي هذه النقائض التسع على حروف: (الراء، والباء)، و(القاف)[5]، ونقيضة واحدة على كل من حروف: (الدال، والعين، والحاء).

ونلحظ أن الشاعر طرق القافية المطلقة؛ ذلك أن هذه القافية علاوةً على ما ذكرته من مناسبتها لطبيعة فن النقائض ومحاولة استمالة الناس للوقوف في صف شاعرها نجد جريراً تنطوي نفسه على حزن عميق فلم يكن لآبائه وعشيرته ما لآباء الفرزدق وعشيرته من الأمجاد[6] إضافة إلى رقة ألفاظه ونسيبه ما جعل القافية المطلقة تعبر عن هذه النفسية الرقيقة العفيفة[7]، وتبوح بدواخلها الحزينة والتي جعلته يرتفع بفخره إلى يربوع عن كليب التي ينتسب إليها، ولعل إقلاله في ابتداء النقائض ما يدل على قوله: (والله إني لا أظلمهم ولكنهم يظلمونني

---

(١) القافية المؤسسة أو ألف التأسيس: هي ألف تسبق الرويّ بحرف متحرك. انظر: موسيقى الشعر (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٢٩٠)، وانظر: ديوانه (ص٦٦٣).
(٣) القافية المردوفة هي: التي تسبق حرف الرويَّ فيها ألف مد. انظر: موسيقى الشعر (ص٢٦٦).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٢٠٢)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).
(٥) هذا الروي ورد عند الفرزدق في نقائض لم ترد بها مكارم.
(٦) العصر الإسلامي (ص٢٧٦).
(٧) الأغاني (ج٣/ص٢٢٤).



فأنتصر)[١].

وكما تنوعت القافية المطلقة عند الفرزدق نجدها كذلك عند جرير فنجد تنويع الحركة بين الضمة كقوله[٢]:

لَسْتُ بِمُعْطِي الحُكْمِ عَنْ شِفٍّ مَنْصِبٍ   ولا عَـنْ بَنَـاتِ الحَنْظَلِيْـينَ راغِـبُ

نلحظ هنا حركة الضمة على الروي، كما أنّ القافية مؤسسة فالألف حرف التأسيس.

والفتحة كقوله[٣]:

لِـمَنْ رَبْـعُ دارٍ هَـمَّ أنْ يَتَغَيَّـرا   تَراوَحَـهُ الأرْواحُ والقَطْـرُ أعْصُـرا

والكسرة كقوله[٤]:

ألا حَـيِّ أهْلَ الجَـوْفِ قبْـلَ العَوائِـقِ   ومِنْ قَبْلِ رَوْعاتِ الحَبيبِ المُفارِقِ

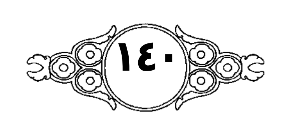
وجاءت القافية عنده موصولة بحرف لين كقوله[٥]:

ألا حَـيَّ الـدِّيارَ بسُـعْدَ أنِّـي   أُحِـبُّ لِحُـبِّ فاطِمَـةَ الـدِّيارَا

مما سبق يمكنني القول: إن طبيعة فن النقائض والتزام الشاعر بوزن وقافية النقيضة الأولى للرد عليها أحدثت نوعاً من التشابه في الجرس الموسيقي الخارجي في النقائض التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق عند جرير والفرزدق إلا أن السهولة والوضوح كانتا الطابع الذي اتسمت به نقائض جرير؛ عن نقائض الفرزدق الذي عرف بطبيعته الغليظة وانحداره من أسرة لها شأنها ومآثرها، ما جعله يلجأ إلى تلك المعاني العميقة التي انعكست على نقائضه وجرسها الموسيقي بشقيه الخارجي والداخلي، وأظهر من خلال تلك المعاني مقدرته الشعرية واللغوية على السواء وهو الذي قيل عنه: (لولا شعره لذهب ثلث

---

(١) السابق (ص٢٣١).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٥٨).
(٣) السابق (ص٣٣٣)، وانظر: ديوانه (ص٢١٥).
(٤) نفسه (ص١٧٨)، وانظر: ديوانه (ص٣٢٦).
(٥) نفسه (ج١/ص٢١٨)، وانظر: ديوانه (ص٢٤٢).



لغة العرب)[1].

ثانياً: الموسيقى الداخلية:

لاحظنا أثر الموسيقى الخارجية المتولدة من الأوزان والقوافي التي جاءت عليها نماذج مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق، وما للعوامل الاجتماعية والسياسية من أثر في اختيارهما أوزاناً وقوافي معينة كان لها دور في الجرس الموسيقى الذي تميزت به نقائضهما المتضمنة نماذج مكارم الأخلاق إلا أن الموسيقى الخارجية لا تشكل موسيقى الشعر دون الإيقاع الخاص لكل وحدة لغوية داخل البيت الشعري؛ لذلك فإن الولوج إلى عالم الشعر (لا يتم إلا من خلال الوعي بطبيعة اللغة فيه، ذلك الوعي الذي يجعل من اللغة غاية في حد ذاتها... ومن هنا يجب النظر إلى كل كلمة أو حرف أو علامة ترقيم في النص الشعري على أنها جوهر في اللغة لا يتم المعنى إلا بها)[2]، من هذا كانت الألفاظ عنوان المعاني (وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها)[3]، وبالنظر إلى الموسيقى الداخلية في نماذج مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق نلحظ حركة الحروف التي وظفها كل منهما، وأحدثت نغماً فنياً خاصاً يميّز كلاً منهما عن الآخر، ومثال ذلك قول الفرزدق[4]:

وفضَّلَ آلَ ضَبَّةَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَقَائعُ بالمُجَرَّدَةِ العَوارِي
وتَقْديمٌ إذا اعْتَرَكَ المَنايا ... بجُرْدِ الخَيْلِ فِي اللُّجَجِ الغِمارِ
وتَقْتِيلُ المُلوكِ وإنَّ مِنْهُمْ ... فَوارِسَ يَوْمَ طِخْفَةَ والنِّسارِ
وإنَّهُمُ هُمُ الحامونَ لَمَّا ... تَواكَلَ مَنْ يَذودُ عَنِ الذِّمارِ

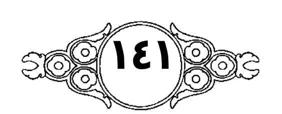
---

(١) العصر الإسلامي (ص٢٧٥).

(٢) اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرمة للدكتور صالح بن سعيد الزهراني ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ (ط١) ـ جامعة أم القرى (ص١٣).

(٣) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي ـ تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي (ط٢) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان (ج١/ص٢٣٧).

(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٢٠٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).



صوت قوي انطلق من أحرف مجهورة عالية تناسب مكرمة الفروسية وخوض المعارك فجاءت أصوات (الضاد، والتاء، والدال، والكاف، والضاد، والقاف، والباء) لتحدث موسيقى عنيفة تناسب حال الفخر والاعتزاز بالقبيلة وفروسيتها، فهذه الأصوات تشترك في صفة تجمع بينها (هي انحباس الهواء معها عند مخرج كل منها انحباساً لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة ويحدث النفس صوتاً انفجارياً)[(١)]، وهذه الحروف الانفجارية ملائمة تماماً لتلك النزعة القبلية التي لم تفارق الفرزدق في كل مواقفه، الأمر الذي جعل المقطع السابق يظهر بهذا النغم العالي ليحدث تداخله مع الوزن والقافية جرساً موسيقياً يميّز أسلوب الشاعر، كما نلحظ التضعيف: (فضّل، ضبّة، اللجج، إنّ، النّسار، لمّا، الدّمار) وهذا الترديد الصوتي يدل على ما يعتمل في نفس الشاعر من معاني السمو والرفعة وتكرار اسم القبيلة وانتصاراتها.

ومثله قول جرير[(٢)]:

تَراني إذا ما النّاسُ عَدُّوا قديمَهُمْ ... وفَضْلَ المَساعِي مُسْفِراً غَيْرَ وَاجِمِ

بأيّامِ قَوْمي ما لِقَوْمِكَ مِثْلُها ... بها سَهَّلوا عَنّي خَبارَ الجَراثِمِ

إذا ألْجَمَتْ قَيْسٌ عَناجيجَ كالقنا ... مَجَجْنَ دَماً مِنْ طولِ عَلْكِ الشَّكائمِ

سَبَوْا نِسْوَةَ النُّعْمانِ وابْنَيْ مُحَرِّقٍ ... وعِمْرانَ قادوا عَنْوَةً بالخَزائمِ

وهُمْ أنْزَلوا الجَوْنَيْنِ في حَوْمَةِ الوَغى ... ولَمْ يَمْنَعِ الجَوْنَيْنِ عَقْدُ التَّمائمِ

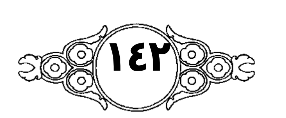
كَأنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقيطاً وحاجِباً ... وعَمْرَو بنَ عَمْرٍو إذْ دَعَوْا يالَ دَارِمِ

ولَمْ تَشْهَدِ الجَوْنَيْنِ والشِّعْبَ ذا الصَّفا ... وشَدّاتِ قَيْسٍ يَوْمَ دَيْرِ الجَماجِمِ

نلحظ هنا النبرة العالية للأحرف المجهورة: (العين، الجيم، الكاف، التاء، الميم، الدال) وهذا الصوت العالي يتناسب مع مكرمة الشجاعة التي دار حولها هذا المقطع، كما نلحظ الأصوات الرخوة لأحرف: (السين، الصاد، الشين، الحاء، الزاي)[(٣)] وهذا مرده لطبيعة جرير وميله للسهولة والرقة برغم أن مكرمة الشجاعة تحتاج لتلك النبرة العالية إلا أن طبيعة الشاعر ظهرت حتى في المواقف

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس (ط٥) ١٩٧٥ ـ مكتبة الأنجلو المصرية (ص٢٣).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٣٧ ـ ٣٤١)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٥٥).
(٣) انظر: الأصوات اللغوية (ص٢٥).



التي تحتاج إلى القوة والجزالة، وإن كان هذا لم يقف حائلاً دون ظهور القوة في وصف القتال وحركة الخيل وشجاعة القوم، وهذا يظهر في قول الفرزدق: (ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقّة شعره)(١).

ونلحظ كذلك التكرار في مثل قول الفرزدق(٢):

أحْلامُنا تَزنُ الجِبالَ رَزانةً ... وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

فهنا تكرار حرف (الجيم)، (الجبال، جنّا، نجهل) وهذا مرده إلى عاطفة الشاعر التي أراد من خلالها إبراز رجاحة عقول القوم، وهذا العقل الراجح يهابه الأعداء إذا استثير حتى غدا طبعاً معروفاً عنهم.

وقول جرير(٣):

أحْلامُنا تَزن الجِبالَ رزَانَة ... ويَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

ولعل فعل القوم هنا يظهر وقد فاق غيره عندما يستثار، ونلحظ التكرار لحرف (الجيم) (الجبال، جاهلنا، الجهل) ومرده إجابة الفرزدق فيما ذهب إليه من الافتخار بحال القوم من الرزانة ورجاحة العقل، لتأتي الإجابة وقد فاقهم بنو يربوع في المواجهة عند الاستثارة.

ومن التكرار التكرار اللفظي للكلمة كقول الفرزدق(٤).

ونَحْنُ ضَرَبْنا هامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ ... يَزيدَ عَلَى أُمِّ الفِراخِ الجَواثِمِ
ونَحْنُ قتَلْنَا ابْنَيْ هُتَيْمٍ وأدْرَكَتْ ... بَحيراً بنا رَكْضُ الذُّكورِ الصَّلادِمِ
ونَحْنُ قسَمْنا مِنْ قُدامَةَ رَأسَهُ ... بصَدْعٍ عَلَى يا فوخِهِ مُتَفاقِمِ

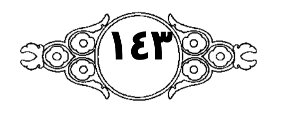
فقد كرر الضمير المنفصل (نحن) وفيه نلحظ الأنا العالية في المفاخرة بشجاعة القوم وأفعالهم في ساحات القتال.

وقول جرير(٥):

فَوارسُ قَيْسٍ يَمْنَعونَ حِماهُمُ ... وفيهمْ جِبالُ العِزِّ صَعْبٌ وُعورُها
وقَيْسٌ هُمُ قَيْسُ الأعِنَّةِ والقنا ... وَقيسٌ حُماةُ الخَيْلِ تُدمَى نُحورُها

---

(١) الأغاني (ج٣/ص٢٢٩).
(٢) ديوان النقائض (ج١٦٧/١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠).
(٣) السابق (ص١٩٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٨).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢٤ - ٣٢٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٦٩).
(٥) السابق (ص٤٤١)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٣٣).



سُـلَيمٌ وذُبْيـانٌ وعَـبْسٌ وعـامِرٌ حُصـونٌ إلَـى عِـزٍّ طِـوالٍ عُمورُهـا

نلحظ تكرار لفظ (قيس) ما يدل على اعتزاز الشاعر بالقبيلة التي ناصرته ضد الفرزدق، كما نلحظ الجرس الموسيقي من تكرار حرف السين في هذا اللفظ وهو من الحروف الرخوة التي تحدث صفيراً تألفه الأذن وتأنس به النفس، **وهذا يقودنا إلى القول:** إن هذا ناتج عن حالة التلاؤم بين نفسية الشاعر وقبيلة قيس التي ناصرته.

كما نلحظ تعداده للقبائل المنتمية لقيس في إشارة إلى كثرتهم وحصانتهم.

ونجد التلاؤم بين اللفظ ومعناه الدلالي وذلك من مثل قول الفرزدق[(١)]:

وضَـبَّةُ أخْـوالِي هُـمُ الهامَـةُ الَّتـي بهَـا مُضَـرٌ دَمَّاغَـةُ لِلْجَمـاجِمِ

فذكر الهامة أي علو الشيء وجعل بني ضبَّة رأس مضر الذي تفخر به، ثم جاء بلفظ دمّاغة وهي صيغة مبالغة تدل على شجاعة القوم، وذكر بعد ذلك الجماجم، وكأنه أراد أن رهطه هم الذين يضربون رؤوس أعدائهم دون العالمين دليلاً على تمرسهم في القتال ومعرفتهم فنون الحرب.

وقول جرير[(٢)]:

ألا رُبَّ جَبّـارٍ عَلَيْـهِ مَهابَـةٌ سَقَيْناهُ كَـأْسَ المَـوْتِ حَتَّـى تَضَلَّعا

فقد جاء بالسقيا، وهي أمر محسوس ثم التضلع وهو لا يكون إلا فيما يشرب ويتضلع منه شاربه، وجعل التضلع هنا للموت وأراد: قتلناه وانقطع ذكره.

ونلحظ الطباق في ألفاظ الفرزدق كقوله[(٣)]:

أحْلامُنـا تَـزِنُ الجِبـالَ رَزانـةً وتَخالُنـا جِنّـاً إذا مـا نَجْهَـلُ

نلحظ هنا الطباق بين الحلم والجهل.

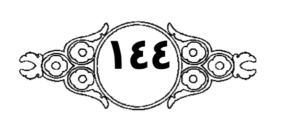
ونلحظ المقابلة في ألفاظ جرير كقوله[(٤)]:

فأَوْرَثَـكَ العَـلاةَ وأوْرَثونـا رِبـاطَ الخَيْـلِ أفْنِيَـةَ القِبـابِ

وهذه المقابلة من السهولة التي عرف بها لبيان دلالات ألفاظه، فالمقارنة هنا واضحة (أورثك العلاة)، (أورثونا رباط الخيل)، فقد ورث الشاعر رباط الخيل في إشارة إلى العز والمجد الذي ورثه، فيما ورث خصمه ـ الفرزدق ـ العلاة، وهي أداة الحلب وهي أيضاً السندان، وكأنه يقول أنه لم يرث مجداً.

---

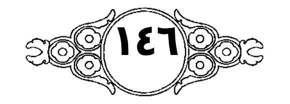
(١) ديوان النقائض (ج٢/ص١٥٣)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٦٧٣).
(٢) السابق (ص٢١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٦).
(٣) نفسه (ج١/ص١٦٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص ٥٥٠).
(٤) نفسه (ص٣٦٣)، وانظر: ديوان جرير (ص٤٤).



ٱٱٱ

المبحث الثاني

٤-المعنى الشعري بين الإبداع والاتباع.
٥-بناء القصيدة.



أولاً: المعنى الشعري بين الإبداع والاتباع

كان لطبيعة فن النقائض وحرص كل من جرير والفرزدق على إظهار مقدرته اللغوية والفنية دور بارز في تفرد كل منهما واستقلاله بمعانيه الخاصة.

و(بدع) بمعنى أنشأ، والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، والبديع: المحدث العجيب، وابتدعت الشيء اخترعته بدون مثال(١).

والإبداع يدل على (دقة الملاحظة، وقوة الفهم لدى الشاعر، وسعة أفقه، وحسن تصرفه، وتلطفه في الوصول إلى مقصده)(٢).

وبالنظر إلى نماذج مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق نجد تفرد كل من الشاعرين بمعانٍ خاصة به، وتعد أبيات الفرزدق المقلّدة هي الأكثر منها عند جرير(٣)، وذلك من مثل قوله(٤):

أحْلامُنا تَزنُ الجِبالَ رَزانةً وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَلُ

فقد صوّر حال القوم ورجاحة عقولهم في السلم، ثم عاد وبين أن هذا العقل ربما يستثار فتكون أفعالهم مشهودة مذكورة سريعة وكأنها تنفذ في العالم الخفي من سرعة القوم في مبادأة خصومهم.

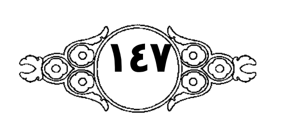
وإذا كان الفرزدق قد سبق إلى هذا المعنى فإن جريراً قد أخذه وزاد عليه، وهو قوله(٥):

أحْلامُنا تَزن الجِبالَ رزَانَة ويَفوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

فقد جعل فعل القوم عندما يستثارون يفوق فعل غيرهم مهما كان هذا الفعل، ونلحظ الزيادة على المعنى هنا، ما جعله معنى مبتكراً، وجرير بزيادته هو الأولى به؛ لأن (السبق إلى المعاني لا يعني دائماً السابق على اللاحق فيما يخص جودة الشعر؛ إذ الجودة لها عيارها الخاص بها)(٦).

---

(١) لسان العرب، مادة (بدع).
(٢) عمود الشعر العربي النشأة والمفهوم، للدكتور محمد بن مريسي الحارثي (ط١) ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م (ص٢٨٦).
(٣) انظر: الطبقات (ج٢/ص٣٦١).
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص١٦٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٥٠)، والطبقات (ج٢/ص٣٦٣).
(٥) ديوان النقائض (ج١/ص١٩٦)، وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٨).
(٦) عمود الشعر العربي (ص٢٨٧).



ومنه قول الفرزدق(١):

تَرَى النّاسَ ما سِرْنا يَسيرونَ خَلْفَنا وإنْ نَحْنُ أوْمَأنا إلى النّاسِ وَقَّفوا

انظر كيف جعل الإيماءة رأياً كافياً ليقتنع به القوم؛ لما عرفوه عنهم من الحكمة والرأي السديد، وهو من أبياته المقلدة التي ذهبت مذهب المثل(٢).

وقوله(٣):

صَبَحْناهُمُ الجُرْدَ الجِيادَ كَأنَّها قطاً أفْزَعَتْهُ يَومَ طَلٍّ أجادِلُهْ

فقد جعل الإغارة على القوم في أول النهار إشارة إلى مبادأتهم عدوهم، وجعل خفة خيلهم وسرعتها كالقطا المحلق هرباً من الصقر، وهي صورة لها دلالاتها، فعدوهم إما هارب أمام تقدمهم، أو أنه في مكان بعيد عنهم وبرغم ذلك لم يمنعهم البعد من وصولهم إليه بهذه الخيل السريعة، ثم جعل سرعة الخيل كطائر القطا المحلّق في صبيحة يوم بللت قطرات الندى فيه أوراق الأشجار، وفي هذا إشارة إلى كثرة طيور القطا المغردة، إشارة إلى كثرة الخيل، وكثرة الخيل إشارة إلى كثرة فرسانها.

وقول جرير(٤):

صَبَحْناهُمُ جُرْداً كَأنَّ غُبارَها شَآبيبُ صَيْفٍ يَزْدَهيهِنَّ حاصِبُ

فقد جعل مبادأة القوم والإغارة عليهم في أول النهار ما يدل على استعدادهم المسبق للحرب، ثم أخبر عن سرعة خيلهم بهذه الصورة التي ارتفع معها الغبار من وقع حوافر الخيل، وكأنها رياح الصيف التي تنقل معها الغبار والحصباء، في إشارة إلى شدة الرياح، وإشارة إلى خفة الخيل، وهذه الخفة مردها إلى أنها خيول عربية أصيلة، وهذه الخيول لا يقتنيها إلا من عرف الفروسية وخبرها.

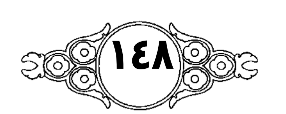
وقول الفرزدق(٥):

فَأَصْبَحَ في حَيْثُ التَقَيْنا شَريدُهُمْ طَليقٌ ومَكْتوفُ اليَدَيْنِ ومُزْعَفُ

فقد نقلنا إلى أرض المعركة بهذه الصورة البلاغية في وصفه لحال عدوهم بين شريد وأسير وجريح، ولم يشر هنا للقتلى وكأنه يقول: إن البقية كلهم قتلى، وفيه إشارة إلى شجاعة القوم وشدة بأسهم ومعرفتهم فنون الحرب.

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢١)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٨).
(٢) انظر: الطبقات (ج٢/ص٣٦٣).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٤٥)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٥٦٣).
(٤) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٠١)، وانظر: ديوان جرير (ص٥٩).
(٥) السابق (ص١٧)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٣٦).



وقول جرير[1]:

ألا رُبَّ جَبّارٍ عَلَيْهِ مَهابَةٌ سَقَيْناهُ كَأْسَ المَوْتِ حَتّى تَضَلَّعا

فقد جعل قتلهم لكل جبار ذي هيبة، مما يدل على شجاعتهم وإقدامهم ثم جعل الموت كأساً يُسقى منه عدوهم، وجعل الموت مما يُتضلّع به من الشراب، كناية عن انقطاع ذكر المقتول.

وقول الفرزدق[2]:

وكُنّا إذا الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقيمَ الأخادِعُ

الأخادع: جمع أخدع، وهو عرق في صفحتي العنق، يقول: نضرب المتكبر حتى تستقيم أخادعه، أي يعود عن تكبره وهو اقتباس من قوله تعالى:(□□□□)[3].

وقوله[4]:

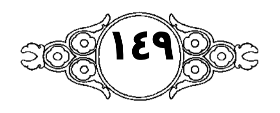
تَرَى كُلَّ مَظْلومٍ إلَيْنا فِرارُهُ ويَهْرُبُ مِنّا جَهْدَهُ كُلُّ ظالِمِ

فقد جعل عدلهم مقصداً لكل مظلوم حتى تعاد له مظلمته، ويهرب الظالم الذي ليس له مكان بينهم، وفيه إشارة إلى أن هذا العدل لا يقتصر على عشيرتهم بل هو مقصد القبائل الأخرى.

ﭑﭑﭑ

---

(١) نفسه (ص٢١٩)، وانظر: ديوان جرير (ص٢٨٦).
(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١١٨)، وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٠٧)، والطبقات (ص٣٦١).
(٣) لقمان: ١٨.
(٤) ديوان النقائض (ج١/ص٣٢١)، وانظر: ديوانه (ص٦٦٩)، والطبقات (ص٣٦٣).



ثانياً: بناء القصيدة

افتقدت النقائض التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق عند جرير والفرزدق للوحدة الموضوعية؛ إذ طرق الشاعران عدداً من الأغراض الشعرية، كالفخر، والمدح، والوصف، والرثاء، والهجاء، وظهر الجدل واضحاً في بعض القصائد، **وأعتقد أنه يعود إلى نظرة كل من الشاعرين لإفحام الآخر واستمالة الناس الذين كانوا يتحلقون حولهم في المربد**، وبالنظر للنقائض التي أحصيتها عند كل من الشاعرين وجاءت بها نماذج المكارم الأخلاقية، وجدت أن الفرزدق ابتدأ ست عشرة نقيضة طرق فيها أغراض: (الفخر، والمدح، والهجاء، والوصف)، ولم يبدأ بمطلع غزلي سوى في أربع قصائد، جاءت مطالعها كالتالي(1):

أَقُــولُ لِصــاحِبَيَّ مِــنَ التَّعَــزِّي ... وقَــدْ نَكَّــبْنَ أَكْثِبَــةَ الغُبــارِ

وقوله(2):

عَرَفْتَ بِأَعْلَى رائسِ الفَأْوِ بَعْدَما ... مَضَتْ سَنَةٌ أيّامُها وشُهورُها

وقوله(3):

عَرَفْتَ بِأَعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْرِفُ ... وأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ ما كُنْتَ تَعْرِفُ

وقوله(4):

مَحَتِ الدِّيارَ فَأَذْهَبَتْ عَرَصاتِها ... مَحْوَ الصَّحيفَةِ بالبلى والمُورِ

في حين نجد أن جريراً كان يجيبه بمطالع غزلية، أو يقف على الأطلال، ولم يجبه بغير هذا المطلع سوى في قصيدتين ابتدأها بالهجاء وهما قوله(5):

زارَ الفَرَزْدَقُ أَهْلَ الحِجازِ ... فَلَمْ يَحْظَ فيهِمْ ولَمْ يُحْمَدِ

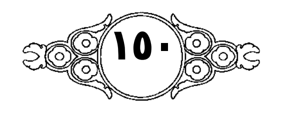
وقوله(6):

لَقَدْ سَرَّني أَلاّ تَعُدَّ مُجاشِعٌ ... مِنَ الفَخْرِ إِلاَّ عَقْرَنابٍ بِصَوْءَرِ

ومن أمثلة ابتداء الفرزدق بالفخر وتنوع موضوعات القصيدة عنده نقيضته

---

(١) ديوان النقائض (ج١/ص٢٠٢). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٣٥١).
(٢) السابق (ص٤٢٣). وانظر: ديوانه (ص٣٦٣).
(٣) نفسه (ج٢/ص٦). وانظر: ديوانه (ص٤٢٩).
(٤) نفسه (ص٢٧٦). ولم أجدها في ديوانه.
(٥) ديوان النقائض (ج٢/ص١٩٢). وانظر: ديوان جرير (ص١٢٨).
(٦) السابق (ص٣٠٧). وانظر: ديوانه (ص٢٣٦).



التي مطلعها[1]:

١- إنَّ الّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا	بَيْتاً دعَائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ
٢- بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا المَليكُ وما بَنَى	حَكَمُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنْقَلُ
٣- بَيْتاً زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ	ومُجاشِعٌ وأبُو الفَوارِسِ نَهْشَلُ
٤- يَلِجُونَ بَيْتَ مجَاشِعٍ وإذا احْتَبَوْا	بَرَزوا كَأنَّهُمُ الجِبَالُ المُثَّلُ

فقد بدأ الشاعر نقيضته بهذا الفخر ذي النبرة العالية والاعتداد بالنسب، فهو من بيت عرفت عنه المكارم، ويعتد بآبائه (زرارة، مجاشع، نهشل) الذين شبههم بالجبال الراسيات، ما يدل على ثباتهم على مكارم سارت أخبارها بين الناس.

ثم انتقل من غرض الفخر إلى غرض الهجاء مخاطباً جرير:

١-لا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ	أبَداً إذا عُدَّ الفَعالُ الأفْضَلُ
٢- مِنْ عِزِّهِمْ حَجَرَتْ كُلَيْبٌ بَيْتَها	زَرْباً كَأنَّهُمُ لَدَيْهِ القُمَّلُ
٣- ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبوتُ بنَسْجِها	وقَضَى عَلَيْكَ بهِ الكِتابُ المُنْزَلُ

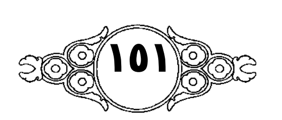
ينفي أن تصل أحساب جرير إلى ما وصل إليه أجداده حتى غدا قوم جرير كالقُمل لا يساوون شيئاً أمام قومه وأمجادهم، ثم يقتبس من القرآن (ژ ڑ ڑ ک ک ک)[2]، في إشارة إلى ذله وهوانه، وبعد هذا الهجاء في الأبيات الثلاثة السابقة عاد إلى الفخر مرة أخرى في ثمانية وثلاثين بيتاً منها قوله:

١- أيْنَ الَّذين بِهِمْ تُسامِي دارِماً	أمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ
٢-يَمْشُونَ في حَلَقِ الحَديدِ كَما مَشَتْ	جُرْبُ الجِمالِ بها الكُحَيْلُ المُشْعَلُ
٣-والمانِعونَ إذا النِّساءُ تَرادَفَتْ	حَذَرَ السِّباءِ جِمالُها لا تُرْحَلُ
٤-يَحْمِي إذا اخْتُرِطَ السُّيوفُ نِساءَنا	ضَرْبٌ تَخِرُّ لَهُ السَّواعِدُ أرْعَلُ
٥-ومُعَصَّبٍ بالتّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَه	خِرَقُ المُلوكِ لَهُ خَميسٌ جَحْفَلُ
٦- مَلِكٌ تَسوقُ لَهُ الرِّماحَ أكُفُّنا	مِنْهُ نَعُلُّ صُدورَهُنَّ ونُنْهِلُ
٧- قَدْ ماتَ في أسَلاتِنا أوْ عَضَّه	عَضْبٌ بَرَوْنَقِهِ المُلوكُ تُقَتَّلُ
٨- ولَنا قُراسِيَةٌ تَظَلُّ خَواضِعاً	مِنْهُ مَخافَتَهُ القُرومُ البُزَّلُ
٩- مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ لَهُ عادِيَّةٌ	فيها الفَراقِدُ والسِّماكُ الأعْزَلُ
١٠-ضَخْمُ المَناكِبِ تَحْتَ شَجْرِ شُؤُونِهِ	نابٌ إذا ضَغَمَ الفُحولَةَ مِقْصَلُ

ويستمر في فخره هذا واعتداده بقومه ومحالفيهم وذكر أمجادهم في ثمانية

---

(١) نفسه (ج١/ص١٦٣) وما بعدها. وانظر: ديوانه (ص٥٤٨) وما بعدها.
(٢) العنكبوت: ٤١.



وعشرين بيتاً أخرى ذكر فيها رجاحة عقول القوم وشجاعتهم، وذكر أخواله وأمجادهم ونلحظ فيها ارتفاع صوت الأنا من مثل قوله:

وأنــا ابْــنُ حَنْظَلَــةَ الأغَــرُّ وإنَّنــي   فــي آلِ ضَــبَّةَ لَلْمُعَــمُّ المُخْــوَلُ

ثم عاد إلى الهجاء مرة أخرى وكأنه يريد أن تبقى صورة المهجو حاضرة يسخر منها ويتندر بها؛ إذ يقول:

إنَّــا لَنَضْــرِبُ رَأسَ كُــلِّ قبيلَــةٍ   وأبــوكَ خَلْــفَ أتانِــهِ يَتَقَمَّــلُ

وجاء هذا المقطع في خمسة أبيات فيها هجاء لاذع، انتقل بعده إلى المدح، فمدح الشعراء الأوائل الذين يرى نفسه في طبقتهم، وهم النابغة الذبياني، والنابغة الجعدي، ونابغة بني شيبان، وأبو يزيد المخبل[1]، وذو القروح[2]، وجرول[3]، وهنا تعريض بخصمه؛ إذ جعله لا يجيد الشعر كما يجيده هؤلاء؛ إذ يقول:

وَهَبَ القصائِدَ لي النَّوابغُ إذْ مَضَوْا   وأبـو يَزيـدٍ وذو القُـروحِ وجَـرْوَلُ

ويستمر في هذا المدح الذي تناول من خلاله عدداً من الشعراء المجيدين السابقين وذكر شاعريته في اقتدائه بهم في أربعة عشر بيتاً، ومما يدل على اعتزازه بشاعريته وسيره على نهج من ذكر من الشعراء قوله:

ولَقَــدْ وَرِثْــتُ لآلِ أوْسٍ مَنْطِقــاً   كالسَّــمِّ خــالَطَ جانِبَيْــهِ الحَنْظَــلُ[4]

والحــارِثِيُّ أخــو الحِمــاسِ وَرِثْتُــهُ   صَدْعاً كَما صَدَعَ الصَّفاةَ المِعْوَلُ[5]

ثم يعود للهجاء وينصبّ على جرير بهجاء لاذع في أربعين بيتاً ختم بها النقيضة، ومما يدل على اعتزازه بشاعريته وهجائه لجرير بضعف الشاعرية قوله في بداية هذا المقطع من الهجاء:

إنَّ اسْــتِراقَكَ يــا جريــرُ قصــائِدي   مِثْــلُ ادِّعــاءِ سِــوَى أبيــكَ تَنَقُّــلُ

فهو يتهمه صراحة بسرقة شعره.

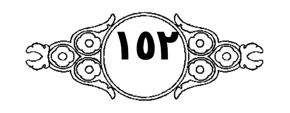
ونلحظ هنا براعة الاستهلال بالفخر، وهو الغرض الذي تفوق فيه:

إنَّ الَّــذي سَــمَكَ السَّــماءَ بَنَــى لَنــا   بَيْتــاً دعَائِمُــهُ أعَــزُّ وأطْــوَلُ

فهو يعيد مكارم آبائه وأجداده إلى السلالة التي ينحدر منها وكأن هذه المكارم طبيعة من طبائعهم وسجية من سجاياهم من الصغر، ثم جعل بيته أعز جانباً

---

(١) هو ربيعة بن مالك، وهو من بني شمّاس بن لأي بن أنف الناقة. انظر: الشعر والشعراء (ص٣٠٢).
(٢) امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو الكنديّ. انظر: الشعر والشعراء (ص٥٥).
(٣) هو الحطيئة: (جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس). انظر: الشعر والشعراء (ص٢١٩).
(٤) أوس بن حَجَر بن عَتّاب. انظر: الشعر والشعراء (ص١٢٧).
(٥) النجاشي الحارثي (قيس بن عمرو بن مالك) من بني الحارث بن كعب. انظر: الشعر والشعراء (ص٢٢٥).



وأطول عمداً من بيت جرير، وفي هذا دلالة على هذا البيت الذي يعرفه الناس ليس لذاته وإنما لأفعال أهله، ونلحظ المطلع بالفخر بالنسب والبيت الذي هو منه، وهذا يدل على أن ما سيذكره من المعاني متوارثة ومتأصلة فيهم، خلص من ذلك إلى الهجاء المقذع وهنا ملاءمة[1] بين الابتداء بصفات كريمة يثبتها له ولقومه وآبائه وينفيها عن خصمه:

لا يَحْتَبِــي بفِنَــاءِ بَيْتِــكَ مِــثْلُهُمْ　　أَبَــداً إذا عُــدَّ الفَعــالُ الأفْضَــلُ

ثم يعود للفخر مرة أخرى وهنا نلحظ الاعتداد بالنفس والقبيلة التي لا يريد أن يفارقه ذكرها، عاد بعده للهجاء لتبقى السخرية من الخصم حاضرة في القصيدة وهي مناسبة لحال القوم الذين تلقى فيهم من المؤيدين الذين يريدون أن يسمعوا كلاماً في خصمهم، فالهجاء استطار ليتجاوز الشاعرين إلى القبيلة[2]، انتقل بعد ذلك إلى المدح ويظهر هنا تعدد موضوعات النقيضة والمدح مناسب هنا لاستمالة الناس وقبائلهم لمناصرته (فكان يتحدث عن أيام مجاشع وتميم، وقد يضيف إلى ذلك حديثاً عن أيام تغلب انتصاراً للأخطل)[3].

وفي الحديث عن الأيام امتداح للفرسان ومن أشاد بهم من شعراء القبيلة وامتداح الفرسان وذكر الخيل وغيرها من المكارم التي يُمدح بها تشير إلى خوضهم المعارك، وهذا دليل على شجاعتهم، ثم يعود من المدح إلى الهجاء ويختم بأربعين بيتاً أنهاها بقوله:

إنَّ الحَيــاةَ إلَــى الرِّجــالِ بَغيضَــةٌ　　بَعْــدَ الَّــذي فعَــلَ اللَّئِــيمُ الأثْــوَلُ

(وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام)[4]، وهنا إيذان بختم القصيدة ببغض الحياة ونبذها إذا انحدرت فيها القيم كما وصم جريراً بها. في حين بدأ جرير إجابته بمطلع غزلي؛ إذ يقول[5]:

١ـلِــمَنِ الــدِّيارُ كَأَنَّهــا لَــمْ تُحْلَــلِ　　بَـيْنَ الكِنـاسِ وبَـيْنَ طَلْـحِ الأعْـزَلِ

٢ـولَقَدْ أرَى بِكَ والجَديدُ إلَى بِلىً　　مَوْتَ الهَوَى وشِفاءَ عَيْنِ المُجْتَلي

٣ـنَظَرَتْ إلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنَي مُغْزِلٍ　　قطَعَــتْ حِبالَتَهــا بِــأعْلَى يَلْيَــلِ

---

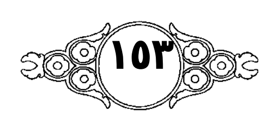
(١) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ـ حققه وعلق عليه وفهرسه د. عبد الحميد هنداوي ـ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة (ط٢) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م (ص٣٦٤).

(٢) العصر الإسلامي (ص٢٥٠).

(٣) السابق (ص٢٤٥).

(٤) الإيضاح (ص٣٦٦).

(٥) ديوان النقائض (ج١/ص١٨٦) وما بعدها. وانظر: ديوان جرير (ص٣٦٦) وما بعدها.



٤ـوإذا الْتَمَسْتَ نَوالَها بَخِلَتْ بِهِ وإذا عَرَضْتَ بوُدِّها لَمْ تَبْخَلِ

ويستمر في النسيب حتى البيت العاشر من النقيضة، فيقف على الأطلال ويذكر حاله مع أحبابه فيها، وعند الفراق جاءت الأحزان، التي لا تموت حتى يلقى أحبابه مرة أخرى، ثم ينتقل للاعتداد بالنفس في بيتين هما قوله:

١ـأعْدَدْتُ للشُّعَراءِ سَمّاً ناقِعاً فسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأسِ الأوَّلِ
٢ـلَمّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مِيسَمي وضَغا البَعيثُ جَدَعْتُ أنْفَ الأخْطَلِ

فهو يعتد بشعره وقهره لمن يلاحيه من الشعراء كالفرزدق والأخطل والبعيث[(١)]، وبعد هذا الاعتداد بالشاعرية انتقل للهجاء في ثلاثة وعشرين بيتاً بدأها بقوله:

أخْزَى الَّذي سَمَكَ السَّماءَ مُجاشِعاً وبَنَى بناءَك في الحَضيضِ الأسْفَلِ

وواضح هنا نقضه لمعاني الفرزدق السابقة في الاعتداد بالآباء والعشيرة، ثم انتقل من الهجاء إلى الفخر في قوله:

إنِّي إلَى جَبَلَيْ تَميمٍ مَعْقِلي ومَحَلُّ بَيْتِي في اليَفاعِ الأطْوَلِ
أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رزَانَةً ويَفُوقُ جاهِلُنا فَعالَ الجُهَّلِ

ويستمر في هذا الفخر ستة أبيات أخرى ذكر فيها رجاحة عقول القوم والفروسية وكثرة العدد، ما يدل على كثرة ابناء القبيلة وكثرة مناصريه، ثم خرج من الفخر إلى الهجاء في بيت واحد هو قوله:

كانَ الفَرَزْدَقُ إذْ يعُوذُ بِخالِهِ مِثْلَ الذَّليلِ يَعوذُ تَحْتَ القَرْمَلِ

وهنا هجاء فاحش فقد جعله ذليلاً يحتمي بأذل، وصوّره بذليل لم يجد من يحميه فعاذ بالقرمل وهو شجر ضعيف لا شوك له.

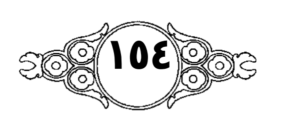
ثم ينتقل للمدح وجاء هذا الغرض في ثلاثة أبيات هي قوله:

١ـوافْخَرْ بِضَبَّةَ إنَّ أُمَّكَ مِنْهُمُ لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةَ بالمُعَمِّ المُخْوَلِ
٢ـوقَضَتْ لَنا مُضَرٌ عَلَيْكَ بِفَضْلِنا وقَضَتْ رَبيعَةُ بالقَضاءِ الفَيْصَلِ
٣ـإنَّ الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا عِزّاً عَلاكَ فَما لَهُ مِنْ مَنْقَلِ

والمدح هنا للقبائل الموالية للشاعر وقبيلته (مضر، وربيعة، ومن قبلهما ضَبّة)، وهو مدح بمجد هذه القبائل وسيرورة أفعالها بين الناس، حتى إنّ حكمها هو المصدق وجعل الحكم له على خصمه، ثم انتقل من المدح إلى الهجاء ثالثة وختم بخمسة عشر بيتاً بدأها بقوله:

---

(١) البعيث: هو خداش بن بشر من بني مجاشع. انظر: الشعر والشعراء (ص٣٦٤).



أَبْلِـغْ بَنِـي وَقبـانَ أنَّ حُلُـومَهُمْ خَفَّـتْ فـلا يَزِنُـونَ حَبَّـةَ خَـرْدَلِ

إلى أن يقول:

أَبْلِـغْ هَـدِيَّتِيَ الفَـرَزْدَقَ إنَّهـا ثِقْـلٌ يُـزادُ عَلَـى حَسِـيرٍ مُثْقَـلِ

وهنا يظهر حسن التخلص والإشارة إلى الانتهاء بطلب إبلاغ الهدية، وهي هدية ثقيلة تضاف إلى أثقال سبقتها، وهنا هجاء ساخر من حال الخصم الذي أثقل كاهله بهذا الهجاء المقذع لحاله وحال قومه، وتأتي القفلة:

إنّـا نُقِـيمُ صـغا الـرُّؤوسِ ونَخْتَلِـي رَأسَ المُتَـوَّجِ بالحُسـامِ المِفْصَـلِ

فبعد الهجاء بالقول دلّل بالفعل فهم قوم يقولون ويفعلون، فهم يجزون رأس عدوهم بسيوفهم الصارمة.

ومن النقائض التي ابتدأها الفرزدق بالغزل قوله[1]:

١-عَزَفْـتَ بأعشـاشٍ ومـا كِـدْتَ تَعْـزِفُ وأَنْكَرْتَ مِنْ حَدْراءَ ما كُنْتَ تَعْرِفُ

٢-ولَـجَّ بِـكَ الهِجْـرانُ حَتَّـى كَأنَّمـا تَرَى المَوْتَ في البَيْتِ الَّذي كُنْتَ تَيْلَفُ

٣-لَجاجَةَ صُرْمٍ لَيْسَ بالوَصْلِ إنَّما أخو الوَصْلِ مَنْ يَدْنو ومَنْ يَتَلَطَّفُ

٤-إذا انْتَبَهَـتْ حَـدْراءُ مِـنْ نَوْمَـةِ الضُّـحَى دَعَـتْ وَعَلَيْهـا دِرْعُ خَـزٍّ ومُطْـرَفُ

٥-بأَخْضَرَ مِنْ نَعْمانَ ثُمَّ جَلَتْ بِهِ عِـذابَ الثَّنايـا طَيِّبـاً حـينَ يُرْشَـفُ

ويستمر في غزله هذا إلى البيت الواحد والثلاثين وهي مقطوعة طويلة إذا قارناها بإقلاله في هذا الفن ولعل مرد ذلك: نفسه الصلبة التي وجدت في الفخر والاعتداد بالذات مادة تناسب هذه الصلابة، ونلحظ هنا الكناية (نومة الضحى) والمقصود أن لها من يخدمها ويقوم على أمرها فهي سيدة لها خدم وتعيش في القصور دليلاً على علو حسبها وسيادة أهلها، ويستمر في غزله إلى قوله:

لَنـا مـا تَمَنَّيْنـا مِنَ العَيْشِ مـا دَعـا هَـديلاً حَمامـاتٌ بِنَعْمـانَ هُتَّـفُ

فهو يذكر لذة العيش واستمراره ما دام صوت الحمام يُسمع في (نعمان)[2]، وبعد هذا الغزل انتقل إلى وصف حال القوم وما بهم من الحاجة ونلحظ هنا (الاقتضاب)[3]، فبعد الغزل انتقل مباشرة إلى وصف حال القوم إذ يقول:

إلَيْـكَ أميـرَ المُـؤمِنينَ رَمَـتْ بنـا هُمـومُ المُنَـى والهَوْجَـلُ المُتَعَسَّـفُ

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٦). وانظر: ديوان الفرزدق (ص٤٢٩).
(٢) وادٍ بناحية عرفات به أراك كثير. انظر: ديوان النقائض (ج٢/ص٧).
(٣) هو الانتقال من الفن الذي شبب الكلام به إلى ما لا يلائمه. انظر في ذلك: الإيضاح (ص٣٦٥).

وعَضُّ زَمانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المالِ إلاَّ مُسْحَتاً أوْ مُجَرَّفُ

ويستطرد في هذا الوصف لحال القوم وما هم فيه من الحاجة في ثمانية عشر بيتاً بعد البيتين السابقين، وصف فيها رحلتهم إلى الخليفة في أرض خالية جرداء، ما يدل على عظم الحاجة، فالأرض قاحلة لا أشجار فيها، ويصف حال الإبل التي قطعوا بها القفار للوصول إلى الخليفة وقد يبست من الجهد، وجعلها إبلاً وليست خيلاً إشارة إلى صبر وتحمّل الإبل للرحلة، ومعاناتها التي وصفها، ثم انتقل بعد ذلك لغرض الفخر فبرغم معاناة القوم إلا أن كرمهم لا يقف عند حد فهم في مثل الحال التي وصفها وكرمهم مستمر وهم مقصودون، وهذا الكرم أفضل من غيره؛ لأنه جاء في وقت البرودة وقد ذهبت الألبان والأعشاب والناس يريدون أن يجدوا ما يكفيهم حاجتهم، فيقول:

وَجَدْتَ الثَّرَى فينا إذا يَبِسَ الثَّرَى وَمَنْ هُوَ يَرْجو فَضْلَهُ المتُضَيِّفُ

تَرَى جارَنا فينا يُجيرُ وإنْ جَنَى فَلا هُوَ مِمّا يُنْطِفُ الجارَ يُنْطَفُ

ويستمر في فخره ويبلغ به أربعة وخمسين بيتاً تناول فيها كرم القوم، وعزهم ومنعتهم لجارهم، وشجاعتهم، وفروسيتهم، واستعدادهم للقتال، ثم انتقل للهجاء الذي جاء في اثني عشر بيتاً بدايتها قوله:

فإنَّكَ إذْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دارِماً لأَنْتَ المُعَنَّى يا جريرُ المُكَلَّفُ

وواضح هنا تفوقه في الفخر واسترساله فيه إذ بلغ اربعة وخمسين بيتاً والهجاء اثني عشر بيتاً في النقيضة التي بلغت أبياتها مئة وواحداً وعشرين بيتاً، ثم ينتقل من الهجاء إلى الاعتداد بالذات والفخر بأفعاله وشجاعته؛ إذ يقول:

كِلانا لَهُ قَوْمٌ هُمُ يُحلِبونَهُ بأَحْسابِهِمْ حَتَّى يُرَى مَنْ يُخَلَّفُ

إلَى أمَدٍ حَتَّى يُزايِلَ بَيْنَهُمْ ويُوجِعَ مِنَّا النَّخْسُ مَنْ هَوَ مُقْرِفُ

عَطَفْتُ عَلَيْكَ الحَرْبَ إنِّي إذا وَنَى أخُو الحَرْبِ كَرّارٌ عَلَى القِرْنِ مِعْطَفُ

ليختم النقيضة بالاعتداد برجال تميم؛ إذ يقول:

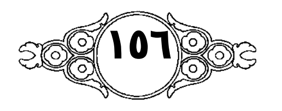
ولَوْ أنَّ سَعْداً أَقْبَلَتْ مِنْ بِلادِها لَجاءَتْ بِيَبْرِينَ اللَّيالِي تَزَحّفُ[(١)]

أراد لجاءت يبرين بجيش مثل الليالي وهذا مقلوب[(٢)]، وذكر الليالي هنا كناية عن الرهبة والتتابع فالجيش كثير العدد متتابع في سيره.

---

(١) يعني سعد بن زيد مناة بن تميم وهو أعز تميم. انظر: ديوان النقائض (ج٢/ص٢٣).

(٢) المقلوب هو: أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به. انظر: نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى (ط٣) مكتبة الخانجي بالقاهرة.



وابتدأ جرير إجابته بالغزل أيضاً؛ إذ يقول[1]:

١-ألا أيُّها القَلْبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ أَفِقْ رُبَّما يَنأى هَواكَ ويُسْعِفُ

٢-ظَلِلْتَ وقَدْ خَبَّرْتَ أَنْ لَسْتَ جازِعاً لِرَبْعٍ بِسَلْمانَيْنِ عَيْنُكَ تَذْرِفُ

٣-وتَزْعُمُ أَنَّ البَيْنَ لا يَشْعَفُ الفَتَى بَلَى مِثْلُ بَيْني يَوْمَ لُبْنانَ يَشْعَفُ

ويستمر في غزله أحد عشر بيتاً أخرى، وتظهر رقة الشاعر ورقة ألفاظه ومعانيه فقد تملك الحب قلبه، ويشكو الكذب عليه ما جعل مودّة المحبوب غير صافية، ثم ينتقل إلى الفخر بالقبيلة والاعتداد بأمجادها ويظهر عنده أيضاً (الاقتضاب) فقد انتقل من الغزل إلى الفخر بالقبيلة؛ إذ يقول:

هُمُ الحَيُّ يَرْبوعٌ تَعادَى جِيادُهُمْ عَلَى الثَّغْرِ والكافونَ ما يُتَخَوَّفُ

ويأتي الفخر في ستة أبيات تلي هذا البيت ذكر فيها كرم تميم وشجاعتهم ويظهر هنا الفرق بينه وبين الفرزدق في النقيضة الأولى، فقد جاء الفخر عنده في أربعة وخمسين بيتاً بينما هو عند جرير في سبعة أبيات، وعلى العكس نجد الهجاء عنده يبلغ اثنين وخمسين بيتاً بينما هو عند الفرزدق اثنا عشر بيتاً فقط؛ إذ يقول جرير:

لَقَدْ مُدّ لِلْقَيْنِ الرِّهانُ فَرَدَّهُ عَنِ المَجْدِ عِرْقٌ مِنْ قُفَيْرَةَ مُقْرِفُ

لَحَى اللهُ مَنْ يَنْبو الحُسامُ بِكَفِّهِ ومَنْ يَلِجُ الماخورَ في الحِجْلِ يَرْسُفُ

ويستمر في هجائه إلى أن يقول:

أَتَعْدِلُ كَهْفاً لا تُرامُ حُصونُهُ بِهاري المَراقِي جُولُهُ يَتَقَصَّفُ

ثم يعود للفخر في ستة أبيات بدأها بقوله:

تَحوطُ تَميمٌ مَنْ يَحوطُ حِماهُمُ ويَحْمِي تَميماً مَنْ لَهُ ذاكَ يُعْرَفُ

أنا ابْنُ أَبي سَعْدٍ وعَمْرٍو ومالِكٍ أنا ابْنُ صَميمٍ لا وشيطٍ تَحَلّفوا

إلى أن يقول:

إذا نَزَلَتْ أَسْلافُ سَعْدٍ بِلادَها وأَثْقالُ سَعْدٍ ظَلّتِ الأَرْضُ تَرْجُفُ

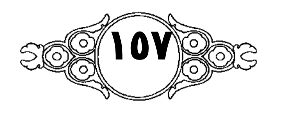
ونلحظ هنا تعدد موضوع القصيدة بين الغزل والفخر والهجاء، واستطرد في الفخر ليكون خاتمة القصيدة، فكما خلص منه إلى الهجاء عاد إليه مرة أخرى ليؤكد ما اعتد به من صفات قبيلته ونفاه عن الفرزدق وقبيلته ثم عاد ليؤكد معاني أخرى من المكارم لقبيلته وحلفائها في نهاية النقيضة.

ومن النقائض التي ابتدأها جرير بالغزل قوله[2]:

---

(١) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٥). وانظر: ديوان جرير (ص٣١٣).

(٢) ديوان النقائض (ج٢/ص١٩٩). وانظر: ديوان جرير (ص٥٨).



١ـلَسْتُ بِمُعْطي الحُكْمِ عَنْ شِفِّ مَنْصِبٍ ولا عَنْ بَناتِ الحَنْظَلِيّينَ راغِبُ
٢ـأراهُنَّ ماءَ المُزْنِ يُشْفَى بِهِ الصَّدَى وكانَتْ مِلاحاً غَيْرَهُنَّ المَشارِبُ

فقد ضرب ببنات الحنظليين مثلاً للمشارب، وحكم لهن بهذه المنزلة من بين بنات العرب، ثم انتقل بعد ذلك للهجاء وجاء في ثلاثة أبيات بدأها بقوله:

لَقَدْ كُنْتَ أَهْلاً إذ تَسوقُ دِياتِكُمْ إلى آلِ زيقٍ أنْ يَصيبَكَ عائِبُ

فهو يذكر المئة من الإبل التي ساقها الفرزدق إليهم(١)، بعد ذلك انتقل إلى الفخر؛ إذ يقول:

حَوَيْنا أبازيقٍ وزيقاً وعَمَّهُ وحَدَّةُ زيقٍ قَدْ حَوَتْها المَقانِبُ

يفخر بأسر (أبي زيق)(٢)، وقد سار في أيدي القوم، ويستمر في فخره ويذكر فروسية قومه وإغارتهم على العدو وشدة عدو خيولهم، وانتصارهم (يوم الغبيطين)، وبعد هذه المكارم التي عددها في ستة أبيات عاد إلى الهجاء؛ إذ يقول:

أأَهْدَيتَ يا زيقَ بنَ زيقٍ غَريبَةً إلى شَرِّ ما تُهْدَى إلَيْهِ الغَرائِبُ

إلى أن يقول في خاتمة النقيضة:

ولَوْ كُنْتَ حُرّاً كانَ عَشْرٌ سِياقَةً إلى آلِ زيقٍ والوَصيفُ المُقارِبُ

ونلحظ قصر النقيضة (تسعة عشر بيتاً) إلا أن تعدد الموضوعات واضح فيها فقد بدأ بالغزل ثم الهجاء ثم الفخر ثم عاد إلى الهجاء.

وفي رد الفرزدق على هذه النقيضة لم يبتدئها بالغزل كما فعل جرير؛ إذ يقول(٣):

تَقولُ كُلَيْبٌ حينَ مَثَّتْ سِبالُها وأخْصَبَ مِنْ مَرّوتِها كُلَّ جانِبِ

فقد بدأ بالهجاء لقبيلة كليب التي منها جرير، ويستمر في هجائه خمسة أبيات بعد مطلع النقيضة لينتقل إلى الفخر الذي بدأه بقوله:

وفينا مِنَ المِعْزَى تِلادٌ كَأَنَّها ظَفارِيَّةُ الجَزْعِ الّذي في التَّرائِبِ

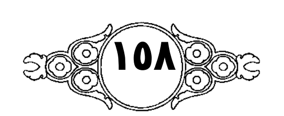
إلى أن يقول:

ولَوْ تُنْكِحُ الشَّمْسُ النُّجومَ بَناتِها إذاً لَنَكَحْناهُنَّ قَبْلَ الكَواكِبِ

وقد ورد هذا المقطع في عشرة أبيات ذكر فيها سيادة قومه وشرفهم، وختمه بالمثل: فلو أن الشمس زوجت بناتها من النجوم لكن لهم، لعلو شرفهم، ثم يعود إلى

---

(١) السابق (ص٢٠٠).
(٢) أسره عتيبة بن الحارث، وجدة زيق: أم بسطام وهي ليلى بنت الأحوص الكلبي. انظر: ديوان النقائض (ج٢/ص٢٠١).
(٣) ديوان النقائض (ج٢/ص٢٠٣). وانظر: ديوان الفرزدق (ص١١٤).



الهجاء بقوله:

وما اسْتَعْهَدَ الأَقْوامُ مِنْ زَوْجِ مُرَّةٍ مِنَ النّـاسِ إلاّ مِنْكَ أوْ مِنْ مُحـارِبِ

إلى أن يقول:

عَطِيَّـــةَ أوْ ذي بُـــرْدَتَيْنِ كَأَنَّـــهُ عَطِيَّـــةُ زَوْجٍ لِلأَتـــانِ وراكِـــبِ

ونلحظ كذلك تعدد موضوعات النقيضة رغم قصرها (تسعة عشر بيتاً)، فقد طرق فيها الهجاء والفخر ثم عاد إلى الهجاء وهو نهج الفرزدق الذي لا يطيل هجاءه كما يطيل فخره ليعود ويستطرد في الهجاء، فيما نلحظ أن جريراً ينوع في موضوعات نقيضته كذلك لكنه يطيل الهجاء ويقل الفخر.

وعلى هذا أستطيع القول: إن نقائض جرير والفرزدق التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق تعددت موضوعاتها ولم تقتصر على موضوع واحد، وهذا التعدد له خصوصيته عند كل منهما، فالأول يطيل الغزل والهجاء، والثاني لا يطرق الغزل كثيراً ويطيل الفخر ويقل الهجاء، وهذا يعود لطبيعة النشأة عند كل من الشاعرين، فالفرزدق ذو نفس صلبة وطبيعة خشنة لم يطرق معها الغزل وربما كان لتلك النفسية دور في (فشله المبكر في حياته الزوجية)[1].

وجرير برغم تدينه وعفافه طرق فن الغزل كثيراً، بل إنه كثيراً ما ابتدأ به نقائضه التي أجاب بها الفرزدق وابتدأ به جميع نقائضه سوى نقيضة واحدة هي قوله[2]:

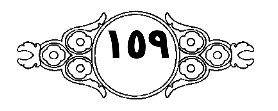
غَداً باجْتِمـاعِ الحَـيِّ تُقْضَـى لُبانَـةٌ وأُقْسِـمُ لا تُقْضَـى لُبانَتُنـا غَـدا

وابتداؤه النقيضة في الإجابة والابتداء بالغزل يدل على صفاء نفسه وميله للألفاظ والمعاني الرقيقة، على عكس الفرزدق الذي كان يميل للمعاني العميقة والألفاظ الخشنة.

ااا

----

(١) العصر الإسلامي (ص٢٧١).
(٢) ديوان النقائض (ج١/ص٣٩٦). وانظر: ديوان جرير (ص١٧٠).



الخاتمة والنتائج

ناقش هذا البحث موضوع مكارم الأخلاق في نقائض جرير والفرزدق، والخصائص الفنية في النقائض التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق، وقد اقتضت خطة البحث أن يبدأ بتمهيد حول الأخلاق ودورها في بناء المجتمعات، وانتشار الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، واستعرضت الدراسة آراء الفلاسفة والنقاد حول الأخلاق، بدءًا باليونان التي ذهب فلاسفتها في الأخلاق مذاهب تلتقي كلها على أنها فضائل ترتقي بالإنسان وبالمجتمع إلى المثالية، فوضع سقراط نظرية (المعرفة)، وأعاد بناء الأخلاق والمعاملات إلى العلم، ووضع أفلاطون نظرية (المثل)، وقرر أن أصول الفضائل أربعة: (الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل) وجعلها قوام الأمم والأفراد، ثم جاء أرسطو الذي جعل العقل مرد التعاملات الإنسانية، وقرر أن الأخلاقية إنما هي الحياة العقلية.

ثم استعرضت الأخلاق في العصر الجاهلي الذي كان أفراده يتمتعون بقيم مثلى من الأخلاق الفاضلة، والدليل على ذلك إقرار الإسلام للعديد من الأخلاق التي كانت عند العرب في الجاهلية.

بعدها تناولت الأخلاق في الإسلام وأوردت على ذلك عددًا من الأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف تحث على التحلي بالفضائل، وامتثل لها مجتمع النبوة حتى أسهمت في بناء مجتمع مثالي يتحلى بالمكارم الأخلاقية.

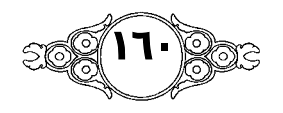
ثم جعلت البحث بعد ذلك في فصلين: بدأت الأول بمدخل حول فن النقائض وسبب نشوبها بين الشعراء، وذكرت سببين لاقتصار الدراسة على نقائض جرير والفرزدق، ثم تناولت أنماط مكارم الأخلاق في نقائضهما والسياقات التي وردت فيها، وخلص البحث إلى وُرود عدد من المكارم في نقائض جرير والفرزدق جاءت في سياقات متعددة، وهي: رجاحة العقل، والفروسية، والكرم، والشجاعة، والعدل، والوفاء بالعهد، والمروءة، ومكارم أخرى: كالصبر، وصلة الرحم.

وتناولت في الفصل الثاني: جماليات التشكيل في نقائض جرير والفرزدق، والتي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق، وجعلته في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: تناولت فيه: ١ ـ لغة الشعر، وألفاظه، وأساليبه، وتراكيبه.

وفيه درست المعجم الشعري لكل من جرير والفرزدق في كل مكرمة من المكارم الواردة في نقائضهما واختصاص كل منهما بمعجم شعري ميزه عن غيره، برغم اشتراكهما في وُرود بعض الألفاظ عند كلا الشاعرين إلا أن طريقة توظيفها اختلفت عند كل منهما.

ثم انتقلت لخصائص الأسلوب والتراكيب، ولاحظت تنويع الشاعرين في الأسلوب وذلك لاستمالة كل منهما للمناصرين الذين كانوا يتحلقون حولهما أثناء



إلقاء النقائض وكذلك الطبيعة النفسية لكلا الشاعرين وأثرها في تفضيل أسلوب على آخر.

وتناولت في أثناء دراسة الأسلوب خصائص التراكيب والصورة الشعرية في نقائض الشاعرين التي وردت بها نماذج لمكارم الأخلاق.

٢ ـ الموسيقى الشعرية: ودرست في هذا الموضوع الموسيقى بشقيها الخارجي المتمثل في الوزن والقافية وطرق الشاعرين لأوزان وبحور معينة دون غيرها، وكذلك قوافي القصائد موضوع الدراسة، وبينت ملاءمة البحور التي طرقها الشاعران ـ إلى حد ما ـ لموضوع المكارم وكذلك القوافي وأنواعها من حيث الإطلاق والتقييد ومدى مناسبتها للمكارم الواردة في النقائض، ومثلت لبعض القوافي التي جاءت عليها النقائض المدروسة، كالقافية المؤسسة، والمردوفة.

وتناولت في المبحث الثاني: ١ ـ المعنى الشعري بين الإبداع والاتباع، ودرست في هذا الموضوع إبداع الشاعرين في معانيهما الشعرية، حتى ذهبت بعض أبياتهما مثلاً وهو ما أشار له ابن سلاّم بـ(البيت المقلّد)، وضربت على ذلك أمثلة من النقائض موضوع الدراسة، وعرّجت إلى دراسة بعض الصور البلاغية من إبداع الشاعرين وضربت لها أمثلة من نقائضهما المدروسة.

٢ ـ بناء القصيدة، وفيه درست تعدد موضوعات النقيضة الواحدة، عند كلا الشاعرين وكيفية انتقال الشاعر من موضوع إلى آخر، وهنا ظهر ابتداء الفرزدق لنقائضه بموضوعات مختلفة أبرزها الفخر، والهجاء، وقليلاً ما ابتدأ بالغزل، وعلى العكس من ذلك لاحظت ابتداء جرير بالغزل في نقائضه حتى تلك التي يجيب بها الفرزدق، وقليلاً ما ابتدأ بالهجاء أو الفخر.

وختمت الدراسة بثبت لمصادر ومراجع البحث.

نتائج البحث:

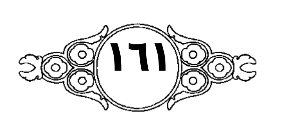
وقد توصلت من خلال البحث إلى نتائج على المستويين الموضوعي والفني.

فعلى المستوى الموضوعي توصل البحث إلى:

١- قِدَم الأخلاق بقدم التاريخ البشري، فقد استعرضت آراء فلاسفة اليونان حولها، ولكن ذلك لا يعني أن الأخلاق انطلقت من المجتمع اليوناني بقدر ما هي قديمة قدم التاريخ.

٢- تمتع المجتمع الجاهلي بمكارم أخلاقية فرضتها عقلية القبيلة والولاء والانتماء لها.

٣- إقرار الإسلام لعدد من المكارم الأخلاقية التي عرفها العرب في الجاهلية وتهذيبها والحث على الالتزام بها والزيادة عليها، مما جاء به الإسلام؛ لأنها طريق انتشار الخيرات في المجتمع، فأصبحت من تعاليم الإسلام وليس كما كانت في الجاهلية للعرف القبلي، وبالتالي خرجت العقلية



العربية من الانقياد للقبيلة، وأعرافها إلى عبادة الله تعالى قولاً وعملاً.

٤- تَمَثُّلُ الشعراء بالقيم الأخلاقية دليل على ما لها من مكانة عظيمة في كل المجتمعات التي تغنى فيها الشعراء بقيمهم واكتساب مجتمعاتهم لها.

٥- عدم اقتصار نقائض جرير والفرزدق على السباب والشتائم وإظهار عورات الشاعرين وقبيلتيهما، بل تضمنت النقائض نماذج مضيئة لمكارم الأخلاق جاءت في سياقات مختلفة من نقائضهما.

٦- اعتماد جرير والفرزدق على التاريخ في ذكر مفاخرهما بقبيلتيهما ومكارمهما ما يدل على دراستهما وإلمامهما بأيام ووقائع القوم.

٧- ذكر الشاعرين لمفاخرهما ومكارمهما الشخصية ومكارم ومفاخر قبيلتيهما يدل على أن العصبية القبلية لعبت دورها في هذه النقائض.

٨- إثبات كل من الشاعرين المكارم لنفسه وقبيلته ونفيها عن الآخر يدل على عظم هذه المكارم الأخلاقية عندهما، فالمثالية بالتحلي بها، وتركها يعني تأخر القوم عن مجاراة الآخرين فيها.

٩- مدح القبائل التي ناصرت كلاً من الشاعرين بتحليها بالمكارم الأخلاقية دليل على أهمية الأخلاق في المجتمع، فالشاعر لا يمدح إلا بأحسن ما يراه في الممدوح.

١٠-تعدد المكارم التي تغنى بها الشاعران وتعدد السياقات التي وردت فيها، ما يدل على انتشار هذه المكارم في المجتمع الأموي، وثراء لغة الشاعرين.

١١-وُرود المكارم في سياق الهجاء لا يعني أن الهجاء بالتحلي بالمكارم بقدر ما يعني إثبات الشاعر لتحليه بالمكرمة ونفيها عن خصمه.

١٢-ما دار بين الشاعرين من ذكر لمكارم الأخلاق حريٌّ به أن يبعث في المجتمعات المتأخرة في ظل ما تشهده المجتمعات من الثورة المعلوماتية وتقنية الاتصال وانفتاح الفضاء وما صاحب ذلك من بعد أحيانًا عن بعض هذه المكارم في بعض المجتمعات التي تلقت الثقافة الحديثة دون قراءة فاحصة لها.

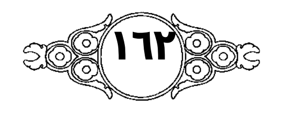
وعلى المستوى الفني توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

١- ثراء اللغة الشعرية عند كل من جرير والفرزدق، وظهور بعض الألفاظ الخاصة بكل شاعر منهما.

٢- وُرود بعض الألفاظ المشتركة بين الشاعرين إلا أن توظيفها الدلالي اختلف من شاعر لآخر.

٣- تنوع الأسلوب في نقائض الشاعرين موضوع البحث، ما يدل على طرقهما لجميع الأساليب لمراعاة حال القوم الذين كانت تلقى فيهم النقائض وهم يتحلقون حول الشاعرين.

٤- ارتفاع صوت الأنا في سياق الفخر عند الفرزدق (أنا، نحن) يتبعه ذكر



المكارم الأخلاقية له ولقومه.

٥- استخدام (اسم التفضيل) في سياق الفخر عند جرير (وأحمد، وأضرب، وأطعن) يتبعها ذكر المكارم الأخلاقية له ولقومه.

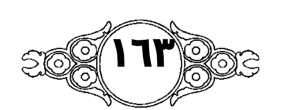
٦- لجوء الشاعرين إلى الأوزان الشعرية المناسبة لطبيعة فن النقائض وما كان يصاحبها من تحلق الناس حول الشاعرين بين مؤيد ومعارض.

٧- لجوء الشاعرين إلى القافية المطلقة لتناسب الطبيعة الفنية للنقائض وما يختلج في نفس الشاعر من معانٍ مزدوجة يريد أن يثبت من خلالها المكارم الأخلاقية لنفسه وقبيلته وينفيها عن خصمه.

٨- تعدد موضوعات النقيضة الواحدة بين عدد من الأغراض كالغزل والفخر، والمدح، والوصف، والرثاء، والهجاء.

٩- وُرود عدد من الأبيات (المقلّدة) والمبتكرة في نقائض الشاعرين يدل على شاعريتهما، وقدرتهما على ابتكار وتوليد المعاني الجديدة.

ٱٱٱ



ثبت المصادر والمراجع

١٣ـ القرآن الكريم.

حرف (الألف)

١٤ـ الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، تأليف الدكتور: محمد بن مريسي الحارثي ـ دار المدني ـ جدة، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م بدون طبعة.

١٥ـ الاتجاه الإنساني في الشعر العربي من صدر الإسلام إلى نهاية القرن الثالث الهجري ـ رسالة دكتوراة، إعداد: قاسم بن أحمد عبد الله آل قاسم، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ـ مكتبة جامعة الملك خالد بأبها.

١٦ـ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر للدكتور عبد القادر القط ـ دار النهضة العربية ـ بيروت (ط٢) ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٧ـ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري للدكتور محمد مصطفى هدارة ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت، دمشق (ط١) ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٨ـ إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، تحقيق الدكتور: عبد الله الخالدي ـ دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ.

١٩ـ الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، تأليف الدكتور: عبد الله الرحيلي ـ مطبعة سفير (ط١) ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٠ـ الأخلاق في الإسلام (النظرية والتطبيق) للدكتورة: إيمان عبد المؤمن سعد الدين ـ مكتبة الرشد (ط١) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١ـ الأخلاق لأحمد أمين ـ مكتبة النهضة المصرية (ط٩) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

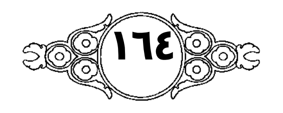
٢٢ـ أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح ـ دار إقرأ ـ بيروت، توزيع دار ومكتبة الهلال ـ (ط٦) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٣ـ أساليب البيان للدكتور فضل حسن عباس، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م (ط١) ـ دار النفائس للنشر والتوزيع.

٢٤ـ أسرار البلاغة للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر ـ نشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (ط١) ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٥ـ الأصوات اللغوية، تأليف الدكتور: إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥م (ط٥).

٢٦ـ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق الدكتور: قصي الحسين، فهرسه



وراجعه: عادل عبد الجبار وأثيرها دي ـ منشورات دار ومكتبة الهلال ـ بيروت (ط١).
٢٧ـ أيام العرب في الجاهلية، تأليف: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٨ـ الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحقيق وتعليق الدكتور: عبد الحميد هنداوي ـ مؤسسة المختار ـ القاهرة (ط٢) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

حرف (الباء)

٢٩ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف: عبد المتعال الصعيدي ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م بدون طبعة.

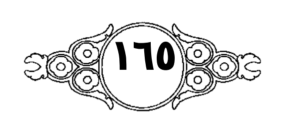
حرف (التاء)

٣٠ـ تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرجي زيدان (ط٢) ١٩٧٨م ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت، لبنان.
٣١ـ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، تأليف: نجيب محمد البهبيتي، نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة، دار الكتاب العربي ـ بيروت (ط٣) ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٣٢ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي، تأليف أحمد الشايب ـ مكتبة النهضة المصرية ـ (ط٣) ١٩٦٦م.
٣٣ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، تأليف: طه أحمد إبراهيم ـ دار القلم ـ بيروت، لبنان (ط١) ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٤ـ التربية الإسلامية من هدي خير البرية، تأليف الشيخ: عبد الله بن محمد الخليفي (ط٢) ـ مطابع الندوة ١٤٢٣هـ.
٣٥ـ التربية في الإسلام النظرية والمنهج للدكتور: عدنان علي رضا النحوي ـ دار النحوي للنشر والتوزيع (ط١) ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٣٦ـ التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف (ط٢) ــ دار المعارف بمصر بدون تاريخ.

حرف (الجيم)

٣٧ـ الجوار عند العرب، للدكتور: مرزوق بن صنيتان بن تنباك ـ دار المعارف (ط٢) ١٤١٤هـ.

حرف (الحاء)



٣٨- كتاب الحيوان لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، وضع حواشيه محمد باسل عيون السُّود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان، (ط٢) ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.

حرف (الخاء)

٣٩- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان (ط٢) ٢٠٠٣م ـ ١٤٢٤هـ.

حرف (الدال)

٤٠- دلائل الإعجاز للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر ـ نشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة (ط٣) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤١- دلالة الألفاظ، تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية (ط٧) ١٩٩٢م.

٤٢- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان (ط٤) بدون تاريخ.

٤٣- ديوان الأخطل، شرح: مجيد طرّاد ـ دار الجيل ـ بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٤٤- ديوان الفرزدق، شرح الدكتور: عمر فاروق الطبَّاع ـ دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، لبنان (ط١) ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٥- ديوان النقائض (نقائض جرير والفرزدق) لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري ـ دار صادر ـ بيروت (ط١) ١٩٩٨م.

٤٦- ديوان جرير، شرح الدكتور: عمر فاروق الطبَّاع ـ دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ لبنان (ط١) ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٧- ديوان زهير بن أبي سلمى ـ دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م بدون طبعة.

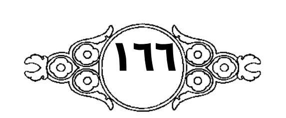
٤٨- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ـ مطبعة المدني ـ القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.

حرف (الراء)

٤٩- الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، تأليف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ـ المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، بدون طبعة.

٥٠- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ^، تأليف الإمام: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا، بيروت ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، بدون طبعة.

حرف (الشين)



٥١- شرح ديوان جرير، تأليف محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ـ منشورات دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان، بدون طبعة ولا تاريخ.
٥٢- الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوري، تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور: عمر الطبّاع ـ دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت، لبنان (ط١) ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٣- الشعر والمجتمع في العصر الجاهلي الرؤية والنموذج الإنساني ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، بدون طبعة ولا تاريخ.
٥٤- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور للدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر، بدون طبعة ولا تاريخ.
٥٥- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ضبط وتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان (ط١) ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

حرف (الصاد)

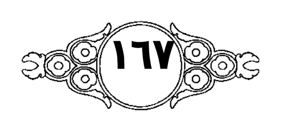
٥٦- الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تأليف الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تعليق: أحمد حسن بسج ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان (ط١) ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
٥٧- الصورة الفنية في النقد الشعري، للدكتور/ عبد القادر الرّباعي ـ دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض (ط١) ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٥٨- الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري للدكتور: علي البطل، دار الأندلس ـ لبنان (ط٣) ١٩٨٣م.

حرف (الطاء)

٥٩- طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلّام الجمحي، قراءة وشرح أبو فهر محمود محمد شاكر ـ دار المدني بجدة، بدون طبعة ولا تاريخ.

حرف (العين)

٦٠- العصر الإسلامي، للدكتور: شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر (ط٢١) بدون تاريخ.
٦١- العقد الفريد، تأليف: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبُّود ـ دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ لبنان (ط١) ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٦٢- علم الأخلاق الإسلامية، تأليف الدكتور: مقداد يالجن ـ دار عالم الكتب ـ الرياض (ط٢) ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
٦٣- علم البديع للدكتور: عبد العزيز عتيق ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، بدون طبعة.
٦٤- علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، تأليف: أحمد مصطفى المراغي ـ



دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان (ط١) ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٦٥ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: أبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بدون طبعة ولا تاريخ.
٦٦ـ عمود الشعر العربي النشأة والمفهوم، للدكتور: محمد بن مريسي الحارثي ـ مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (ط١) ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

حرف (الفاء)

٦٧ـ الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق ونشر: مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة ـ الرياض (ط٢) ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
٦٨ـ في الأدب الإسلامي والأموي، د. عبد العزيز عتيق ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

حرف (القاف)

٦٩ـ القيم الخلقية في النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ـ رسالة ماجستير إعداد: مطلق بن محمد سعيد شايع عسيري ـ مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٧٠ـ القيم الخلقية في شعر عنترة بن شدّاد العبسي (دراسة موضوعية وفنية) ـ رسالة ماجستير، إعداد: فاتن بنت عبد اللطيف بن علي العامر ـ مكتبة جامعة الملك فيصل بالأحساء ١٤٢٧هـ ـ ١٤٢٨هـ.

حرف (اللام)

٧١ـ لسان العرب للإمام ابن منظور، طبع دار الحديث ـ القاهرة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
٧٢ـ اللغة الكونية في جماليات الفكر الشعري في بائية ذي الرُّمة، للدكتور صالح بن سعيد الزهراني ـ مطابع جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

حرف (الميم)

٧٣ـ مختصر صحيح البخاري، تأليف أبي العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، مراجعة عبد الله عطا عمر ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون طبعة ولا تاريخ.
٧٤ـ مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المُنذري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض (ط٣) ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٧٥ـ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها للدكتور: عبد الله الطيب ـ دار الفكر ـ القاهرة ـ بيروت، الدار السودانية ١٩٧٠م.



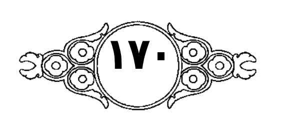
٧٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب - مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث - القاهرة (ط٢) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٨- مفتاح العلوم، تأليف: أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، تحقيق وتقديم الدكتور: عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان (ط١) ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٧٩- مقدمة القصيدة في العصر الأموي، د. حسين عطوان - دار المعارف بمصر بدون طبعة ولا تاريخ.
٨٠- مكارم الأخلاق للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وترتيب خالد أبو صالح (ط١) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، بدون دار طبع.
٨١- موسيقى الشعر العربي، لشكري عيّاد - دار المعرفة - القاهرة (ط٢) ١٩٧٨م.
٨٢- موسيقى الشعر، تأليف الدكتور: إبراهيم أنيس ١٩٨١م، بدون دار طبع.

حرف (النون)

٨٣- نظرية البنائية في النقد الأدبي، للدكتور صلاح فضل - مؤسسة مختار للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٢م، بدون طبعة.
٨٤- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى - مكتبة الخانجي - القاهرة (ط٣) ١٩٧٨م.

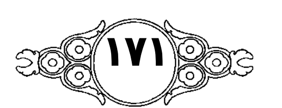


مسرد الموضوعات



الموضـــــــــــــــــوع

الصفحـــة



ﱠﱡﱢ